كنيسة مارمرقس
القبطية الأرثوذكسية
بمصر الجديدة



حيـــاة داود
النبي والملك

القس/ داود لمعى
إعداد د./ هانى صبحى

كنيسة مار مرقس
القبطية الأرثوذكسية
بمصر الجديدة



حيــــــاة داود
النبــي والملك

القس / داود لمعــى
إعداد / د . هانى صبحى

الكتاب : حياة داود النبي والملك

تأليف : القس / داود لمعي

إعداد : د. / هاني صبحي

الناشر : كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة

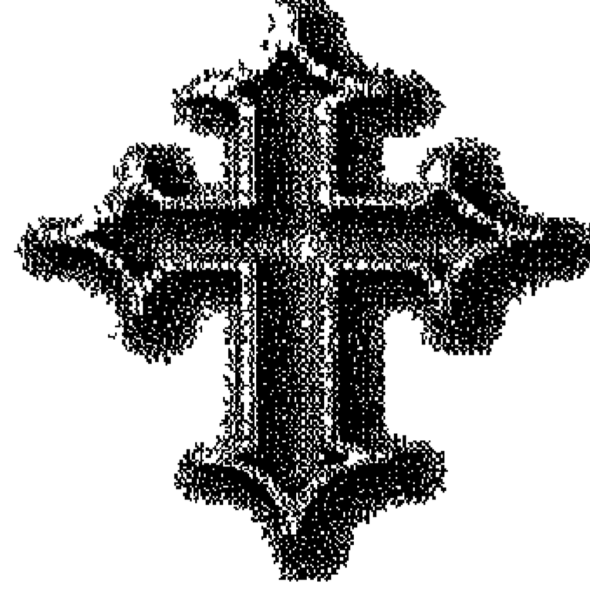
الطبعة : الأولى – يولية ٢٠٠٨

المطبعة : دار نوبار للطباعة

رقم الإيداع بدار الكتب : ١٤١٠٩ / ٢٠٠٨



قداسة البابا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



" فَتِّشُوا الْكُتُبَ لأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي" (يو٥: ٣٩)

بنعمة الرب وإرشاده نواصل تقديم هذه السلسلة التي تشمل تفسير بعض نبوات العهد القديم وحياة بعض أبطال الإيمان الذين لا نمل من تأمل سيرتهم والاستفادة من الدروس التي نتعلمها من فضائلهم، بل ومن سقطاتهم أيضاً .

وحياة قديس مثل داود قد لا تكفيها عدة مجلدات، إلا أننا حاولنا قدر المستطاع أن تكون هذه الدراسة شاملة وموجزة فى الوقت نفسه . وتحوي الكثير من التأملات التي تجعلها صالحة للتطبيق في حياتنا اليومية وليست مجرد دراسة تاريخية أو نظرية .

الرب يعوض كل من له تعب في هذه الخدمة المباركة ، ونرجو من قرائنا الأحباء أن يذكرونا دائماً فى صلواتهم .

بصلوات قداسة البطريرك المحبوب الأنبا شنودة الثالث، نرجو لكم أن تشبعوا من كلمة الله الحية الفعالة . ولإلهنا القدوس الآب والابن والروح القدس كل تسبيح وإكرام من الآن وإلى الأبد .

القس داود لمعي

مقـــــــدمة

شخصيات كثيرة يستمتع كل مسيحي أن يقرأ عنها ، ويفتش الكتاب المقدس بعهديه كي يتعلم منها ، ووسط هذه الشخصيات الكثيرة يلمع داود النبي كشخصية فريدة جديرة بالتأمل لأسباب كثيرة نذكر هنا بعضها فقط .

فداود النبي يعتبر أكثر شخص فى العهد القديم ذكر الكتاب المقدس حياته بالكثير من التفاصيل بدءاً من شبابه المبكر وحتى شيخوخته ، وفى نفس الوقت نجد أن كل شخص منا يجد فى حياة داود تعزية وتعليماً خاصاً به . فإن كنت شخصا بسيطاً فى علمك أو عملك يستصغرك أخوتك ووالداك فستجد نفسك فى قصة داود ، وإن كنت محبا للتأمل و حياة التسبيح و الترنيم أو تجيد عزف الموسيقى فستجد نفسك فى شخصية داود ، وإن كنت مضطَهدا مطارَداً من الغريب أو القريب تعاني من قسوة الخيانة وغدر الأحباء فستجد عزاءً فى قصة داود ، و إن كنت تظن أن وصايا العهد الجديد أن نسامح ونغفر ونحب أعداءنا هي وصايا فوق طاقة البشر فاقرأ قصة داود جيدا لتعرف أن داود تعلّم و علّم الآخرين هذا التعليم قبل مجيء السيد المسيح بألف عام . وإن كنت تعاني من عبء أثقل الخطايا - حتى لو كانت زنى أو قتل - وتعتقد أنك أبعد ما تكون عن خلاص الله فقطعاً ستجد لنفسك ظلاً فى سيرة داود . و أخيرا إن كنت تشكو من تذبذب حياتك الروحية فتجد نفسك حيناً متهللاً فرحا بخلاص الله وحيناً آخر تقع فى شر الخطايا فادرس حياة داود جيدا حتى تعرف أنك لست وحدك وأن قديسين عظماء مثل داود وموسى وإيليا قد سلكوا هذا المسار ولكنهم الآن في فردوس النعيم فى أحضان إبراهيم وإسحق ويعقوب .

طوباك يا مرنم إسرائيل يا من شهد له الكتاب المقدس بعهديه .... فكم من مرة منع الرب الشر عن شعبه فى العهد القديم " **من أجل داود** " أما فى العهد الجديد فكان اللقب المفضل لرب المجد هو يسوع بن داود وشهد له في سفر الأعمال **«وَجَدْتُ دَاوُدَ بْنَ يَسَّى رَجُلاً حَسَبَ قَلْبِي، الَّذِي سَيَصْنَعُ كُلَّ مَشِيئَتِي»** (أع ١٣: ٢٢). ليت حياة هذا القديس العملاق تكون نوراً لنا يهدينا فى هذه الحياة ، ولعل هذا العمل المتواضع يساعد كل قارئ كي يستفيد من فضائل داود النبي ويحذر من الوقوع فى سقطاته.

فكرة الكتاب وطريقة تبويبه

بنعمة الله سنحاول في هذا الكتاب أن نستعرض حياة داود كلها من خلال نصوص الكتاب المقدس التى وردت فى سفري صموئيل وأخبار الأيام ، بحيث نذكر النص الكتابي أولاً ثم التعليق والتأمل. وفي بعض المواقف سنربط بين هذه الأحداث و المزامير التى ذكر الكتاب المقدس المناسبات التي قيلت فيها حتى يدرك القارئ الخلفية التاريخية التى جعلت داود يكتب تلك الكلمات .

وقد تم تقسيم حياة داود إلى ٥ مراحل رئيسية، لكل منها طابع معين فى التسبيح.

المرحلة الأولى : مشاركة الخليقة فى تسبيح الله وكانت هذه الفترة فى مستهل حياته حيث كان يمضي معظم وقته فى المراعي بين أحضان الطبيعة.

المرحلة الثانية : التسبيح وسط الضيقات وخلالها تعلم داود كيف يسبح وسط التجارب التي مر بها أثناء مطاردة شاول. لمدة طالت أكثر من ١٠ سنوات .

المرحلة الثالثة : تسبيح المذبح حيث أصبح داود ملكاً وقام بنقل تابوت العهد إلى الخيمة فى موكب ملكي مهيب وسعى لتحقيق أجمل أحلامه ببناء الهيكل .

المرحلة الرابعة : تسبيح التوبة وفى هذه المرحلة سقط داود فى خطية عمره حيث وقع في الزنا مع بثشبع وبقدر ما كان سقوطه رهيباً كانت توبته عظيمة فكتب خلالها مزامير التوبة التى تعطي الرجاء لكل خاطيء عبر التاريخ .

المرحلة الخامسة : تسبيح الألم حيث تعرض داود للكثير من التأديب من يدي القدير ، وتقبله داود متألماً ، ولكن شاكراً الإله الذي لم يهمله كابن عاق بل أدبه كابن يرجو منه كل صلاح . وقد استغرقت هذه المرحلة السنوات العشرين الأخيرة من حياته .

وسيجد القارئ فى آخر كل فصل تعليقاً على التسبيح فى حياة داود خلال كل فترة مع خريطة توضح الأماكن الهامة التى ورد ذكرها .

وفى نهاية الكتاب يوجد فهرس يشمل الشخصيات الكثيرة التى ورد ذكرها فى حياة داود مع تعليق قصير على كل شخصية. ورسم توضيحي لعائلة داود ونسله ورسم بياني للتقلبات المختلفة في حياته صعوداً و هبوطاً .

مقدمة تاريخية

لا نستطيع أن نبدأ التعرف على داود دون أن ندرك موقعه في تاريخ البشرية ويمكن أن نستعرض التاريخ فى إيجاز شديد من خلال الشخصيات الشهيرة فى الكتاب المقدس آدم ... ثم نوح والطوفان ....ثم إبراهيم (٢٠٠٠ ق.م. تقريباً) وإسحق ... ويعقوب ثم يوسف الذي نزل إلى مصر وتبعه أخوته واستُعبِدوا هناك حتى جاء موسى (١٥٠٠ ق.م. تقريباً) وأخرجهم إلى سيناء ثم أدخلهم يشوع إلى أرض الموعد ليبدأ عصر القضاة الذي يشمل جدعون ويفتاح وشمشون ويعتبر صموئيل النبي هو آخر القضاة حيث طالبه الشعب أن يكون لهم ملك مثل سائر الشعوب فساء الأمر في عيني صموئيل وعبثاً حاول أن يثنيهم عن هذه الرغبة التى تعكس رفضهم للرب ، وقال الرب لصموئيل أن يستجيب للشعب لأن الرب لا يقبل أن يفرض نفسه ملكاً على الشعب دون رغبتهم. فأخذ صموئيل يحذرهم من مخاطر هذا الطلب ولكن الشعب تمسك برأيه، فاختار لهم الرب رجلاً يرضي هواهم وهو شاول بن قيس من سبط بنيامين، وكان شاول ذا قامة مهيبة فارع الطول، أطول من أي فرد في الشعب وأعجب به الشعب وبدأ شاول يجمع الشعب حوله وينتصر فى معاركه مع الفلسطينيين ، وبدأ بالروح وكان مطيعاً للرب ولصموئيل الذي مسحه ملكاً ، ولكنه بعد قليل أخذ ينحرف فأخطأ خطية عظيمة يوم تجاسر وأصعد بنفسه المُحرَقَة التى لا يحل لغير الكهنة تقديمها (كما لو أن واحداً من الشعب قرر أن يقيم القداس دون حضور الأب الكاهن!) وهنا أعلن له الرب على لسان صموئيل أن كرسيه لن يدوم وأن الرب قد اختار ملكاً آخر حسب قلب الله واستمر شاول بعدها فى عصيان الله وتجاهل أوامره رغم أن صموئيل كان يصلي من أجله كثيراً ولكن الرب أخيراً أمر صموئيل أن يكف عن البكاء على شاول وأن يمسح شخصاً آخر حسب قلب الله وهو داود (سنة ١٠٠٠ ق.م تقريباً) . واسم داود معناه المحبوب وورد أول ذكر له في الكتاب المقدس فى نهاية سفر راعوث الموآبية (من نسل لوط ، أي أنها أممية وليست إسرائيلية) إشارة إلى أن داود ومن بعده ابن داود – أي رب المجد يسوع – قد جاء من نسل اليهود والأمم أيضاً لكي يفدى البشرية كلها .... و الآن نبدأ قصتنا مع داود الراعي والمرنم والنبي والملك .

جدول لأهم الشخصيات والأحداث التاريخية فى العهد القديم

هذا السجل التاريخي يحوى أهم الشخصيات والأحداث التاريخية فى العهد القديم مرتبة من الأقدم إلى الأحدث **والتواريخ فيه مقربة إلى أقرب ١٠٠سنة** لتسهيل تصور الأحداث ولذا فهو مجرد تسجيل تقريبي لتسلسل الأحداث .

آدم وحـــــــــواء	تاريخ غير محدد
نـــــــــــوح	تاريخ غير محدد
إبـــــــــــراهيم إسحق و يعقوب و يوسف ثم العبودية فى مصر ٤٠٠ سنة	٢٠٠٠ ق. م.
مـــــــــــوسي الخروج من مصر - يشوع أول القضاة جدعون – شمشون – صموئيل آخر القضاة .	١٥٠٠ ق. م .
داود النبـــــــي ثم سليمان ابنه	١٠٠٠ ق. م.
انقسام المملكة : إسرائيل شمالا ويهوذا جنوباً ثم نبوات كل من : إيليا وأليشع وهوشع وأشعياء	٩٠٠ ق. م.
سقوط مملكة إسرائيل فى يد أشور ثم نبوات إرميا و وصفنيا و جبقوق	٧٠٠ ق. م.
سقوط مملكة يهوذا (سبي بابل) دانيال وحزقيال في السبي	٦٠٠ ق.م .
العـــودة من السبي زربابل وعزرا ونحميا (وأستير فى السبي) ثم حجي وزكريا	٥٠٠ ق. م.
ملاخي آخر أنبياء العهد القديم ثم فترة صمت طويلة بين العهدين	٤٠٠ ق. م.
ميلاد رب المجد يسوع المسيح	**سنة ١ ميلادية**

المرحلة الأولى من حياة داود

مشاركة الخليقة فى تسبيح الله

بين ربوع فلسطين الساحرة وجبالها الخضراء ، وفي تلك البلدة الصغيرة المغمورة بيت لحم - إحدى مدن سبط يهوذا - شب ذلك الفتى الصغير المدعو داود فى أسرة متوسطة الحال. وكان له سبعة أخوة أكبر منه، فكان هذا الطفل هو أصغرهم سناً وشأناً فيكلفونه دائما بأتفه المهام وهي رعي الأغنام القليلة التي تمتلكها الأسرة.

ولكن الفتى كان يستمتع بعمله ويؤديه بأمانة مطلقة كأنه يقود الأمة كلها وليست بضع غنمات فقط . و كان يستثمر الأوقات الطويلة المتاحة له بين المراعي ليتأمل الطبيعة البديعة المحيطة به ويرهف أذنيه فيسمع الخليقة تسبح الإله الحي، يسمعها في تغريد الطيور وحفيف الأشجار وخرير المياه ، ويراها فى كل تلك الأشجار والغابات والنجوم والأفلاك ويتأمل كل طائر وحيوان فيرى فيه صورة من صور إبداع الخالق الأعظم، فيأبى أن يظل صامتاً وسط هذا التسبيح فيعمد إلى تهذيب بعض الأغصان والنباتات فيصنع من هذه قيثارة يبثها ألحانه ، ومن تلك يصنع ناياً يعزف عليه أنغامه.

ولا يكاد يخلو يومه من التدريب على استعمال المقلاع حتى أتقن التصويب به إلى درجة عالية، وكان هذا المقلاع البسيط سلاحاً يدافع به عن غنماته ضد ذئب جائع أو ينبه به خروفا على حافة الضياع فيصيبه برمية ضعيفة توقظه ولا تؤذيه .

وعند عودته إلى داره مساءً يحاول على استحياء أن يشارك أبويه وأخوته أحاديثهم ولكنه نادراً ما كان يجد أذناً صاغية ، فكان ينصت أكثر مما يتكلم، فسمع منهم كثيراً عن صموئيل النبي والكاهن الذي أصلح ما أفسده عالي الكاهن وابناه قبل أن يموت ثلاثتهم في يوم واحد، وسمع الكثير عن تابوت العهد المقدس وما يناله من أذى كل من يسيء إليه.

وسمع أيضاً الكثير عن شاول الملك الذي تولى الحكم قبل ولادته بعشر سنوات، وكيف أنه بدأ بدءاً حسناً ولكنه تدهور تدريجياً حتى أصبح الكثير من أفراد الشعب

نادمين لأنهم طلبوا لأنفسهم ملكاً ولم ينصتوا لنصيحة صموئيل، ولكن داود لم يتخيل نفسه أبداً أن يتحول فى أحد الأيام من راعي أغنام مجهول إلى طرف في هذه الأحداث بل بطلها الأول .

الله يرفض شاول :

فَقَالَ الرَّبُّ لِصَمُوئِيلَ: «حَتَّى مَتَى تَنُوحُ عَلَى شَاوُلَ، وَأَنَا قَدْ رَفَضْتُهُ عَنْ أَنْ يَمْلِكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ؟ (١صم ١٦ : ١)

لا نستطيع أن نبدأ الحديث عن داود دون أن نرجع خطوة واحدة إلى الوراء، حيث كان الله قد أعلن رفضه لشاول كملك يؤتمن على شعب إسرائيل . ولكن صموئيل كان يشعر بالمسئولية الضمنية عن شاول ويتمسك بالصلاة من أجله ، فهو الذي سبق أن مسحه بالدهن المقدس وبدأ حياته فى طاعة الرب وانتصر فى حروبه بمعونة الله ولكنه سريعا ما تدهور روحياً وعصى الله ، وليس هذا غريباً على صموئيل النبي صاحب القلب المرهف الحساس .

ولعلنا لا ننسى مقولته الخالدة يوم اضطر للموافقة على رسم ملك للشعب على غير هواه وعلى غير مشيئة الرب فقال " **أَمَّا أَنَا فَحَاشَا لِي أَنْ أُخْطِئَ إِلَى الرَّبِّ فَأَكُفَّ عَنِ الصَّلاَةِ مِنْ أَجْلِكُمْ، بَلْ أُعَلِّمُكُمُ الطَّرِيقَ الصَّالِحَ الْمُسْتَقِيمَ.**" (١صم ١٢ : ٢٣) وهكذا لم يكف أبداً عن الصلاة من أجل شاول .

<u>تدريب روحي :</u> <u>**ماذا نطلب فى صلواتنا**</u> اعتدنا أن نصلي من أجل المُجَرَّبين والذين فى ضيق والمرضى، خاصة المهددين بالموت وهذا حسن جداً . ولكن ماذا عن المهددين بالموت الأبدي ألا يستحقون أن نكرس لهم وقتا ثابتاً من صلواتنا ، خاصة أن هذه الطلبة بالذات تفرح قلب الله الذي يريد أن الجميع يخلصون إلى معرفة الحق يقبلون . فمريض الجسد الذي نصلي من أجله قد يشفى الآن ولكنه حتماً سيرقد إن عاجلا أم آجلاً ، أما مرضى الروح فشفاؤهم يعطيهم حياة أبدية فى ملكوت السموات .

تأمل روحي **انظروا إلى نهاية سيرتهم :** كم يلزمنا أن نحذر لئلا نضل مثل شاول الذي مسحه صموئيل بالدهن المقدس وبدأ بالروح ولكنه للأسف أكمل بالجسد . وفعلها ومازال يفعلها مثله الكثيرون حتى يهوذا الإسخريوطي سلك نفس الطريق مع أنه كان يتبع رب المجد لسنوات ، وديماس ترك بولس وأحب العالم الحاضر ، فلنحذر لأن البداية المقدسة لا تعني أننا قد وصلنا بل لنستمر فى الجهاد والطاعة والرجاء والمحبة حتى آخر نسمة من حياتنا **"فَلْنَخَفْ، أَنَّهُ مَعَ بَقَاءِ وَعْدٍ بِالدُّخُولِ إِلَى رَاحَتِهِ، يُرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّهُ قَدْ خَابَ مِنْهُ"** (عب ٤ : ١) نعم الله يبقى أميناً إلى المنتهى ولكن هل نظل نحن أمناء ؟ هنا يكمن السؤال الذي يحدد مصيرنا الأبدي .

ورغم أن الله قد رأى ينبوع الدموع يفيض من عيني صموئيل إلا أنه أعلن له أنه رفض شاول و أن عليه أن يمسح ملكاً آخر حسب قلب الله وليس حسب مزاج الشعب. وذلك لأن الله بكل حنانه ومحبته لا يستطيع أن يجبر أحداً على السير فى طريق الخلاص ما لم يتجاوب هذا الشخص بإرادته مع نعمة الله.

ومع أن الله كان قد رفض شاول كملك في ذلك الوقت إلا أن باب التوبة لم يكن قد أغلق أمام شاول بل ظل مفتوحاً حتى آخر يوم فى حياته لعله يربح الملكوت ولو فى آخر ساعات عمره كما حدث مع اللص اليمين ... إلا أن شاول للأسف قاوم عمل النعمة بكل إصرار ليختار طريق الهلاك كما سنرى فيما بعد.

الله يأمر صموئيل أن يمسح احد أبناء يسى ملكاً :

اِمْلأْ قَرْنَكَ (وعاء جلدي يشبه القربة) **دُهْناً وَتَعَالَ أُرْسِلْكَ إِلَى يَسَّى الْبَيْتَلَحْمِيِّ، لأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ لِي فِي بَنِيهِ مَلِكاً». فَقَالَ صَمُوئِيلُ: «كَيْفَ أَذْهَبُ؟ إِنْ سَمِعَ شَاوُلُ يَقْتُلْنِي». فَقَالَ الرَّبُّ: «خُذْ بِيَدِكَ عِجْلَةً مِنَ الْبَقَرِ وَقُلْ: قَدْ جِئْتُ لأَذْبَحَ لِلرَّبِّ.** (١ صم ١٦ : ٢)

هنا يأمر الرب صموئيل أن يملأ القرن دهناً وهو يشبه في عمله زيت الميرون حالياً الذي لا يحق لأحد أن يحمله إلا الكاهن أو الأسقف. وهذا الموقف يشير إلى الرسامة، وعبر العهدين كان الزيت المقدس ومازال يستعمل للرسامة، قديماً كان للكهنة والملوك والأنبياء فقط ، أما الآن فكل من يعتمد يُمسح بزيت الميرون المقدس ورغم

أن الله بنفسه قد اختار داود إلا أن الذي يقوم بتنفيذ هذا الاختيار هو الكاهن الذي يحمل الزيت المقدس.

أما شاول فكان قد بلغ أقصى درجات الانحراف، حتى أنه قد يتجاسر على قتل صموئيل الذي مسحه ملكاً وكان بمثابة الأب الروحي، فأمر الرب صموئيل أن يقدم ذبيحة فى بيت لحم حتى لا تثير زيارته لتلك البلدة الصغيرة الشكوك .

ونلاحظ هنا أن الله – كعادته – لم يوضح لصموئيل خطته كلها ولكنه كشف له النقاب عن الخطوة الأولى فقط ، ولو فكر صموئيل بالمنطق البشري لتعثر عقله أمام عشرات الأسئلة عن الخطوة التالية ... أي ابن من أبناء يسى هو المختار ؟ ... وكيف سيصل إلى القصر ؟ ... هل سيموت شاول أم أن الملك الجديد سيقتله ؟ ... إلخ إلخ .ولكن الله لا يكشف خطته كلها فى حياتنا ولكن يأمر أو يوافق على الخطوة الأولى فنسلك فيها بالإيمان لا بالعيان ورويداً رويداً فى الوقت المناسب يكشف لنا عن الخطوة التالية (راجع في ذهنك هذه الفكرة وطبقها على حياة إبراهيم ويوسف وموسى وإيليا والتلاميذ وبولس وعلى حياتك أنت أيضاً وسترى كم هي صادقة)

وهنا نتساءل لماذا يأمر الله صموئيل أن يمسح داود ملكاً بينما شاول لا يزال حياً ؟ ولماذا لم يؤجل الله هذا الموقف إلى حين وفاة شاول ؟

والحق أننا نجد لهذا الموقف ظلالاً متعددة عبر العهدين. نعم هو الرب الذي سمح أن يكون رئيس هذا العالم (الشيطان) يتنازع السلطان مع ملك الملوك، وهو الذي سمح بوجود هيرودس ملكاً يطارد ملك اليهود الذي جاء المجوس ليسجدوا له، هذه الازدواجية المتكررة يعطينا الله من خلالها حق الاختيار ... من تريدون الله أم إبليس .. شاول أم داود .... يسوع الناصري أم باراباس .... دائما هناك ملكان ولك أن تنضم لأحدهما ، فمن ستختار ؟

فَفَعَلَ صَمُوئِيلُ كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ وَجَاءَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ. فَارْتَعَدَ شُيُوخُ الْمَدِينَةِ عِنْدَ اسْتِقْبَالِهِ وَقَالُوا: «أَسَلاَمٌ مَجِيئُكَ؟» فَقَالَ: «سَلاَمٌ. قَدْ جِئْتُ لأَذْبَحَ لِلرَّبِّ. تَقَدَّسُوا وَتَعَالَوْا مَعِي إِلَى الذَّبِيحَةِ». وَقَدَّسَ يَسَّى وَبَنِيهِ وَدَعَاهُمْ إِلَى الذَّبِيحَةِ. (١ صم ١٦ : ٤ – ٥)

كان لصموئيل كرامة عظيمة و هيبة بين الشعب حتى أن الشيوخ قد ارتعدوا متسائلين عن سبب الزيارة فمدينتهم تبعد حوالي ١٠كلم جنوب الرامة، ومعهم كل الحق فهذا هو صموئيل النبي الذي سبق أن صلّي فأرعدت السماء وأمطرت فى غير أوانها ليثبت لهم الرب صدق كلام صموئيل . ولكن صموئيل طمأن الشعب ودعاهم أن يتقدسوا ويشتركوا معه فى الذبيحة ، ونرى هنا كيف أن التقدم إلى الذبيحة يستدعي الاستعداد المناسب أولاً ، تماماً كما تعلمنا الكنيسة أن نستعد قبل التناول من الأسرار المقدسة .

الرب يرفض الأخوة السبعة الكبار

وَكَانَ لَمَّا جَاءُوا أَنَّهُ رَأَى أَلِيآبَ، فَقَالَ: «إِنَّ أَمَامَ الرَّبِّ مَسِيحَهُ».

╬ فَقَالَ الرَّبُّ لِصَمُوئِيلَ: «لاَ تَنْظُرْ إِلَى مَنْظَرِهِ وَطُولِ قَامَتِهِ لأَنِّي قَدْ رَفَضْتُهُ.

لأَنَّهُ لَيْسَ كَمَا يَنْظُرُ الإِنْسَانُ. لأَنَّ الإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ».(١ صم ١٦ : ٦ – ٧)

هنا يبدأ صموئيل اللحظات الحاسمة التي أتى من أجلها فهو يعلم أنه سيمسح أحد أبناء يسى ملكاً ، ولكن مَن مِنهم ؟ فلما بدأ يستعرض أبناء يسى استرعى انتباهه الابن البكر أليآب، رجل طويل القامة مهيب الطلعة مفتول العضلات وهو الابن البكر وكل ما فيه يقول أنه اختيار مناسب لكي يخلف شاول ومظهره مقنع لكل من يراه .فقال لنفسه لا بد أنه هو .

وكان الرب يخاطب صموئيل بكل سرعة ووضوح فقال له : ما هذا يا صموئيل؟ .. أما زلت تنظر للطول والعرض والمظاهر التي تحكم اختيارات أبناء العالم !

لا فهذه المرة نريد اختيارا صحيحا حسب الجوهر وليس حسب المظهر لأن الإنسان ينظر إلى العينين و أما أنا فإني أنظر إلى القلب .

<u>تدريب روحي :</u> <u>الحكم حسب المظهر</u> بين النظر إلى العينين والنظر إلى القلب يعيش الإنسان عمره يتعلم من أخطائه ، وهو ينخدع بالمظهر السطحي ليكتشف بعد ذلك أن جوهر هذا الشخص غير مظهره ، مرات نقول عن هذا الإنسان أنه بلا عيب وبعد العشرة والتأني نكتشف كم كنا مخطئين ، ومرات أخرى ندين أو نحتقر

أشخاصاً لنكتشف فيما بعد أنهم قديسون ، وهناك المزيد من المفاجآت سنكتشفها في السماء لأننا عادة ما نحكم قبل الوقت وكثيرا ما نحكم حكماً غير عادل .

ونحن أيضا يجب ألا نفحص أنفسنا بناءً على ما يقوله الناس عنا لأن الناس ينظرون إلى العينين فقط، بل نفحص أنفسنا بناءً على قلوبنا وكم هي نقية، أخي الحبيب طهارة أو نجاسة قلبك لا يعلمها من البشر سواك. فافحص قلبك ودوافعك أولا بأول .

فَدَعَا يَسَّى أَبِينَادَابَ وَعَبَّرَهُ أَمَامَ صَمُوئِيلَ،

¤ فَقَالَ«وَهذَا أَيْضاً لَمْ يَخْتَرْهُ الرَّبُّ». وَعَبَّرَ يَسَّى شَمَّةَ، فَقَالَ: «وَهذَا أَيْضاً لَمْ يَخْتَرْهُ الرَّبُّ». وَعَبَّرَ يَسَّى بَنِيهِ السَّبْعَةَ أَمَامَ صَمُوئِيلَ، فَقَالَ صَمُوئِيلُ لِيَسَّى: «الرَّبُّ لَمْ يَخْتَرْ هؤُلاَءِ». وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِيَسَّى: «هَلْ كَمُلَ الْغِلْمَانُ؟»

فَقَالَ: «بَقِيَ بَعْدُ الصَّغِيرُ وَهُوَذَا يَرْعَى الْغَنَمَ».

¤ فَقَالَ صَمُوئِيلُ لِيَسَّى: «أَرْسِلْ وَأْتِ بِهِ، لأَنَّنَا لاَ نَجْلِسُ حَتَّى يَأْتِيَ إِلَى ههُنَا».

فَأَرْسَلَ وَأَتَى بِهِ. وَكَانَ أَشْقَرَ مَعَ حَلاَوَةِ الْعَيْنَيْنِ وَحَسَنَ الْمَنْظَرِ. فَقَالَ الرَّبُّ: «قُمِ امْسَحْهُ لأَنَّ هذَا هُوَ». (١ صم ١٦ :٨ - ١٢)

سبع مرات يتكرر نفس الموقف و يرد الرب بنفس الإجابة والسبعة رقم الكمال فى هذا العالم وكأن الرب يقول له أن ما يظنه هذا العالم كمالاً ليس هو المقبول أمام الله . وإنما المقبول هو الثامن ورقم ثمانية يرمز إلى الحياة الأبدية . وأخيرا كان هناك حجر مهمل رذله البناءون .... كان هناك ذلك الصغير وهو مجرد نكرة لم يشعر أحد من الأسرة أن حضوره أو غيابه يغير شيئاً لذا لم يدعـه يسى باسمه ... بل هو ذلك الصغير الذي يرعى الغنم ، صغير سناً وصغير قيمة ، هذا الصغير الذي لم يفكر فيه أبوه إلا عندما سأله صموئيل سؤالاً مباشراً " هل كمل الغلمان؟ " هنا فقط تذكره أبوه والحق أن هذه المعاملة من أسرة داود كانت كفيلة أن تصيب الفتى الغض بصغر النفس ولكن معونة الله وتشجيع صموئيل النبي ساهما في تعويض أخطاء التربية.

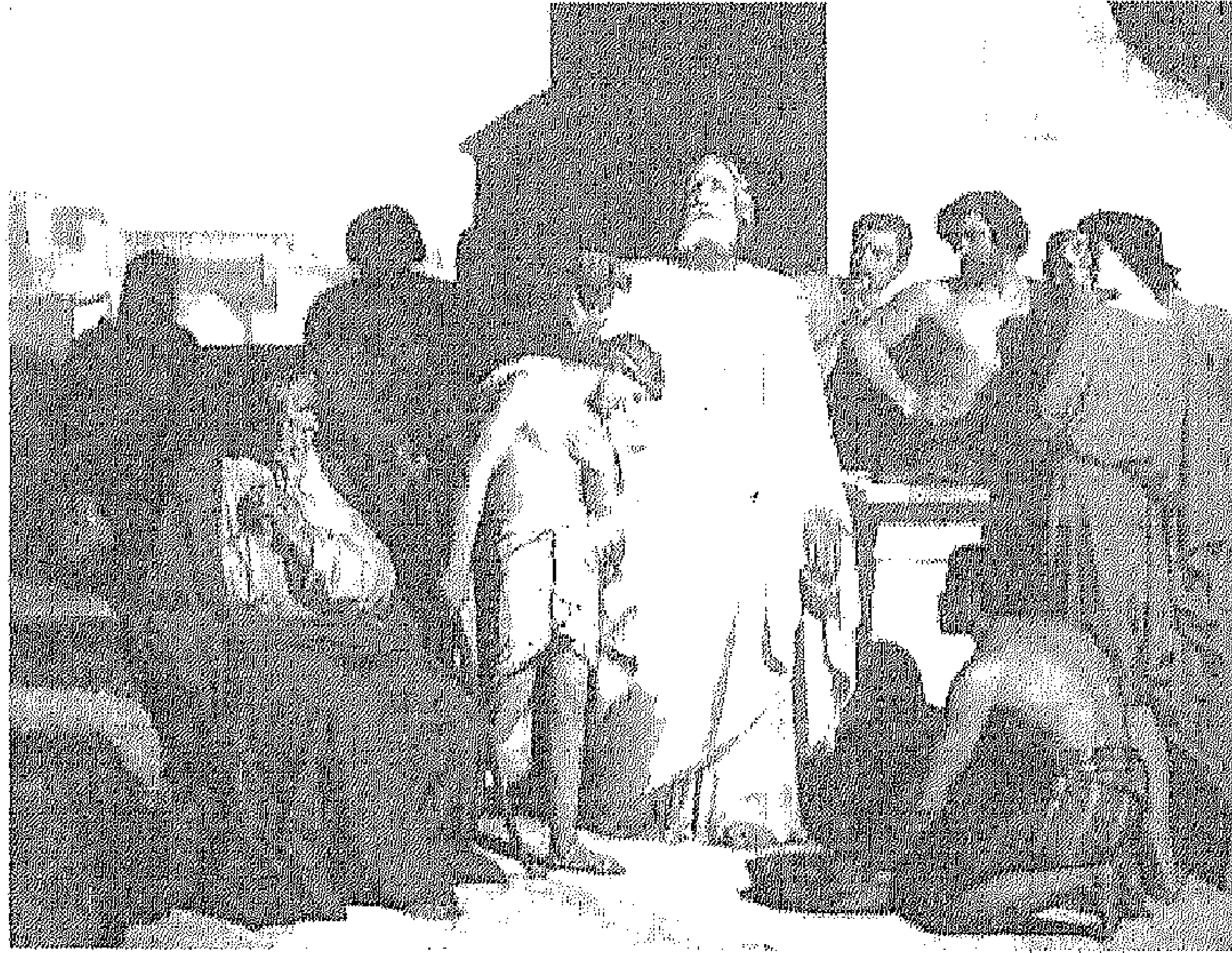
وعندما أدرك صموئيل أن الرب قد اختار الثامن أعلن أن المراسم لن تبدأ دون حضوره فأسرعوا يستدعونه من المرعى ولعل هذا الاستدعاء كان هو الأول من

نوعه، فشعر الفتى الصغير أن له كياناً وأهمية حتى أن صموئيل النبي بنفسه يرسل في طلبه على وجه السرعة .

ورغم جمال عينيه وشعره الأشقر إلا أن هذه الأوصاف لا تصلح لملك يُمسَح على إسرائيل، ويُعتقَد أن عمره كان نحو خمسة عشر عاماً فى ذلك الحين ، ولأن الرب كان ينظر للقلب وليس للعينين فقد أمر صموئيل أن يمسحه .

صموئيل يمسح داود ملكاً

فَأَخَذَ صَمُوئِيلُ قَرْنَ الدُّهْنِ وَمَسَحَهُ فِي وَسَطِ إِخْوَتِهِ. وَحَلَّ رُوحُ الرَّبِّ عَلَى دَاوُدَ مِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ فَصَاعِداً. ثُمَّ قَامَ صَمُوئِيلُ وَذَهَبَ إِلَى الرَّامَةِ. (١ صم ١٦ : ١٣)



يذكرنا هذا المشهد لداود وهو يُمسح بين أخوته بمشهد المعمدان وهو يَمسح رب المجد يسوع ليكون بكراً بين أخوة كثيرين .

ومن هذه اللحظة فصاعداً كان الملك الحقيقي فى عيني الرب هو داود الراعي البسيط. أما شاول فهو الملك في عيني الناس فقط ، وكم من أشخاص يذهبون إلى الكنائس ويعتبرهم الشعب قطعاً من وارثي ملكوت السموات بينما الله له نظرة مختلفة تماما . ترى كيف كانت نظرة أخوته له ؟ هل فهموا بالضبط معنى هذه المسحة ؟ لم تكن هذه المسحة تمنح إلا للكهنة (وهو ليس منهم لأنه من سبط يهوذا وليس من سبط لاوي)

وتمنح أيضا للأنبياء والملوك ... فماذا سيصبح أخوهم الأصغر ؟ نبياً أم ملكاً أم كليهما معاً ؟ هل غاروا غيرة أخوة يوسف أم كانوا أكثر تعقلاً ؟ قطعا كانوا أفضل من أخوة يوسف ، فرغم تسلل الغيرة إليهم إلا أنهم حافظوا على السر اليوم ، فلو تسرب الخبر لطارت رقبة داود مبكراً وربما رقاب عائلة يسى كلها بسيوف شاول وجنوده.

وكيف كان شعور الفتى نفسه ؟ هل أدرك أنه سيصير ملكاً عاجلاً أم آجلاً ؟ وهل ذهب في اليوم التالي وراء الغنم أم شعر بشيء من الزهو والكبرياء جعله يتعالى على ذلك العمل البسيط ؟ .... أكاد أجزم أن داود عاد لخرافه ولأحضان الطبيعة مشتاقاً إلى قيثارته ومزاميره يسبح الله على كل صنيعه دون أن يتعجل العطية التي وعده الله بها ولكن كان يفصله عنها خمسة عشر عاماً كاملة – أي تقريباً مثل عمره – قبل أن يتحقق وعد الله له .

روح رديء يدخل في شاول والبحث عن ضارب بالعود ليهدئه

وَذَهَبَ رُوحُ الرَّبِّ مِنْ عِنْدِ شَاوُلَ، وَبَغَتَهُ رُوحٌ رَدِيءٌ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ.(١ صم ١٦: ١٤)

حتى ذلك الوقت كان روح الرب ملازماً لشاول رغم كل العصيان والتمرد !! يا لرحمتك وطول أناتك ومحبتك يا رب .... وكان إبليس يشعر أن هذا الرجل من نصيبه ويريد أن يدخل فيه ولكن الرب يرفض السماح له ، لكي يعطي لشاول أطول فرصة ممكنة للتوبة . فلما أصر شاول على العصيان ، فارقه روح الرب ومن ثم دخل فيه الروح الرديء .

◘ **فَقَالَ عَبِيدُ شَاوُلَ لَهُ: «هُوَذَا رُوحٌ رَدِيءٌ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ يَبْغَتُكَ** (يفاجئك) . **فَلْيَأْمُرْ سَيِّدُنَا عَبِيدَهُ قُدَّامَهُ أَنْ يُفَتِّشُوا عَلَى رَجُلٍ يُحْسِنُ الضَّرْبَ بِالْعُودِ. وَيَكُونُ إِذَا كَانَ عَلَيْكَ الرُّوحُ الرَّدِيءُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ أَنَّهُ يَضْرِبُ بِيَدِهِ فَتَطِيبُ»**

فَقَالَ شَاوُلُ لِعَبِيدِهِ: «انْظُرُوا لِي رَجُلاً يُحْسِنُ الضَّرْبَ وَأْتُوا بِهِ إِلَيَّ».

◘ **فَأَجَابَ وَاحِدٌ مِنَ الْغِلْمَانِ: «هُوَذَا قَدْ رَأَيْتُ ابْناً لِيَسَّى الْبَيْتَلَحْمِيِّ يُحْسِنُ الضَّرْبَ، وَهُوَ جَبَّارُ بَأْسٍ وَرَجُلُ حَرْبٍ وَفَصِيحٌ وَرَجُلٌ جَمِيلٌ، وَالرَّبُّ مَعَهُ».**

(١ صم ١٦ : ١٥- ١٨)

بعد تردد استجمع عبيد شاول شجاعتهم وأخبروه بما يحدث منه دون أن يدري عندما يفاجئه الروح الشرير الذي اعتراه مؤخرا ، واقترحوا حلا مناسباً بالبحث عمن يجيد العزف بالعود والتسبيح للرب حتى يفارقه الروح الرديء ... فوافقهم شاول .

كان هذا الغلام الذي يعرف داود ومواهبه حكيماً ، إذ عرف أن داود هو الشخص المناسب ولكن شاول لن يقبله إلا إذا أضاف عليه بعض الصفات التي ترضي غرور شاول فقال عنه أنه جبار بأس ورجل حرب ، مع أن داود حتى ذلك الحين لم يكن قد حمل سلاحاً باستثناء ذلك المقلاع الذي ينبه به الخروف الضال حتى لا يشرد ويضيع . على أن أهم صفة صادقة تميز بها داود هي الأخيرة **(والرب معه)** وكانت هذه بالضبط هي نفس الكلمات التي ميزت يوسف الصديق «**كان الرب مع يوسف فكان رجلاً ناجحاً**» (تكوين ٣٩: ٢٣).

استدعاء داود إلى قصر شاول الملك

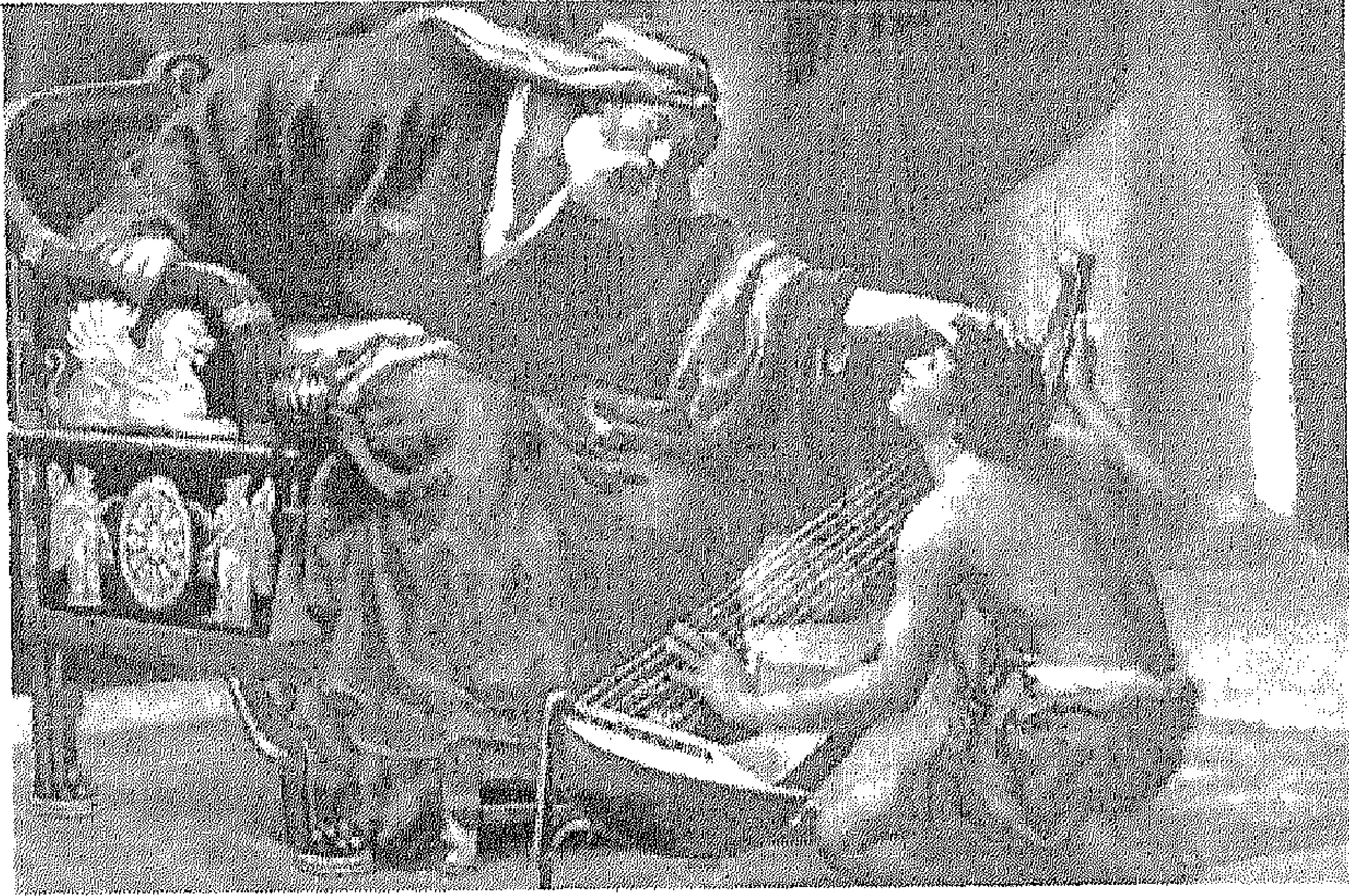
فَأَرْسَلَ شَاوُلُ رُسُلاً إِلَى يَسَّى يَقُولُ: «أَرْسِلْ إِلَيَّ دَاوُدَ ابْنَكَ الَّذِي مَعَ الْغَنَمِ». فَأَخَذَ يَسَّى حِمَاراً حَامِلاً خُبْزاً وَزِقَّ (كيس جلدي) **خَمْرٍ وَجَدْيَ مِعْزىً وَأَرْسَلَهَا بِيَدِ دَاوُدَ ابْنِهِ إِلَى شَاوُلَ.** (١ صم ١٦ : ١٩-٢٠)

تم استدعاء داود على عجل في المرة الأولى بناءً على طلب صموئيل أما هذه المرة فشاول هو الذي يطلبه ، ملك إسرائيل يطلب هذا الراعي المجهول ليدخل القصر الملكي ويعزف للملك . و تزاحم سيل من الأفكار في عقل الفتى الصغير وهو وفي طريقه للقصر لأول مرة ، هل هذه هي الخطوة الأولى في طريقي إلى العرش ؟ كيف سيعاملني الملك ؟ هل عرف أو سيعرف أن صموئيل قد مسحني ملكاً بدلاً منه؟ ماذا تريد يا رب أن أفعل هل أرنم أمامه فقط أم أكلمه عنك في الوقت المناسب ؟ ....إلخ إلخ من الأفكار التي كانت تتوارد على ذهنه وهو يذهب مع الحمار المحمل بالهدايا المتواضعة من والده إلى الملك الذي كرم هذه الأسرة البسيطة بهذا الطلب.

فَجَاءَ دَاوُدُ إِلَى شَاوُلَ وَوَقَفَ أَمَامَهُ، فَأَحَبَّهُ جِدّاً وَكَانَ لَهُ حَامِلَ سِلاَحٍ.

فَأَرْسَلَ شَاوُلُ إِلَى يَسَّى يَقُولُ: «لِيَقِفْ دَاوُدُ أَمَامِي لأَنَّهُ وَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيَّ».

وَكَانَ عِنْدَمَا جَاءَ الرُّوحُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ عَلَى شَاوُلَ أَنَّ دَاوُدَ أَخَذَ الْعُودَ وَضَرَبَ بِيَدِهِ، فَكَانَ شَاوُلُ يَرْتَاحُ وَيَطِيبُ وَيَذْهَبُ عَنْهُ الرُّوحُ الرَّدِيءُ. (١صم ١٦ : ٢١-٢٣)



لا شك أنها نعمة الله الغنية التي تسربل بها داود و التى جعلت شاول يحبه من أول لقاء ، وإذا كان الحب يكبر مع العشرة إلا أن هؤلاء الذين تفوح منهم رائحة المسيح الذكية يختصرون الزمن اللازم لنمو المحبة ، ورغم أن هذه المحبة لم تدم طويلاً لأنها كانت محبة المنفعة ؛ إلا أن شاول أخذ فى تلك الفترة يستدعيه مراراً ، وحتى تكون هناك وظيفة مقبولة أمام الناس تبرر وجود داود فى القصر عينه شاول حاملا لسلاحه، أما عمله الحقيقي فكان العزف والتسبيح الله كلما أصيب شاول بنوبة من النوبات التي يباغته فيها الروح الشرير .

تأمل روحي : الصليب والمزامير يُعتَقَد أن العود في ذلك الوقت كان يصنع من خشبتين متعامدتين على شكل صليب ، والأوتار مشدودة بين أطراف الصليب . وكلما انتاب الروح الرديء شاول يأتي داود ليرتل مزاميره على ألحان العود فيذهب عنه الروح الرديء .(وبالمناسبة فما زالت المزامير وقوة الصليب هما المستعملان حتى اليوم لطرد الأرواح الشريرة) .

والحقيقة أن قوة الشفاء لا تكمن فقط في الكلمات المقدسة التي للمزامير، ولكنها تكمن بالأحرى فى القوة الروحية التي للمتكلم. فالقصة ليست مجرد كلمات يسردها اللسان

أو يغنيها صوت رخيم أو يعزفها موسيقار بارع ولكنها بالأحرى حياة معاشة العمر كله ، وهكذا كانت أول مهمة رسمية لداود بعد مسحه ملكاً أن يسبح الله و يرنم له . كأن الله يؤكد عليه " سواء كنت راعياً أم جندياً أم ملكاً فمهمتك الأولى هي التسبيح ثم التسبيح ثم التسبيح ".

جليات يتحدى

وَجَمَعَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ جُيُوشَهُمْ لِلْحَرْبِ فَاجْتَمَعُوا فِي سُوكُوهَ الَّتِي لِيَهُوذَا، وَنَزَلُوا بَيْنَ سُوكُوهَ وَعَزِيقَةَ فِي أَفَسِ دَمِّيمَ. (اسم المنطقة) **وَاجْتَمَعَ شَاوُلُ وَرِجَالُ إِسْرَائِيلَ وَنَزَلُوا فِي وَادِي الْبُطْمِ، وَاصْطَفُّوا لِلْحَرْبِ لِلِقَاءِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. وَكَانَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ وُقُوفاً عَلَى جَبَلٍ مِنْ هُنَا وَإِسْرَائِيلُ وُقُوفاً عَلَى جَبَلٍ مِنْ هُنَاكَ، وَالْوَادِي بَيْنَهُمْ.**

فَخَرَجَ رَجُلٌ مُبَارِزٌ مِنْ جُيُوشِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ اسْمُهُ جُلْيَاتُ، مِنْ جَتَّ، طُولُهُ سِتُّ أَذْرُعٍ وَشِبْرٌ، (تقريبا ٣ متر) **وَعَلَى رَأْسِهِ خُوذَةٌ مِنْ نُحَاسٍ، وَكَانَ لاَبِساً دِرْعاً حَرْشَفِيّاً** (مصفحا) **وَزْنُهُ خَمْسَةُ آلاَفِ شَاقِلِ نُحَاسٍ.** (=٥٧ كجم) **وَجُرْمُوقَا** (صفائح) **نُحَاسٍ عَلَى رِجْلَيْهِ، وَحَرْبَةُ نُحَاسٍ بَيْنَ كَتِفَيْهِ. وَقَنَاةُ رُمْحِهِ كَنَوْلِ النَّسَّاجِينَ، وَسِنَانُ رُمْحِهِ سِتُّ مِئَةِ شَاقِلِ حَدِيدٍ** (=٧ كجم) ، **وَحَامِلُ التُّرْسِ كَانَ يَمْشِي قُدَّامَهُ.** (١ صم ١٧ : ١ - ٧)

أعد الفلسطينيون عدتهم وقرروا الانتقام لهزائمهم السابقة ، واصطف الجيشان على جبلين متقابلين يفصل بينهما وادي البطم ، ويسهب الكتاب المقدس في وصف هذا الجبار المدعو جليات . عملاق فارع الطول ، وزن درعه أثقل من إنسان متوسط الوزن ، يسير أمامه حامل الأسلحة وفى جعبته سهام وسيوف وترسانة أسلحة تليق بذلك العملاق .

وفي الجبهة الأخرى كان شاول الملك فارع القامة وأطول من سائر الشعب، ولكن لم يكن لديه الشجاعة الحربية أو الروحية ليبارز ذلك المارد الجبار .

فَوَقَفَ وَنَادَى صُفُوفَ إِسْرَائِيلَ: «لِمَاذَا تَخْرُجُونَ لِتَصْطَفُّوا لِلْحَرْبِ؟ أَمَا أَنَا الْفِلِسْطِينِيُّ، وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ لِشَاوُلَ؟ اخْتَارُوا لأَنْفُسِكُمْ رَجُلاً وَلْيَنْزِلْ إِلَيَّ. فَإِنْ قَدِرَ أَنْ

يُحَارِبَنِي وَيَقْتُلَنِي نَصِيرُ لَكُمْ عَبِيداً. وَإِنْ قَدِرْتُ أَنَا عَلَيْهِ وَقَتَلْتُهُ تَصِيرُونَ أَنْتُمْ لَنَا عَبِيداً وَتَخْدِمُونَنَا». وَقَالَ الْفِلِسْطِينِيُّ: «أَنَا عَيَّرْتُ صُفُوفَ إِسْرَائِيلَ هَذَا الْيَوْمَ. أَعْطُونِي رَجُلاً فَنَتَحَارَبَ مَعاً».

وَلَمَّا سَمِعَ شَاوُلُ وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ كَلاَمَ الْفِلِسْطِينِيِّ هَذَا ارْتَاعُوا وَخَافُوا جِدّاً. (١ صم ١٧ : ٨ – ١١)

كانت هذه المبارزة التي اقترحها جليات تبدو وكأنها إحدى طرق حقن الدماء فى الحروب و لكنها كانت عادة ما تكون افتتاحية الحرب ، فيعطي المنتصر دفعة قوية لجيشه موحياً لهم أن النصر الذي حققه سيفتح الباب للنصر الكامل . وبكل منطق بشري كان المنتصر فى المبارزة معروفاً قبل أن تبدأ ، فمن يجرؤ على منازلة جليات الجبار ؟ ، وإن جرؤ فهل يصمد ؟ وإن صمد لحظات فهل تصل إلى دقائق قبل أن تتفتت عظامه بأسلحة ذلك العملاق أو حتى بيديه العاريتين . ولذا كان منظر الرجل يبث الرعب بين شعب إسرائيل من الملك إلى أصغر جندي فى الجيش . كل منهم يراوده كابوس مفزع كل ليلة وهو يتخيل نفسه فى مواجهة هذا الجبار .

ولكن أين كان يوناثان بن شاول الملك أثناء هذا الموقف ؟ ... لم يذكر الكتاب المقدس يوناثان خلال هذا الموقف ولكن نتوقع أن يوناثان قد طلب من أبيه شاول أن يتركه ليبارز هذا الجبار ويقتله ، وأخذ يذكره كيف أنه سبق له أن دخل بين صفوف الفلسطينيين دون أن يخبر أحداً إذ قَالَ يوناثان لِلْغُلاَمِ حَامِلِ سِلاَحِهِ: **«تَعَالَ نَعْبُرْ إِلَى صَفِّ هَؤُلاَءِ الْغُلْفِ** (جمع أغلف أي الغير مختونين)**، لَعَلَّ اللَّهَ يَعْمَلُ مَعَنَا، لأَنَّهُ لَيْسَ لِلرَّبِّ مَانِعٌ عَنْ أَنْ يُخَلِّصَ بِالْكَثِيرِ أَوْ بِالْقَلِيلِ».** (١صم ١٤ : ٦)

وطلب يوناثان علامة من الرب ليتيقن من موافقته ، فلما تأكد دخل بينهم وقتل عشرين منهم مما شجع باقي الجيش لدخول الحرب فانتصروا بسبب جسارة وإيمان يوناثان فهو رجل شعاره " ليس للرب مانع عن أن يخلص بالكثير أو بالقليل" وبقوة هذا الإيمان طلب يوناثان من أبيه أن يتركه ليسحق هذا العملاق .

ولكن شاول الذي يفتقر إلى مثل هذا الإيمان قال له : " يستحيل أن أتركك هذا الجبار يفترسك إذا كان الله قد أعانك في المرة السابقة فمن يدريني أنه ينجيك هذه المرة ؟ هل أتركك تموت أمام عيني وأنا مكتوف اليدين عاجز عن إنقاذك؟ ... كلا يا بني فأنت بكري وأنت الأمير وأنت الملك القادم ليجلس على العرش بعدي أبداً يستحيل "

و بعد أن فشل يوناثان مراراً في إقناع والده جلس بين الجنود يجرع مرارة الإهانات ليلاً ونهاراً ويصلي من كل قلبه لكي يرسل الرب رجلاً له نفس الإيمان فيرفع العار والخزي عن الله وعن شعبه .

داود يصل إلى أرض المعركة حاملاً الطعام لأخوته

وَدَاوُدُ هُوَ ابْنُ ذلِكَ الرَّجُلِ الأَفْرَاتِيِّ (أفراتا هي المنطقة التي تقع فيها بيت لحم) **مِنْ بَيْتِ لَحْمِ يَهُوذَا** (كانت هذه البلد تقع في أرض سبط يهوذا بن يعقوب) **الَّذِي اسْمُهُ يَسَّى وَلَهُ ثَمَانِيَةُ بَنِينَ. وَكَانَ الرَّجُلُ فِي أَيَّامِ شَاوُلَ قَدْ شَاخَ وَكَبِرَ بَيْنَ النَّاسِ.**

وَذَهَبَ بَنُو يَسَّى الثَّلاَثَةُ الْكِبَارُ وَتَبِعُوا شَاوُلَ إِلَى الْحَرْبِ وَأَسْمَاءُ بَنِيهِ الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ ذَهَبُوا إِلَى الْحَرْبِ: أَلِيآبُ الْبِكْرُ، وَأَبِينَادَابُ ثَانِيهِ، وَشَمَّةُ ثَالِثُهُمَا. وَدَاوُدُ هُوَ الصَّغِيرُ وَالثَّلاَثَةُ الْكِبَارُ ذَهَبُوا وَرَاءَ شَاوُلَ .

وَأَمَّا دَاوُدُ فَكَانَ يَذْهَبُ وَيَرْجِعُ مِنْ عِنْدِ شَاوُلَ لِيَرْعَى غَنَمَ أَبِيهِ فِي بَيْتِ لَحْمٍ. وَكَانَ الْفِلِسْطِينِيُّ يَتَقَدَّمُ وَيَقِفُ صَبَاحاً وَمَسَاءً أَرْبَعِينَ يَوْماً.

فَقَالَ يَسَّى لِدَاوُدَ ابْنِهِ: «خُذْ لإِخْوَتِكَ إِيفَةَ (٢٤ لتراً) **مِنْ هذَا الْفَرِيكِ، وَهذِهِ الْعَشَرَ الْخُبْزَاتِ وَارْكُضْ إِلَى الْمَحَلَّةِ** (المعسكر) **إِلَى إِخْوَتِكَ. وَهذِهِ الْعَشَرَ الْقِطَعَاتِ مِنَ الْجُبْنِ قَدِّمْهَا لِرَئِيسِ الأَلْفِ، وَ افْتَقِدْ** (اطمئن على) **سَلاَمَةَ إِخْوَتِكَ وَخُذْ مِنْهُمْ عَرْبُوناً** (دليلا على سلامتهم) **». وَكَانَ شَاوُلُ وَهُمْ وَجَمِيعُ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ فِي وَادِي الْبُطْمِ يُحَارِبُونَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ.** (١ صم ١٧ : ١٢- ١٩)

ذهب أبناء يسى الثلاثة الكبار إلى الحرب أما هذا الفتى الصغير فكان في مكانه الطبيعي هناك بين المراعي وراء الغنم – حقا لقد مسحه صموئيل بالزيت منذ سنوات وحقا دخل قصر شاول مرات ومرات ليعزف أمامه ولكن هذا لم يغير من

وضعه ، وكانت أكبر مهمة حربية يمكن أن يقوم بها هى توصيل القليل من الطعام البسيط الزهيد الثمن لإخوته على الجبهة ، حيث كانوا يسمعون التجديف والإهانة لليوم الأربعين، صباحاً ومساءً نفس التعبير وليس من يجرؤ على مواجهة العملاق .

فَبَكَّرَ دَاوُدُ صَبَاحاً وَتَرَكَ الْغَنَمَ مَعَ حَارِسٍ وَحَمَّلَ وَذَهَبَ كَمَا أَمَرَهُ يَسَّى، وَأَتَى إِلَى الْمِتْرَاسِ (المعسكر) وَالْجَيْشُ خَارِجٌ إِلَى الاصْطِفَافِ وَهَتَفُوا لِلْحَرْبِ. وَاصْطَفَّ إِسْرَائِيلُ وَالْفِلِسْطِينِيُّونَ صَفّاً مُقَابَلَ صَفٍّ. فَتَرَكَ دَاوُدُ الأَمْتِعَةَ الَّتِي مَعَهُ بِيَدِ حَافِظِ الأَمْتِعَةِ وَرَكَضَ إِلَى الصَّفِّ وَأَتَى وَسَأَلَ عَنْ سَلاَمَةِ إِخْوَتِهِ. وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُهُمْ إِذَا بِرَجُلٍ مُبَارِزٍ اسْمُهُ جُلْيَاتُ الْفِلِسْطِينِيُّ مِنْ جَتَّ صَاعِدٌ مِنْ صُفُوفِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَتَكَلَّمَ بِمِثْلِ هَذَا الْكَلاَمِ، فَسَمِعَ دَاوُدُ. وَجَمِيعُ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ لَمَّا رَأَوا الرَّجُلَ هَرَبُوا مِنْهُ وَخَافُوا جِدّاً . (١ صم ١٧ : ٢٠-٢٤)

كان الذهاب لجبهة المعركة تجربة جديدة و مثيرة لذلك الشاب الصغير وبقدر ما كان يشعر بالفخر لرؤية جيوش شعبه التى تحارب باسم الله الحي الذي يسبحه ليلا ونهارا بقدر ما كان شعوره بالخزي والغيرة المقدسة لسماع الإهانات والسباب الذي يُقذف به هذا الاسم المقدس .

والأبطال المحاربون شاول و أبنير رئيس جيشه وغيرهما يجرعون الإهانة صامتين، وداود يتساءل كيف يصمتون ؟ وإن صمتوا عن حقهم فكيف يتنازلون عن حق الله، وفي الحال بدأ هذا العقل الذكي يفكر كيف يدافع بنفسه عن الاسم المقدس الذي يعبده .

داود يسمع عن مكافآت الملك لمن يقتل جليات

◘ فَقَالَ رِجَالُ إِسْرَائِيلَ«أَرَأَيْتُمْ هَذَا الرَّجُلَ الصَّاعِدَ لِيُعَيِّرَ إِسْرَائِيلَ هُوَ صَاعِدٌ فَيَكُونُ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يَقْتُلُهُ يُغْنِيهِ الْمَلِكُ غِنًى جَزِيلاً، وَيُعْطِيهِ ابْنَتَهُ، وَيَجْعَلُ بَيْتَ أَبِيهِ حُرّاً فِي إِسْرَائِيلَ».

+ فَسَأَلَ دَاوُدُ الرِّجَالَ الْوَاقِفِينَ مَعَهُ : «مَاذَا يُفْعَلُ لِلرَّجُلِ الَّذِي يَقْتُلُ ذَلِكَ الْفِلِسْطِينِيَّ وَيُزِيلُ الْعَارَ عَنْ إِسْرَائِيلَ؟ لأَنَّهُ مَنْ هُوَ هَذَا الْفِلِسْطِينِيُّ الأَغْلَفُ حَتَّى يُعَيِّرَ صُفُوفَ اللَّهِ الْحَيِّ؟»

▫ **فَكَلَّمَهُ الشَّعْبُ بِمِثْلِ هَذَا الْكَلاَمِ قَائِلِينَ«كَذَا يُفْعَلُ لِلرَّجُلِ الَّذِي يَقْتُلُهُ»**

(١صم١٧ :٢٥ – ٢٧)

كان الملك على استعداد أن يجزل العطاء لمن ينقذه من هذه الورطة فرصد ثلاث جوائز أولها مكافأة مالية ضخمة و ثانيها أن يزوجه من ابنته ... ويا له من شرف أن تناسب الملك نفسه أما ثالثها فهو أن يجعل بيت أسرته حراً فلا تفرض عليهم جزية ولا يعتبرون- مثل سائر الشعب - عبيداً للملك.

ورغم أن هذه المكافآت كانت كفيلة بأن تحمس المبارزين الأبطال إلا أن الموت المحقق كان ينتظر كل من يجسر أن يبارز جليات .. وهكذا تصبح كل كنوز العالم ومكافآته بلا أي قيمة .

__تأمل روحي__ __**هدف الخدمة**__ :لم يفكر داود للحظة فى تلك المكافآت فما كان يعنيه حقاً هو الدفاع عن الاسم القدوس ، ولو قالوا له أنك يجب أن تدفع كل ما تمتلكه حتى نسمح لك بمبارزة جليات لما تردد لحظة ، وأعتقد أن كل إنسان يحيا حياة روحية صادقة لا تعنيه كل المكافآت الأرضية لأنه يعلم أن الله يهبها مجاناً للصالح والطالح وأنه يجزل عطاءه للأبرار والأشرار ، أما المكافأة الحقيقية فهي هناك في الحياة الأبدية حيث تكمن اشتياقاتنا الحقيقية .

وأدرك داود بفطنته أنه لو صارح الآخرين بغيرته الروحية لاتهموه بالخبل والجنون ففضل أن يكلمهم بلغتهم التي يفهمونها ويدعي انبهاره وسعيه للمكافأة الأرضية وإن كانت كلمات الصدق قد أفلتت من لسانه رغماً عنه فقال :

" لأَنَّهُ مَنْ هُوَ هَذَا الْفِلِسْطِينِيُّ الأَغْلَفُ حَتَّى يُعَيِّرَ صُفُوفَ اللَّهِ الْحَيِّ؟ "

هذا هو اشتياقك الحقيقي يا رجل الله . لغتك تظهرك مهما حاولت أن تخفيها . إن ما يهمك هو مجد الله أولاً وأخيراً .

أليآب أخو داود الأكبر ينتهره

وَسَمِعَ أَخُوهُ الأَكْبَرُ أَلِيآبُ كَلاَمَهُ مَعَ الرِّجَالِ، فَحَمِيَ غَضَبُ أَلِيآبَ عَلَى دَاوُدَ وَقَالَ: «لِمَاذَا نَزَلْتَ، وَعَلَى مَنْ تَرَكْتَ تِلْكَ الْغُنَيْمَاتِ (تصغير الغنم) **الْقَلِيلَةَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ أَنَا عَلِمْتُ كِبْرِيَاءَكَ وَشَرَّ قَلْبِكَ، لأَنَّكَ إِنَّمَا نَزَلْتَ لِتَرَى الْحَرْبَ».**

+ فَقَالَ دَاوُدُ: «مَاذَا عَمِلْتُ الآنَ؟ أَمَا هُوَ كَلاَمٌ؟» وَتَحَوَّلَ مِنْ عِنْدِهِ نَحْوَ آخَرَ وَتَكَلَّمَ بِمِثْلِ هذَا الْكَلاَمِ، فَرَدَّ لَهُ الشَّعْبُ جَوَاباً كَالْجَوَابِ الأَوَّلِ. (١صم ١٧ : ٢٨ – ٣٠)

كان أليآب هو الابن الأكبر ليسى ولذا اعتبر أن سؤال داود عن المكافأة يحمل إهانة ضمنية له .... وأشعل عدو الخير عقله بالغضب .. فمن أنت أيها الصغير حتى تفكر في الإقدام على ما عجزت عنه أنا والآخرون لمدة أربعين يوماً ، ألعلنا كنا في حاجة إلى راعي تلك الغنيمات الذي يظن نفسه المخلص المنتظر حتى يأتي بما عجزنا عنه.

وكم هو قاسٍ على النفس التي تغير غيرة رب الجنود وتبذل كل نفيس ورخيص في سبيله أن تُتهَم أنها تسعى للمجد الباطل ولهذا كانت كلمات أليآب القاسية كطعن الحراب في نفس داود ، ولكنه استطاع بلباقة أن يتفادى الصدام المبكر مع أخيه مؤكداً على أنه لم يفعل شيئاً إنما هو يتكلم فقط وحقاً فإن الجواب اللين يصرف الغضب وسعى أن يسأل عن المكافأة عدة مراتٍ حتى يصل الأمر إلى مسامع الملك .

شاول يستدعي داود ويتناقش معه

وَسُمِعَ الْكَلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ دَاوُدُ وَأَخْبَرُوا بِهِ أَمَامَ شَاوُلَ. فَاسْتَحْضَرَهُ .

+ فَقَالَ دَاوُدُ لِشَاوُلَ: «لاَ يَسْقُطْ قَلْبُ أَحَدٍ بِسَبَبِهِ. عَبْدُكَ يَذْهَبُ وَيُحَارِبُ هذَا الْفِلِسْطِينِيَّ».

فَقَالَ شَاوُلُ لِدَاوُدَ: «لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى هذَا الْفِلِسْطِينِيِّ لِتُحَارِبَهُ لأَنَّكَ غُلاَمٌ وَهُوَ رَجُلُ حَرْبٍ مُنْذُ صِبَاهُ» . (١ صم ١٧ : ٣١ – ٣٣)

وأخيراً تحقق المراد واستدعاه شاول ليرى هل هو حقاً قادر على قتل ذلك الجبار أم هو مجرد مراهق طائش تضلله حماسة الشباب فيلقي بنفسه في التهلكة ، والغريب أن

الشاب الصغير كان هو الذي يشجع الملك العملاق شاول وليس العكس كما يفترض المنطق البشري . ولكن الملك خاف أن يفتك جليات بداود فى لحظات فتُحبَط معنويات الجنود أكثر وأكثر فأخذ يثبط من عزيمته .

+ **فَقَالَ دَاوُدُ لِشَاوُلَ: «كَانَ عَبْدُكَ يَرْعَى لأَبِيهِ غَنَماً، فَجَاءَ أَسَدٌ مَعَ دُبٍّ وَأَخَذَ شَاةً مِنَ الْقَطِيعِ. فَخَرَجْتُ وَرَاءَهُ وَقَتَلْتُهُ وَأَنْقَذْتُهَا مِنْ فَمِهِ. وَلَمَّا قَامَ عَلَيَّ أَمْسَكْتُهُ مِنْ ذَقْنِهِ وَضَرَبْتُهُ فَقَتَلْتُهُ.** (١ صم ١٧ : ٣٤ ـ ٣٥)



اضطر داود أمام الموقف العسير أن يحكي لشاول الملك عن عمل الرب معه فيما سبق .. ولعل هذه القصة كانت واحدة من قصص أخرى كثيرة لم يذكرها داود لأحد لأنه كان يعتبرها بمثابة سر شخصي بينه وبين من يحبه لا يبوح به إلا مرغماً كي يعطي كل المجد لصاحب المجد .

وهذا الموقف يذكرنا بما حدث مع بولس الرسول الذي حاول طويلاً أن يخفي الرؤى التي ينعم الله بها عليه ، حتى واجه بعض من يشككون في رسوليته فاضطر أن يشي بأحد الأسرار التي كان يود كتمانها ، فحكى كيف اختطف إلى السماء الثالثة ورأى ما لم تره عين وسمع ما لم تسمعه أذن ، ولم يقل ذلك من باب الفخر أو الكبرياء ولكنه شعر بضرورة أن يدافع عن نفسه حتى لا تتعطل الكرازة .

والحق أننا نتعجب لأمر هذا الراعي الصغير الذي فوجئ بأسد ودب يخطفان خروفاً من القطيع فما كان منه إلا أن طاردهما وقتلهما بيديه العاريتين وأنقذ الشاة من أنيابهما !! ولماذا فعل داود ذلك ؟ ... ألم يفكر أن حياته أثمن بكثير من حياة الشاة ؟ .. الحق أنه لم يفكر في ذلك وإنما كان له فكر الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف لأنه ليس أجيراً يرى الذئب فيفر هارباً ، بل هو الراعي الصالح الذي يترك التسعة والتسعين خروفاً ويذهب ليتفقد الخروف الضال من بين أنياب الأسد والدب وهو في هذا الموقف لا يحاربهما بقوته بل بقوة الرب الذي كلفه بهذا العمل ... كان لكل خروف في قلب داود محبة خاصة فهو ليس مجرد خروف من قطيع كبير ولكنه الخروف المحبوب ، يعرفه بشكله وربما أطلق عليه اسما يناديه به ، إذا شرد يوماً يرميه بحصاة صغيرة من مقلاعه حتى يفيق ولا يضل ، وإذا تعثر فالعكاز يحتويه حتى ينهض ، وإذا هاجمه وحش فالعصا تدافع عنه ، وكم قوّى المريض وعصب الجريح وجبر المكسور وبحث عن الضال. ولعل هذا الموقف وغيره جعل الرب يرى في داود القلب النقي الذي جعله يأتي به من المرعى ليجلسه على العرش لأن الأمين في القليل أمين في الكثير أيضا والأمين مع الشاة أمين بالأحرى مع الشعب .

تأمل روحي : **العمل بالرعاية إعداد للخدمة** لا شك أن عمل الرعاية بأشكاله المختلفة سواء راعي غنم أو أب أو أم أو مدرس أو طبيب ... إلخ يقرب صاحبه من فكر الله فيدرك كم هو مستعد أن يبذل نفسه عن شعبه. ولكن رعاية الغنم بالذات قد يكون لها وضع خاص لأنها حيوانات قليلة الذكاء تقع في نفس الخطأ عدة مرات ولا تتعلم من أخطائها بسهولة (ولا أدري هل يختلف بنو البشر عنها كثيراً أم لا !) .

ويدافع الراعـي عـن الخـراف كثيـراً ضـد وحـوش البريـة ويتـدخل لإنقاذهـا مـراراً وتكراراً من المهالك عندما تحشر نفسها بين أشواك لا تستطيع منها فكاكاً .

وفـى نفس الوقت فـإن الـزمن الـذي يقضيه الراعـي بـين أحضـان الطبيعـة - التـى تكـاد تنطق بتسبيح الله – تعطيه فرصـة أن يتعلم حياة التسبيح ولـذا نلاحـظ أن الـرب اختـار هـذه المهنـة بالـذات لاثنـين مـن كبـار الأنبيـاء موسـى ثـم داود لعلمـه أنهـا خيـر إعـداد لمهنتهما الحقيقية .

قَتَلَ عَبْدُكَ الأَسَدَ وَالدُّبَّ جَمِيعاً. وَهَذَا الْفِلِسْطِينِيُّ الأَغْلَفُ (الغير مختتن) **يَكُونُ كَوَاحِدٍ مِنْهُمَا لأَنَّهُ قَدْ عَيَّرَ صُفُوفَ** (جيوش) **اللَّهِ الْحَيِّ» . (١صم ١٧ : ٣٦)**

كانت الغيرة المقدسة تملأ صدر داود لأن هذا الأممـي قد عير الله ، ولأن داود يحـب الله جـداً فهـو يحـب صـفوف الله وشـعب الله وتـابوت عهـد الله وهيكـل الله الـذي يحلـم ببنائـه و باختـصار يحـب كـل مـا ينـسب لله . ولعلنـا قـد سبق أن اختبرنـا نفس المشاعر تجاه من نحبهم حقاً .

+ وَقَالَ دَاوُدُ: «الرَّبُّ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ يَدِ الأَسَدِ وَمِنْ يَدِ الدُّبِّ هُوَ يُنْقِذُنِي مِنْ يَدِ هَذَا الْفِلِسْطِينِيِّ».(١ صم ١٧ : ٣٧)

آه كـم مـن الـذكريات الروحيـة الحلـوة تحملهـا فـي قلبـك النقـي يـا داود وتـدرك بحـسك الروحي أن الذي ابتدأ فيك عملاً صـالحاً هو يكمل ، ليتنا مثلك يا مرنم إسرائيل نـذكر دوماً كم فعل الرب معنا في كل يوم وأعد لنا كل شيء قبل مولدنا بل بـالأحرى قبـل أن يخلق آدم وبنيه ولا نعود كل مرة نشك فيه وكأن هذا الموقف هو أول تعامل لنا معه.

فَقَالَ شَاوُلُ لِدَاوُدَ: «اذْهَبْ وَلْيَكُنِ الرَّبُّ مَعَكَ».

هل حقاً انتصر إيمـان الراعـي الـصغير علـى شكوك الملك المتـوج فقـال لـه «اذْهَبْ وَلْيَكُنِ \الرَّبُّ مَعَكَ» . أم أن شاول أخذ ينقل عينيه بين الشعر الأشقـر وعينـي داود الجميلتين ويهمس لنفسه : " كم هي ورديـة أحـلام اليقظـة لهذا الفتـى التـي يمـلأ بهـا يومه الطويل فى المراعي .... و ظل يكذب على نفسه حتـى صـدق كذبتـه ، بـل ويريد أن نـصدقه نحن أيضـاً هل هاتـان اليدان الـصغيرتان قتلتـا أسـداً ودبـاً والآن تـستعدان

للفتك بجليات !! .... يا له من طفل ساذج يسعى إلى التهلكة بأوهامه الخيالية .. هل أمنعه ؟ ... ولكن لماذا أمنعه ؟ ربما تكون حماقته هذه فرصة لن تُعوّض لكسر الركود واليأس الذي ضرب أوصال الجيش ، وحتى لو التهمه جليات فى ثوان كما أتوقع فإن شجاعته وتضحيته بنفسه أمام سائر الجنود ستعطيهم دفعة معنوية هائلة ربما تقودهم إلى النصر ...... وما دام هذا الساذج يتكلم باللغة الروحية التي كنت أتقنها قديماً فسأرد عليه بنفس لغته " وهكذا أجابه «اذهَبْ وَلْيَكُن الرَّبُّ مَعَكَ» .

وَأَلْبَسَ شَاوُلُ دَاوُدَ ثِيَابَهُ، وَجَعَلَ خُوذَةً مِنْ نُحَاسٍ عَلَى رَأْسِهِ وَأَلْبَسَهُ دِرْعاً. فَتَقَلَّدَ دَاوُدُ بِسَيْفِهِ فَوْقَ ثِيَابِهِ وَعَزَمَ أَنْ يَمْشِيَ لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ جَرَّبَ.

+ فَقَالَ دَاوُدُ لِشَاوُلَ: «لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَمْشِيَ بِهَذِهِ لأَنِّي لَمْ أُجَرِّبْهَا». وَنَزَعَهَا دَاوُدُ عَنْهُ. وَأَخَذَ عَصَاهُ بِيَدِهِ، وَانْتَخَبَ لَهُ خَمْسَةَ حِجَارَةٍ مُلْسٍ مِنَ الْوَادِي وَجَعَلَهَا فِي كِنْفِ الرُّعَاةِ(الجِرَابِ) الَّذِي لَهُ وَمِقْلاَعَهُ بِيَدِهِ وَتَقَدَّمَ نَحْوَ الْفِلِسْطِينِيِّ . (١صم١٧:٣٨-٤٠)

رأى شاول أن يُنعِم على الراعي الصغير بأن يلبسه ثيابه ويعطيه أسلحته ودروعه ولكن للأسف كان تعثر خطوات داود وهو يحاول أن يمشي بالدرع والخوذة كفيلاً بالقضاء على الأمل الضئيل الذي كان يراود الملك أن ينتصر داود في تلك المعركة الغير متكافئة بين مصارع من وزن فوق الثقيل مع فرخ صغير من وزن الريشة .

ولكن داود كان حاسماً عندما قال : «**لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَمْشِيَ بِهَذِهِ لأَنِّي لَمْ أُجَرِّبْهَا**». ومعك كل الحق يا داود فأنت قد جربت الاتكال على الله كثيرا و أفلحت أما الاتكال على أسلحة البشر فلم تجربها .. جربت أن تتكل على عصا موسى التي شقت البحر فنجا الشعب وهلك فرعون وجيشه . والاتكال على الجرار الفارغة والمشاعل والأبواق التي حملها جدعون و ٣٠٠ رجل معه فقهروا بها ١٣٥ ألف رجل من المديانيين.

جربت كثيرا أن تتكل على سلاح الله الكامل بدرع البر وترس الإيمان وخوذة الخلاص وسيف الروح ، وكم نجحت أن تطفئ بهم جميع سهام الشرير الملتهبة . فلماذا تترك الآن هذه الأسلحة البتارة وتلجأ لأسلحة البشر التى تصيب حيناً وتخيب أحياناً .

<u>تأمل روحي</u> <u>أي سلاح تختار ؟:</u> لسنا مثلك يا داود فنحن بضعف إيمان كثيرا ما نحاول استخدام السلاحين معاً حتى إذا ما تأخر أو تعثر سلاح الله نلجأ لأسلحتنا ... المال والمعارف والوساطة بل و الرشوة إذا لزم الأمر .... وأحياناً ما يبكتنا شاب صغير مثلك يترفع في إباء أن يتكل على ذراع بشر في امتحان شفوي أو عند دخول الجيش أو التقدم لوظيفة ما لأنه يقول معك : "هذه كلها لم أجربها ولكني جربت الأفضل منها ونجح معي سابقا وسينجح دوماً لاحقاً ." ولكل منا الكثير والكثير من الذكريات التي نجحت فيها أسلحة الله فليتنا لا ننسى ولا نتناسى صنيعه معنا .

<u>تأمل روحي</u> <u>هل ندافع أم نهاجم :</u> رفض داود أن يـلبس درع شاول ولا أي درع آخر ، لأنه يثق أنه ذاهب للهجوم وليس للدفاع ، وربما لم يسمع هذا الراعي الصغير مقولة " أن الهجوم خير وسيلة للدفاع " ولكنه كان **قطعاً** يؤمن بها .

ويسعى عدو الخير كثيراً ليجعل الكنيسة دائماً تحت ضغط الاضطهاد المتوالي فتكون غاية مناها مجرد الدفاع عن كيانها. حتى بات الكثيرون يفهمون قول الرب **"إن أبواب الجحيم لن تقوى عليها"** بمعنى أن الشيطان الذي يهاجم الكنيسة لن يستطيع أن ينتصر عليها . ولكن الحقيقة أن كلمات الرب لها معنى مختلف كثيراً فهي تعنى أن مملكة الجحيم لن تستطيع أن تدافع عن نفسها و لن تصمد أبوابها أما الهجوم الجارف الذي تشنه الكنيسة عليها .

مثلما نقول ليشوع أن أبواب أريحا لن تقوى عليك ، أي أن هذه المدينة ذات الأبواب والأسوار الحصينة لن تصمد أمام قوة التسبيح وقوة جيش الله .

وفي الحال كانت عيون الشعب تراقب داود و تنعته بالجنون وهو ينتخب الحجارة الملساء من الوادي وسط همهمات قليلة كانت تدعو له بالتوفيق .

اما أخوته فقد فضلوا أن يغمضوا أعينهم حتى لا يروا أخاهم الصغير مضرجاً في دمائه ... ولكن الأغلبية كانت تتهمه بالجنون .

وحتى الآن كثيرة هي الألسن التي تتهم كل مؤمن بالجنون وهو يختار لنفسه أسلحة الصلاة والصوم ... أسلحة القداس والتناول .... أسلحة المحبة والغفران .... أسلحة

التواضع والوداعة ويقولون أما زلتم تؤمنون بهذه الخرافات التى عفا عليها الزمن ؟ ألا تدركون أننا الآن فى القرن الواحد والعشرين ؟

هذه الروايات التاريخية الأسطورية المذكورة فى كتابكم قد تصلح للأطفال قبل النوم، ولكنها لا تصلح فى معترك الحياة التى تلفظ من لا يتسلح بالحديد والنار .

ولكن داود لم ينصت لهؤلاء ولا لأولئك وإنما كان كل فكره منحصراً فى سحق الشيطان الذي يجدف على الاسم الحسن .. ويا له من غرض مقدس تسعد السماء أن تستجيب له .

المبارزة بين داود وجليات

و ذهب الْفِلِسْطِينِيُّ ذاهباً واقترب إلى دَاوُدَ وَ الرجل حَامِلُ التُّرْسِ أَمَامَهُ. وَلَمَّا نظر الفلسطيني ورَأَى دَاوُدَ اسْتَحْقَرَهُ لأَنَّهُ كَانَ غُلاَماً وَأَشْقَرَ جَمِيلَ الْمَنْظَرِ. فَقَالَ لِدَاوُدَ: «أَلَعَلِّي أنا كَلْبٌ حَتَّى تَأْتِي إِلَيَّ بِعِصِيٍّ». وَلَعَنَ دَاوُدَ بِآلِهَتِهِ. وَقَالَ الْفِلِسْطِينِيُّ لِدَاوُدَ: «تَعَالَ إِلَيَّ فَأُعْطِيَ لَحْمَكَ لِطُيُورِ السَّمَاءِ وَوُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ». (١صم ١٧: ٤٠ ــ ٤٤) .

اقترب جليات حتى يرى من هو ذلك الرجل الذي انتظر اليهود أربعين يوما حتى ينتخبوه ليبارزه وكان حامل الترس الذي يتقدم أمام جليات قزماً إذا ما قورن بجليات ولكنه عملاق إذا ما قورن بداود ، ولما أدرك جليات أن الجبل تمخض فولد فأراً وأن الخارج لمبارزته هو هذا "الطفل" الذي يرتدي جلباب الرعاة والمسلح بعصا ومقلاع وبعض حجارة شعر بمزيج من الغضب والإهانة فأطلق سيلاً جديداً من اللعنات لوث به داود وآلهته ، وهنا ازداد إيمان داود أن هذا العملاق هالك حالاً فقد وقع فى المحظور وأهان الرب للمرة الأخيرة فى حياته التى لم يبقَ فيها سوى لحظات قليلة .

وبالقطع لم يشك جليات لحظة واحدة وهو يتوعد داود أنه سيعطي لحمه لطيور السماء ولوحوش البرية ... تماما كما لم يشك فرعون مصر قبله أنه سيفعل نفس الشيء بموسى وشعبه ، و لم يشك نبوخذ نصر بعده أن النار لن تبقي أثرا لرماد الفتية الثلاثة ، ولم يشك كثير من الأباطرة والطغاة أنهم سيقضون تماماً على المسيحية ، ولكن يقين كل هؤلاء يتبدد بنفخة من فم الله .

فَقَالَ دَاوُدُ: «أَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ بِسَيْفٍ وَبِرُمْحٍ وَبِتُرْسٍ. وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ بِاسْمِ رَبِّ الْجُنُودِ إِلَهِ صُفُوفِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ عَيَّرْتَهُمْ. (١صم ١٧ : ٤٥)



لا شك أن كثيراً منا قد استمتع في صباه وهو ينصت لتلك القصة مرة أو مرات من الآباء والجدود وخدام الكنيسة ولا شك أن هذه الآية بالذات كانوا يختارونها كي نحفظها بالقلب لا باللسان . ففيها محور المقارنة بين حكمة العالم وحكمة الله و بنيه. وفيها يجاهر داود بإيمانه بقوة الاسم القدوس هذا الاسم الذي به تخرج الشياطين وتنفتح أعين العميان وبه يقول بطرس للأعرج : **«لَيْسَ لِي فِضَّةٌ وَلاَ ذَهَبٌ وَلَكِنِ الَّذِي لِي فَإِيَّاهُ أُعْطِيكَ ؛ بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ قُمْ وَامْشِ».** (أع ٣ : ٦)

نعم نحن نؤمن بقوة هذا الاسم القدوس الذي لله ونستخدمه فى كل طقوسنا فاسم الله هو برج حصين تقشعر منه الشياطين وليس اسم آخر تحت السماء به ينبغي أن نخلص

كانت صيحات الفلسطينيين عالية مدوية تُحمِس جليات أن يسرع بالإجهاز على الفتى المغرور و على الجبل الآخر كانت الصيحات خافتة وباهتة لجيش يفتقد القائد

القدوة، ما عدا شخص واحد كان يتعجب كيف أن هذا الفتى الذي ظهر هكذا بدون مقدمات يكاد يستخدم نفس الكلمات التي يجيش بها خاطره كان هذا الشخص هو يوناثان بن شاول الذي يقول في نفسه " ترى هل سمعني داود عندما قلت أنَّهُ ليس للرب مانع عن أن يخلص بالكثير أو بالقليل ؟ ... لو فعلها هذا الفتى سيكون بالحق صديق عمري."

هَذَا الْيَوْمَ يَحْبِسُكَ الرَّبُّ فِي يَدِي فَأَقْتُلُكَ وَأَقْطَعُ رَأْسَكَ. وَأُعْطِي جُثَثَ جَيْشِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ هَذَا الْيَوْمَ لِطُيُورِ السَّمَاءِ وَحَيَوَانَاتِ الأَرْضِ .(١صم ١٧ : ٤٦)

أعتقد أن يد داود كانت أصغر من إصبع جليات ! ورغم ذلك يتوعده أن يقتله ويقطع رأسه ..... كيف اقتنيت هذا الإيمان العميق يا فتى ؟ وبم ستقطع رأس جليات وأنت لا تحمل سيفاً؟ هل بأظافرك أم بأسنانك ؟ أي إيمان هذا الذي يجعلك تتشدد وكأنك ترى من لا يُرى ؟ وتثق أنك لن تقتل جليات فقط .. بل كل جيشه ليكونوا طعاما لطيور السماء .

فَتَعْلَمُ كُلُّ الأَرْضِ أَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ لإِسْرَائِيلَ. وَتَعْلَمُ هَذِهِ الْجَمَاعَةُ كُلُّهَا أَنَّهُ لَيْسَ بِسَيْفٍ وَلاَ بِرُمْحٍ يُخَلِّصُ الرَّبُّ، لأَنَّ الْحَرْبَ لِلرَّبِّ وَهُوَ يَدْفَعُكُمْ لِيَدِنَا».(١صم ١٧ : ٤٧)

هنا يكمن الهدف الحقيقي لداود وهو أن يبلغ الأرض كلها من هو إله إسرائيل ، وعندما يكون الهدف هو مجد الله فإنه يغدق علينا القوة والجرأة والحكمة ... والحقيقة أن الجميع هناك كانوا في حاجة لمعرفة إله إسرائيل ؛ شعب الله لذي لم يجرؤ جندي واحد منه أن يتسلح بالاسم القدوس ويحارب جليات ، وعلى الطرف الآخر جيش الفلسطينيين وغيرهم من الأمم الذين يجدفون على الاسم القدوس ولا يدرون أنه سيأتي يوم قريب فيه ستجثو له كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض . .. مرات كثيرة نود أن يسمع الآخرون عن إلهنا بينما الحقيقة أن كثيراً منا ما زالوا يجهلونه .

وَرَكَضَ نَحْوَ الصَّفِّ لِلِقَاءِ الْفِلِسْطِينِيِّ. وَمَدَّ دَاوُدُ يَدَهُ إِلَى الْكِنْفِ وَأَخَذَ مِنْهُ حَجَراً وَرَمَاهُ بِالْمِقْلاَعِ، وَضَرَبَ الْفِلِسْطِينِيَّ فِي جِبْهَتِهِ، فَانْغَرَزَ الْحَجَرُ فِي جِبْهَتِهِ وَسَقَطَ

عَلَـى وَجْهِـهِ إِلَـى الأَرْضِ. فَـتَمَكَّنَ دَاوُدُ مِـنَ لْفِلِـسْطِينِيِّ بِـالْمِقْلاَعِ وَالْحَجَـرِ، وَضَـرَبَ الْفِلِسْطِينِيَّ وَقَتَلَهُ.

وَلَمْ يَكُنْ سَيْفٌ بِيَدِ دَاوُدَ. فَرَكَضَ دَاوُدُ وَوَقَفَ عَلَى الْفِلِسْطِينِيِّ وَأَخَذَ سَيْفَهُ وَاخْتَرَطَهُ (أخرجه) **مِنْ غِمْدِهِ وَقَتَلَهُ وَقَطَعَ بِهِ رَأْسَهُ.**

فَلَمَّا رَأَى الْفِلِسْطِينِيُّونَ أَنَّ جَبَّارَهُمْ قَدْ مَاتَ هَرَبُوا. (١صم ١٧ : ٤٨ – ٥١)

فى لحظات انهار هذا العملاق الذي يشبه القلعة الحصينة وتبدد معه الكابوس الذي ظل جاثماً أربعين يوماً على صدور بني إسرائيل .. مجرد حجر أملس من مقلاع شخص تدرب على الإيمان أكثر مما تدرب على رمي المقلاع .

<u>تأمل روحي</u> <u>سقوط مملكة إبليس</u> : كم من قلاع كانت تبدو وكأنها خالدة أبدية فى الوقت الذي كانت فيه لى وشك الفناء ، ومن كان يظن فى عصر دقلديانوس الطاغية أن روما العظيمة ستتحول إلى المسيحية بعد سنوات قليلة على يد قسطنطين ، من كان يظن أو حتى يحلم أن تنهار الشيوعية فى شرق أوروبا خلال شهور قليلة . المجموعات القلية من المؤمنين الذين واظبوا على الصلاة من أجل هذا الأمر كانت دائما تتهم بالجنون .

أخي الحبيب إذا رأيت جليات في أي وقت يعير صفوف الله الحي فلا تجزع . وتذكر كلمات وأفعال داود وتذكر مصير جليات ، بل وكل جليات .

كان المقلاع الذي استخدمه داود آلة فى غاية البساطة ، كعادة الله دائما عندما يستخدم أسلحة تبدو فى عيون الناس بدائية بل متخلفة ولكنها في يد الله تصنع العجائب. ويتكون المقلاع من حبل طوله متر تقريباً ينتهي بجراب صغير يوضع فيه الحجر ويبدأ الرامي فى تدوير الحبل حتى يصل للسرعة المطلوبة فينطلق منها الحجر بقوة . ولكن دقة التصويب بهذه الآلة البسيطة أمر فى غاية الصعوبة .. ولكن الذي حدث أن أول رمية جعلت الحجر يصيب الجزء الوحيد المكشوف من جسم جليات وهو جبهته، فيسقط مغشياً عليه

تأمل روحي **نعمة الله أم مهارة داود:** لا شك أن قوة الله هي التي جعلت المعركة تنتهي سريعاً ، ولكن هل هذا يعني أن مهارة داود فى التصويب ليس لها قيمة ؟ ...

لا فالله استخدم موهبة داود كي يحقق النصر بها .. تماما كما استعمل الخمس خبزات والسمكتين و استعمل الحكمة التي تهذب بها موسى فى قصر فرعون ، واستعمل الثقافة الواسعة التى لبولس الرسول ... لذا يا عزيزي إذا كان لديك وزنة ما فاحرص على تنميتها ولا تهملها سواء كانت عملك أو هوايتك . وضعها بين يدي الله فهو سيصنع بها عجائب ليس لمهارتك ولكن لأمانتك وأنت تضعها بين يديه . ويلخص سليمان الحكيم هذا الفكر فى كلمات بليغة : **"اَلْفَرَسُ مُعَدٌّ لِيَوْمِ الْحَرْبِ أَمَّا النُّصْرَةُ فَمِنَ الرَّبِّ"** . (أمثال ٢١: ٣١)

تأمل روحي **سيف جليات:** يشدد الكتاب المقدس على التأكيد أن داود لم يكن يحمل سلاحاً ولكن جليات قُـتِـل بسيفه الشخصي وكأن الله يريد أن يقول لنا أن الأسلحة التي تخافون أن تفتك بكم ستكون بين أيديكم أنتم وستكون سبباً لنصرتكم . والأسلحة التي يعتمد عليها الآخرون ستكون هي سبب هزيمتهم.

بعد هذه القصة بستمائة عام تقريبا وفى بابل – أرض السبي - أعد هامان صليبا ضخما لمردخاي ارتفاعه ٢٥ متراً وليلة تنفيذ الحكم تذكر الملك فضل مردخاي عليه يوم أنقذ حياته من مؤامرة لاغتياله . فأكرم مردخاي في موكب عظيم وبعدها بيومين كان هامان معلقا على الصليب الذي صنعه بيديه .

و أعد إبليس صليباً بأيدي قيافا وبيلاطس وغيرهم لينهي به حياة الرب يسوع المسيح ظناً منه أن هذا الصليب سينهي النهضة الروحية التى أحدثها النجار الجليلي ولكن كانت الصدمة العظمى لإبليس عندما اكتشف أن الذي مات على الصليب قد حرر كل الأبرار المحبوسين فى الجحيم وصار الصليب هو العلامة التى ترعب إبليس وتذكره بهزيمته المخزية . وعاد الشيطان مرة أخرى ليستغل حماس وغيرة شاب يدعى شاول الطرسوسي فكان شاول سلاحاً في يد إبليس يخيف ويؤذي المؤمنين وبعد قليل ضحى إبليس لا يكره على وجه الأرض شخصاً قدر ما يكره بولس الرسول .

انتصار داود يفتح الباب لانتصار الإسرائيليين

فَقَامَ رِجَالُ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا وَهَتَفُوا وَلَحِقُوا الْفِلِسْطِينِيِّينَ حَتَّى مَجِيئِكَ إِلَى الْوَادِي وَحَتَّى أَبْوَابِ عَقْرُونَ. فَسَقَطَتْ قَتْلَى الْفِلِسْطِينِيِّينَ فِي طَرِيقِ شَعَرَايِمَ إِلَى جَتَّ وَإِلَى عَقْرُونَ. ثُمَّ رَجَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ الاحْتِمَاءِ وَرَاءَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَنَهَبُوا مَحَلَّتَهُمْ (معسكرهم) **. وَأَخَذَ دَاوُدُ رَأْسَ الْفِلِسْطِينِيِّ وَأَتَى بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَوَضَعَ أَدَوَاتِهِ فِي خَيْمَتِهِ.** (١صم ١٧ : ٥٢ – ٥٤)

بعد أن عرف الطرفان من هو إله إسرائيل وما هي قوته كان النصر المبين نتيجة حتمية تمت بسرعة بدون خسائر ... أما داود فأخذ رأس جليات وأدواته إلى خيمته كي لا ينسى البتة ماذا صنع الرب معه .

وَلَمَّا رَأَى شَاوُلُ دَاوُدَ خَارِجاً لِلِقَاءِ الْفِلِسْطِينِيِّ قَالَ لأَبْنَيْرَ رَئِيسِ الْجَيْشِ:

«ابْنُ مَنْ هَذَا الْغُلاَمُ يَا أَبْنَيْرُ؟»

▫ فَقَالَ أَبْنَيْرُ: «وَحَيَاتِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ لَسْتُ أَعْلَمُ!»

فَقَالَ الْمَلِكُ: «اسْأَلِ ابْنُ مَنْ هَذَا الْغُلاَمُ».

وَلَمَّا رَجَعَ دَاوُدُ مِنْ قَتْلِ الْفِلِسْطِينِيِّ أَخَذَهُ أَبْنَيْرُ وَأَحْضَرَهُ أَمَامَ شَاوُلَ وَرَأْسُ الْفِلِسْطِينِيِّ بِيَدِهِ. # فَقَالَ لَهُ شَاوُلُ: «ابْنُ مَنْ أَنْتَ يَا غُلاَمُ؟»

+ فَقَالَ دَاوُدُ: «ابْنُ عَبْدِكَ يَسَّى الْبَيْتَلَحْمِيِّ». (١صم ١٧ : ٥٥ -٥٨)

عجيب هو أمر شاول كيف نسي داود ؟ ربما تكون فترة طويلة قد مرت على الوقت الذي كان فيه داود يذهب له في قصره عندما كان الروح الرديء يباغته ، وخلال هذه الفترة تغير شكل داود حتى أنه لم يعرفه . وربما كان شاول لا يرى داود إلا أثناء هذه النوبات ، فمتى أفاق منها ينسى تماماً ما حدث خلالها . وتأكد أبنير رئيس الجيش من شخصيته فأجابه داود أنه ابن يسى من بيت لحم يهوذا ، السبط الذي يخرج منه الأسد ، يخرج منه المدبر الذي يرعى شعب إسرائيل .

صداقة داود ويوناثان

وَكَانَ لَمَّا فَرَغَ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَ شَاوُلَ أَنَّ نَفْسَ يُونَاثَانَ تَعَلَّقَتْ بِنَفْسِ دَاوُدَ، وَأَحَبَّهُ يُونَاثَانُ كَنَفْسِهِ. فَأَخَذَهُ شَاوُلُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ وَلَمْ يَدَعْهُ يَرْجعُ إِلَى بَيْتِ أَبِيهِ. وَقَطَعَ يُونَاثَانُ وَدَاوُدُ عَهْداً لأَنَّهُ أَحَبَّهُ كَنَفْسِهِ. وَخَلَعَ يُونَاثَانُ الْجُبَّةَ الَّتِي عَلَيْهِ وَأَعْطَاهَا لِدَاوُدَ مَعَ ثِيَابِهِ وَسَيْفِهِ وَقَوْسِهِ وَمِنْطَقَتِهِ. (١صم ١٨: ١-٤)



شرحنا فيما سبق كيف أن تشابه الحياة الروحية لداود و يوناثان كانت حجر الأساس للصداقة الخالدة التى جمعتهما ، والحق أن الصداقات قد تنشأ لأسباب كثيرة ولكن الصداقة المبنية على الأساس الروحي لها طعم مختلف . ومن أجمل وأعجب ما فيها أنها قد تجمع بين طبقات مختلفة وثقافات مختلفة ... أما فى هذه الحالة الفريدة فهي تجمع بين شخصين من المفروض أنهما يتنافسان على العرش ، وكم من أصدقاء خسروا صداقتهم بسبب التنافس على فتاة أو وظيفة أو حفنة أموال ، أما هذان الصديقان فكانت صداقتهما الروحية أقوي من العرش وشهوة الكرسي .

وهكذا نجد أن الصديق الروحي لداود قد صار أقرب إليه من أخوته الذين احتقروه ولم يفهموا دوافعه الروحية ، وفى باقي سيرة داود لا نجد ذكراً آخر لأخوته بينما تظل صداقته ليوناثان مستمرة حتى بعد موته .

تزايد شهرة داود وغيرة شاول

وَكَانَ دَاوُدُ يَخْرُجُ إِلَى حَيْثُمَا أَرْسَلَهُ شَاوُلُ. كَانَ يُفْلِحُ. فَجَعَلَهُ شَاوُلُ عَلَى رِجَالِ الْحَرْبِ. وَحَسُنَ فِي أَعْيُنِ جَمِيعِ الشَّعْبِ وَفِي أَعْيُنِ عَبِيدِ شَاوُلَ أَيْضاً. وَكَانَ عِنْدَ مَجِيئِهِمْ حِينَ رَجَعَ دَاوُدُ مِنْ قَتْلِ الْفِلِسْطِينِيِّ أَنَّ النِّسَاءَ خَرَجَتْ مِنْ جَمِيعِ مُدُنِ إِسْرَائِيلَ بِالْغِنَاءِ وَالرَّقْصِ لِلِقَاءِ شَاوُلَ الْمَلِكِ بِدُفُوفٍ وَبِفَرَحٍ وَبِمُثَلَّثَاتٍ. فَغَنَّتِ النِّسَاءُ اللاَّعِبَاتُ وَقُلْنَ: «ضَرَبَ شَاوُلُ أُلُوفَهُ وَدَاوُدُ رِبْوَاتِهِ. (الربوة تساوي عشرة آلاف) **فَغَضِبَ شَاوُلُ جِدّاً وَسَاءَ هَذَا الْكَلاَمُ فِي عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: «أَعْطَيْنَ دَاوُدَ رِبْوَاتٍ وَأَمَّا أَنَا فَأَعْطَيْنَنِي الأُلُوفَ! وَبَعْدُ فَقَطْ تَبْقَى لَهُ الْمَمْلَكَةُ!»**

فَكَانَ شَاوُلُ يُعَايِنُ (يغير من) **دَاوُدَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَصَاعِداً.** (١صم ١٨: ٥ ـ٩)

غنت النساء بحسن نية ، ولم تفكر إحداهن أن كلمات الأغنية قد تكون سبباً في بدء نزاع طويل بين الملك وداود ، وربما فكر ت إحداهن ولكنها لم تهتم ، ولكن النتيجة كانت سيئة للغاية ؛ حيث اشتعلت نار الغيرة فى قلب الملك لأن النساء أعطين داود كرامة أكبر فى الهتاف والأغاني . ولعل هذا يعلمنا أن التعامل مع الرؤساء وذوي المناصب يحتاج إلى الكثير من اللباقة والكياسة التى ربما نغفلها فى معاملاتنا اليومية ولكن يجب أن نحرص عليها جداً فى التعامل مع الرؤساء . كما أن الكلام بدون حساب وبدون حكمة قد يتسبب في تعب النفوس الضعيفة مثل شاول الملك الذي اكتوى بنار الغيرة المرة .

فى الإصحاح السابق أحب شاول داود جداً أما الآن فقد دخلت الغيرة والحسد إلى قلبه و لعله بدأ يقلق على ضياع المملكة ويتذكر كلمات صموئيل النبي **«لأَنَّكَ رَفَضْتَ كَلاَمَ الرَّبِّ، فَرَفَضَكَ الرَّبُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ مَلِكاً عَلَى إِسْرَائِيلَ... يُمَزِّقُ الرَّبُّ مَمْلَكَةَ إِسْرَائِيلَ عَنْكَ الْيَوْمَ وَيُعْطِيهَا لِصَاحِبِكَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ»** (١صم١٥: ٢٦ و٢٨).

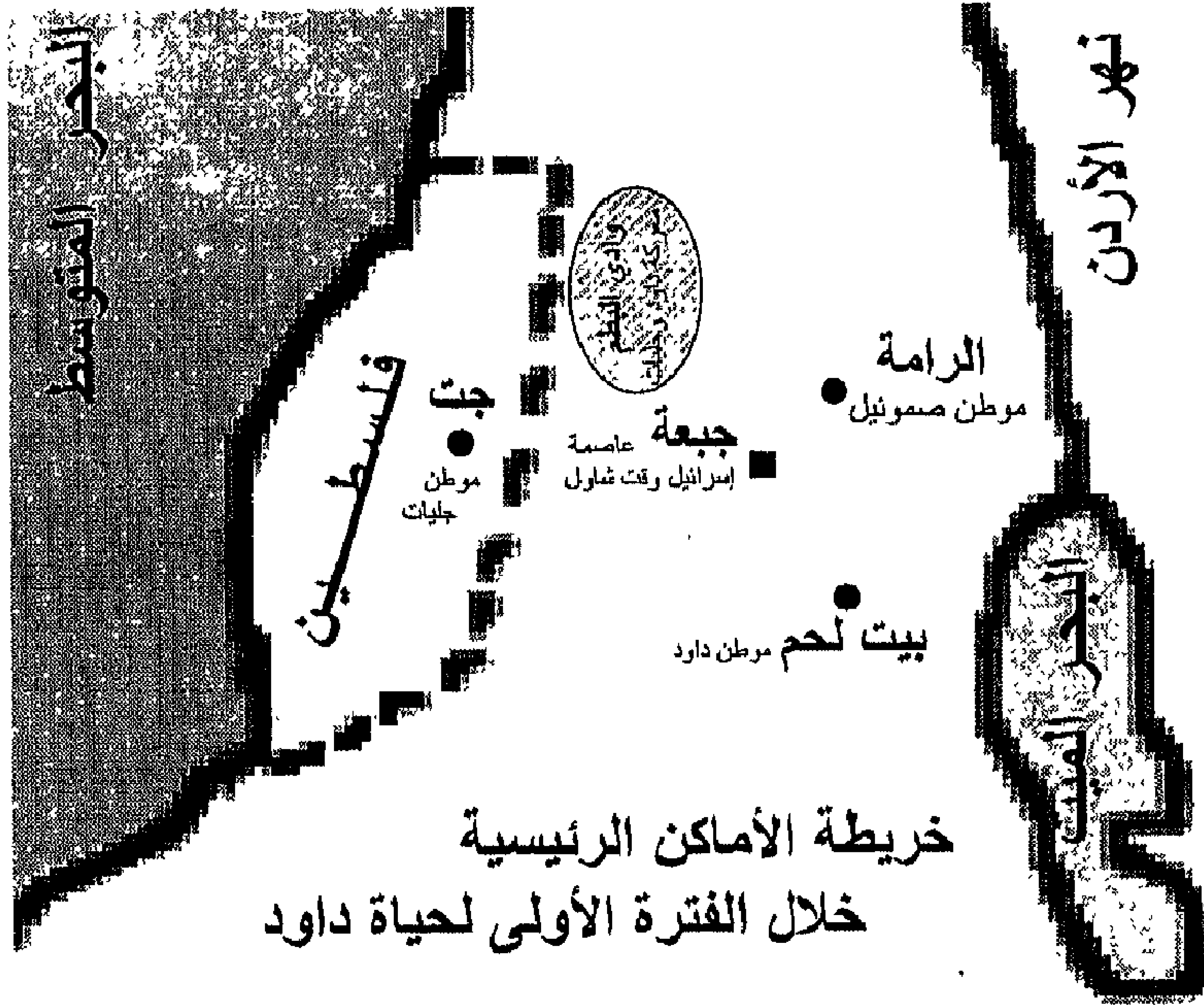
التسبيح خلال هذه المرحلة من حياة داود

تميزت هذه المرحلة من حياة داود بنوع من التسبيح يمكن أن نسميه مشاركة الخليقة فى التسبيح ، وقد استغرقت هذه المرحلة كل طفولته وفجر شبابه ، فقد أمضى معظمها بين المراعي الخضراء والسماء الزرقاء ، يتدرب على التسبيح وإتقان العزف على الآلات الوترية وآلات النفخ البسيطة التي يصنعها بنفسه .

وكان داود خلالها يسمع كل الخليقة وهي تشاركه نغمات التسبيح : فالسموات تحدث بمجد الله .... والفلك يخبر بعمل يديه ، والرب راعيه الذي يطعمه في المراعي الخضراء ويرويه من مياه الراحة ، و البار يشبه شجرة مغروسة على مجاري المياه ، ويري الأيائل (ذكر الغزال) تجري عطشانة ملهوفة على الارتواء فيرى فيها صورة من شوقه كي ينهل من نبع الحب الإلهي ..... إلخ إلخ من صور مشاركة الجماد والنبات والطيور والحيوان فى التسبيح .

وهذه المرحلة من التسبيح لا بد أن يمر بها و يستفيد منها كل من يريد أن يتتلمذ فى مدرسة التسبيح ، وحتى لمن قطع شوطاً طويلا في التسبيح بأنواعه يحتاج من حين لآخر أن يذهب فى خلوة بين أحضان الطبيعة بعيداً عن ضجيج المدينة و ، ليخلي ذهنه من الانشغال بالعمل ويركز حواسه فى تسبيح الله . ويقول مع قداسة البابا شنودة الثالث

هي ذي العين وقد أغمضـــتها عن رؤى الأشياء علّـى أن أراك
وكــــذاك الأذن لقد أخلــيتها من حديث الناس حتى أسـمعك
قلبي الخفاق أضحى مضجعك في حنايا الصدر أخفي موضعك



خريطة الأماكن الرئيسية
خلال الفترة الأولى لحياة داود

تـدور أحـداث هـذه الفتـرة فـى منطقـة محـدودة بـين البحـر الميـت ونـهـر الأردن شـ وأرض فلسطين غرباً ، وكانت فلسطين فى ذلك الوقت تحتل الشريط الساحلي للبـ المتوسط.

أهم الأماكن

الرامة	وهـى مـوطن صـموئيل النبـي حيـث أمـره الله أن يمسح داود بدلاً من شاول	جبعة	وهـى عاصـمة المملكـة فـ عـصر شـاول وتقـع فـ أراضي سبط بنيامين
بيت لحم	مـسقط رأس داود ، وتقـع فى أراضي سبط يهوذا	جت	تقع فى فلسطين وهـى مسـ رأس جليات الجبار
وادي البطم	حيث دارت المعركـة بين داود وجليات		

المرحلة الثانية من حياة داود

التسبيح وسط الضيقات

مضت أيام الهدنة والحرب الباردة بين شاول وداود ، وانتهت أيام الراحة والهناء لتبدأ سنوات العناء ، وبدأ شاول يسفر عن حقيقة مشاعره بالعمل لا بالكلام . فحاول قتله مراراً وتكراراً ، سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، ولما أيقن داود أن الحكمة تقتضي الهروب من الشر بدأ رحلة الهروب الطويلة التي استمرت أكثر من عشر سنوات عانى خلالها الأمرين ، وبقدر تلك المعاناة كانت عيناه دوماً مرفوعتين إلى السماء فيجد هناك العزاء عن كل ما على الأرض من شقاء . وعاش مرنم إسرائيل مرحلة جديدة فى حياته كان التسبيح فيها هو نبع الرجاء الذي يعينه على عبور الأزمات المتتالية .

شاول يحاول قتل داود مرتين

وَكَانَ فِي الْغَدِ أَنَّ الرُّوحَ الرَّدِيءَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ اقْتَحَمَ شَاوُلَ وَجُنَّ فِي وَسَطِ الْبَيْتِ. وَكَانَ دَاوُدُ يَضْرِبُ بِيَدِهِ كَمَا فِي يَوْمٍ فَيَوْمٍ، وَكَانَ الرُّمْحُ بِيَدِ شَاوُلَ. فَأَشْرَعَ شَاوُلُ الرُّمْحَ وَقَالَ: «أَضْرِبُ دَاوُدَ حَتَّى إِلَى الْحَائِطِ». فَتَحَوَّلَ دَاوُدُ مِنْ أَمَامِهِ مَرَّتَيْنِ. وَكَانَ شَاوُلُ يَخَافُ دَاوُدَ لأَنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَهُ وَقَدْ فَارَقَ شَاوُلَ. (١صم ١٨ : ١٠ -١٢)

حقاً هي الغيرة العمياء التي جعلت شاول يسعى لقتل داود ، الرجل الذي يبذل كل جهده لإنقاذه من الروح الرديء . فلنحذر لئلا يدفعنا الغضب والغيرة إلى التخلص من الحبيب ومن الطبيب . ونلاحظ أنه قد حاول أن يطعنه مرتين ففشل ، وجميع القوانين المدنية فى كل العالم تعطي البراءة لمن يقتل الآخر محاولاً الدفاع عن نفسه ، أما داود فلم يخطر فى باله البتة أن يحاول إيذاء شاول .

شاول يعين داود قائداً عسكرياً لكي يبعده

فَأَبْعَدَهُ شَاوُلُ عَنْهُ وَجَعَلَهُ لَهُ رَئِيسَ أَلْفٍ، فَكَانَ يَخْرُجُ وَيَدْخُلُ أَمَامَ الشَّعْبِ. وَكَانَ دَاوُدُ مُفْلِحاً فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ وَالرَّبُّ مَعَهُ. فَلَمَّا رَأَى شَاوُلُ أَنَّهُ مُفْلِحٌ جِدّاً فَزِعَ مِنْهُ.

وَكَانَ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا يُحِبُّونَ دَاوُدَ لأَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ وَيَدْخُلُ أَمَامَهُمْ.
(١ صم ١٨: ١٣ – ١٦)

لم يستطع شاول رؤية داود يومياً فى القصر فعينه قائداً لألف جندي حتى ما يرسله فى مهام حربية بعيدة وخطيرة لعله يموت بسيف الأعداء ولكن لأن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله فقد تسبب هذا الموقف في ازدياد شعبية داود ومحبة الناس له .



<u>شاول يهين داود بنقض التعهد أن يزوجه من ابنته الكبرى</u>

وَقَالَ شَاوُلُ لِدَاوُدَ: «هُوَذَا ابْنَتِي الْكَبِيرَةُ مَيْرَبُ أُعْطِيكَ إِيَّاهَا امْرَأَةً. إِنَّمَا كُنْ لِي ذَا بَأْسٍ وَحَارِبْ حُرُوبَ الرَّبِّ». فَإِنَّ شَاوُلَ قَالَ: «لاَ تَكُنْ يَدِي عَلَيْهِ، بَلْ لِتَكُنْ عَلَيْهِ يَدُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ». + فَقَالَ دَاوُدُ لِشَاوُلَ: «مَنْ أَنَا وَمَا هِيَ حَيَاتِي وَعَشِيرَةُ أَبِي فِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى أَكُونَ صِهْرَ الْمَلِكِ!» وَكَانَ فِي وَقْتِ إِعْطَاءِ مَيْرَبَ ابْنَةِ شَاوُلَ لِدَاوُدَ أَنَّهَا أُعْطِيَتْ لِعَدْرِيئِيلَ الْمَحُولِيِّ امْرَأَةً. (١ صم ١٨ : ١٧ – ١٩)

بدأ شاول يدفع داود فى حروب صعبة لعل وعسى أن يموت بسيف الفلسطينيين فيستريح منه دون أن يتهمه أحد بشيء ، فلما فشل مسعاه وعده أن يزوجه ابنته

الكبرى ميرب كما وعد قبل قتل جليات ، وبكل تواضع حقيقي رد داود أنه غير كفء لمصاهرة الملك . وعندما حان وقت إتمام الزيجة نقض شاول وعده وزوجها لآخر كي يغيظ داود ويهينه .

شاول يحاول التخلص من داود بطلب مهر مستحيل لابنته ميكال

وَمِيكَالُ ابْنَةُ شَاوُلَ أَحَبَّتْ دَاوُدَ، فَأَخْبَرُوا شَاوُلَ، فَحَسُنَ الأَمْرُ فِي عَيْنَيْهِ.

وَقَالَ شَاوُلُ: «أُعْطِيهِ إِيَّاهَا فَتَكُونُ لَهُ شَرَكاً (فخاً) **وَتَكُونُ يَدُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ عَلَيْهِ».**

لم يكن غريباً أن تنبهر ميكال بهذا الشاب الجميل الأشقر الذي قهر جليات واكتسب صداقة أخيها يوناثان وصعد نجمه سريعاً فى كل إسرائيل وهكذا اجتمع ثلاثة من بيت الملك على حب داود ، شاول ويوناثان وميكال ولكن كل واحد منهم يحبه بطريقته ، وكل منهم يسمي مشاعره حباً ، والأيام وحدها هي التي تختبر محبة كل منهم .

أما بالنسبة لشاول فقد رأى فى هذا الانجذاب بينهما فرصة يصطاد بها داود ، وبدلاً من أن يكون الزواج عهد حب وشركة بين العروسين سعى شاول كي يجعله فخاً لاقتناص داود.إذ سيطلب منه مهراً (قاتلاً) كما سنرى في الفقرة القادمة .

وَقَالَ شَاوُلُ لِدَاوُدَ ثَانِيَةً: «تُصَاهِرُنِي الْيَوْمَ». (أي تتزوج ابنتي)

وَأَمَرَ شَاوُلُ عَبِيدَهُ: «تَكَلَّمُوا مَعَ دَاوُدَ سِرّاً قَائِلِينَ: هُوَذَا قَدْ سُرَّ بِكَ الْمَلِكُ، وَجَمِيعُ عَبِيدِهِ قَدْ أَحَبُّوكَ. فَالآنَ صَاهِرِ الْمَلِكَ».

فَتَكَلَّمَ عَبِيدُ شَاوُلَ فِي أُذُنَيْ دَاوُدَ بِهذَا الْكَلاَمِ.

+ فَقَالَ دَاوُدُ: «هَلْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ (أمر بسيط) **فِي أَعْيُنِكُمْ مُصَاهَرَةُ الْمَلِكِ وَأَنَا رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَحَقِيرٌ؟»** (أنا شخص فقير فكيف أدفع مهراً يناسب مكانة ابنة الملك)

فَأَخْبَرَ شَاوُلَ عَبِيدُهُ: «بِمِثْلِ هذَا الْكَلاَمِ تَكَلَّمَ دَاوُدُ».

فَقَالَ شَاوُلُ: «هكَذَا تَقُولُونَ لِدَاوُدَ: لَيْسَتْ مَسَرَّةُ الْمَلِكِ بِالْمَهْرِ، بَلْ بِمِئَةِ غُلْفَةٍ (الجزء الذي يقطع فى الختان) **مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ لِلانْتِقَامِ مِنْ أَعْدَاءِ الْمَلِكِ».**

وَكَانَ شَاوُلُ يَتَفَكَّرُ أَنْ يُوقِعَ دَاوُدَ بِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ.

فَأَخْبَرَ عَبِيدُهُ دَاوُدَ بِهذَا الْكَلاَمِ، فَحَسُنَ الْكَلاَمُ فِي عَيْنَيْ دَاوُدَ أَنْ يُصَاهِرَ الْمَلِكَ.

وَلَمْ تَكْمُلِ الأَيَّامُ حَتَّى قَامَ دَاوُدُ وَذَهَبَ هُوَ وَرِجَالُهُ وَقَتَلَ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ مِئَتَيْ رَجُل، وَأَتَى دَاوُدُ بِغُلَفِهِمْ فَأَكْمَلُوهَا لِلْمَلِكِ لِمُصَاهَرَةِ الْمَلِكِ. فَأَعْطَاهُ شَاوُلُ مِيكَالَ ابْنَتَهُ امْرَأَةً.

(وطبعاً كان شاول في قمة الغيظ عندما عاد داود حياً فاضطر أن يعطيه ابنته !)

فَرَأَى شَاوُلُ وَعَلِمَ أَنَّ الرَّبَّ مَعَ دَاوُدَ. وَمِيكَالُ ابْنَةُ شَاوُلَ كَانَتْ تُحِبُّهُ.

وَعَادَ شَاوُلُ يَخَافُ دَاوُدَ بَعْدُ، وَصَارَ شَاوُلُ عَدُوّاً لِدَاوُدَ كُلَّ الأَيَّامِ.

(وبقدر ما كان شاول يعادي داود كان داود يحبه أكثر وأكثر ! أمر حقاً عجيب أن تكون العدو اللدود لصديقك الودود !)

وخرَجَ أَقْطَابُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. وَمِنْ حِينِ خُرُوجِهِمْ كَانَ دَاوُدُ يُفْلِحُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ عَبِيدِ شَاوُلَ، فَتَوَقَّرَ اسْمُهُ جِدّاً. (١صم ١٨ : ٢٠ - ٣٠)

يوناثان يقنع أباه شاول ألا يؤذي داود :

وَكَلَّمَ شَاوُلُ يُونَاثَانَ ابْنَهُ وَجَمِيعَ عَبِيدِهِ أَنْ يَقْتُلُوا دَاوُدَ.

وَأَمَّا يُونَاثَانُ بْنُ شَاوُلَ فَسُرَّ بِدَاوُدَ جِدّاً.

▫ فَأَخْبَرَ يُونَاثَانُ دَاوُدَ: «شَاوُلُ أَبِي مُلْتَمِسٌ قَتْلَكَ، وَالآنَ فَاحْتَفِظْ عَلَى نَفْسِكَ إِلَى الصَّبَاحِ وَأَقِمْ فِي خُفْيَةٍ وَاخْتَبِئْ. وَأَنَا أَخْرُجُ وَأَقِفُ بِجَانِبِ أَبِي فِي الْحَقْلِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ، وَأُكَلِّمُ أَبِي عَنْكَ، وَأَرَى مَاذَا يَصِيرُ وَأُخْبِرُكَ».

وَتَكَلَّمَ يُونَاثَانُ عَنْ دَاوُدَ حَسَناً مَعَ شَاوُلَ أَبِيهِ وَقَالَ لَهُ:

▫ «لاَ يُخْطِئِ الْمَلِكُ إِلَى عَبْدِهِ دَاوُدَ، لأَنَّهُ لَمْ يُخْطِئْ إِلَيْكَ، وَلأَنَّ أَعْمَالَهُ حَسَنَةٌ لَكَ جِدّاً. فَإِنَّهُ وَضَعَ نَفْسَهُ بِيَدِهِ وَقَتَلَ الْفِلِسْطِينِيَّ فَصَنَعَ الرَّبُّ خَلاَصاً عَظِيماً لِجَمِيعِ إِسْرَائِيلَ. أَنْتَ رَأَيْتَ وَفَرِحْتَ. فَلِمَاذَا تُخْطِئُ إِلَى دَمٍ بَرِيءٍ بِقَتْلِ دَاوُدَ بِلاَ سَبَبٍ؟»

فَسَمِعَ شَاوُلُ لِصَوْتِ يُونَاثَانَ، وَحَلَفَ شَاوُلُ:

«حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ لاَ يُقْتَلُ». فَدَعَا يُونَاثَانُ دَاوُدَ وَأَخْبَرَهُ بِجَمِيعِ هَذَا الْكَلاَمِ.

ثُمَّ جَاءَ يُونَاثَانُ بِدَاوُدَ إِلَى شَاوُلَ فَكَانَ أَمَامَهُ كَأَمْسٍ وَمَا قَبْلَهُ. (١ صم ١٩ : ١ – ٧)

اعتدنا دائماً أن ينصح الآباء الحكماء أبناءهم الطائشين المندفعين ولكن هنا تنقلب الآية تماما فنرى الصغير هو الذي يرشد الكبير إلى الحق .حكمة هذا العالم تقول لشاول أن العرش لن يستتب ليوناثان إلا بالتخلص من داود . أما الحكمة التى من فوق فتقول

ليوناثان أن الله هو الذي اختار داود ، وهو خير من يؤدي المهمة لمصلحة الأمة كلها.
فلنسمع ما يقوله يعقوب الرسول وهو يقارن بين الحكمتين :

وَلكِنْ إِنْ كَانَ لَكُمْ غَيْرَةٌ مُرَّةٌ وَتَحَزُّبٌ فِي قُلُوبِكُمْ، فَلاَ تَفْتَخِرُوا وَتَكْذِبُوا عَلَى الْحَقِّ. لَيْسَتْ هَذِهِ الْحِكْمَةُ نَازِلَةً مِنْ فَوْقُ، بَلْ هِيَ أَرْضِيَّةٌ نَفْسَانِيَّةٌ شَيْطَانِيَّةٌ. لأَنَّهُ حَيْثُ الْغَيْرَةُ وَالتَّحَزُّبُ هُنَاكَ التَّشْوِيشُ وَكُلُّ أَمْرٍ رَدِيءٍ. وَأَمَّا الْحِكْمَةُ الَّتِي مِنْ فَوْقُ فَهِيَ أَوَّلاً طَاهِرَةٌ، ثُمَّ مُسَالِمَةٌ، مُتَرَفِّقَةٌ، مُذْعِنَةٌ، مَمْلُوَّةٌ رَحْمَةً وَأَثْمَاراً صَالِحَةً، عَدِيمَةُ الرَّيْبِ وَالرِّيَاءِ . (يع ٣ : ١٤ – ١٧)

شاول ينقض العهد ويحاول قتل داود بالرمح مرة ثالثة :

وَعَادَتِ الْحَرْبُ تَحْدُثُ، فَخَرَجَ دَاوُدُ وَحَارَبَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَضَرَبَهُمْ ضَرْبَةً عَظِيمَةً فَهَرَبُوا مِنْ أَمَامِهِ. وَكَانَ الرُّوحُ الرَّدِيءُ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ عَلَى شَاوُلَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَيْتِهِ وَرُمْحُهُ بِيَدِهِ، وَكَانَ دَاوُدُ يَضْرِبُ بِالْيَدِ. فَالْتَمَسَ شَاوُلُ أَنْ يَطْعَنَ دَاوُدَ بِالرُّمْحِ حَتَّى إِلَى الْحَائِطِ، فَفَرَّ مِنْ أَمَامِ شَاوُلَ فَضَرَبَ الرُّمْحَ إِلَى الْحَائِطِ. فَهَرَبَ دَاوُدُ وَنَجَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ.(١ صم ١٩ : ٨ – ١٠)

يظن القارئ لأول وهلة أنه قد قرأ هذه الفقرة قبل ذلك ولكن الحقيقة هي أن شاول لا يتعظ من أخطائه ويكرر نفس الخطأ مرة ومرات متجاهلاً صوت الرب الذي يحميه من ارتكاب هذا الجرم البشع ، ولكنه العناد الذي يجعلنا نقاوم عمل الله . وهي أيضا رحمة الله وأناته التى تعطينا الفرصة تلو الأخرى حتى نتوب ولا نموت بخطايانا .

وهو قطعاً أمر عسير جداً ، أن تذهب بقدميك لتقف أمام من حاول أن يقتلك أكثر من مرة وفى كل منها يحاول داود أن يقنع نفسه أنها لحظة غضب وجنون من شاول ولن تتكرر ولكن ها هي تتكرر مرة تلو الأخرى ولكن كل هذه المحاولات لم تفلح أن تقضي على محبته لشاول ولا حتى أن تنقصها !

شاول يرسل الجنود لقتل داود فى منزله :

فَأَرْسَلَ شَاوُلُ رُسُلاً إِلَى بَيْتِ دَاوُدَ لِيُرَاقِبُوهُ وَيَقْتُلُوهُ فِي الصَّبَاحِ . فَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ مِيكَالُ امْرَأَتُهُ: «إِنْ كُنْتَ لاَ تَنْجُو بِنَفْسِكَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ فَإِنَّكَ تُقْتَلُ غَداً». فَأَنْزَلَتْ مِيكَالُ

دَاوُدَ مِنَ الْكُوَّةِ (الشباك) فَذَهَبَ هَارِباً وَنَجَا.فَأَخَذَتْ مِيكَالُ التَّرَافِيمَ (تمثال) وَوَضَعَتْهُ فِي الْفِرَاشِ، وَوَضَعَتْ لِبْدَةَ الْمِعْزَى (مخدة) تَحْتَ رَاسِهِ وَغَطَّتْهُ بِثَوْبٍ.

وَأَرْسَلَ شَاوُلُ رُسُلاً لأَخْذِ دَاوُدَ،

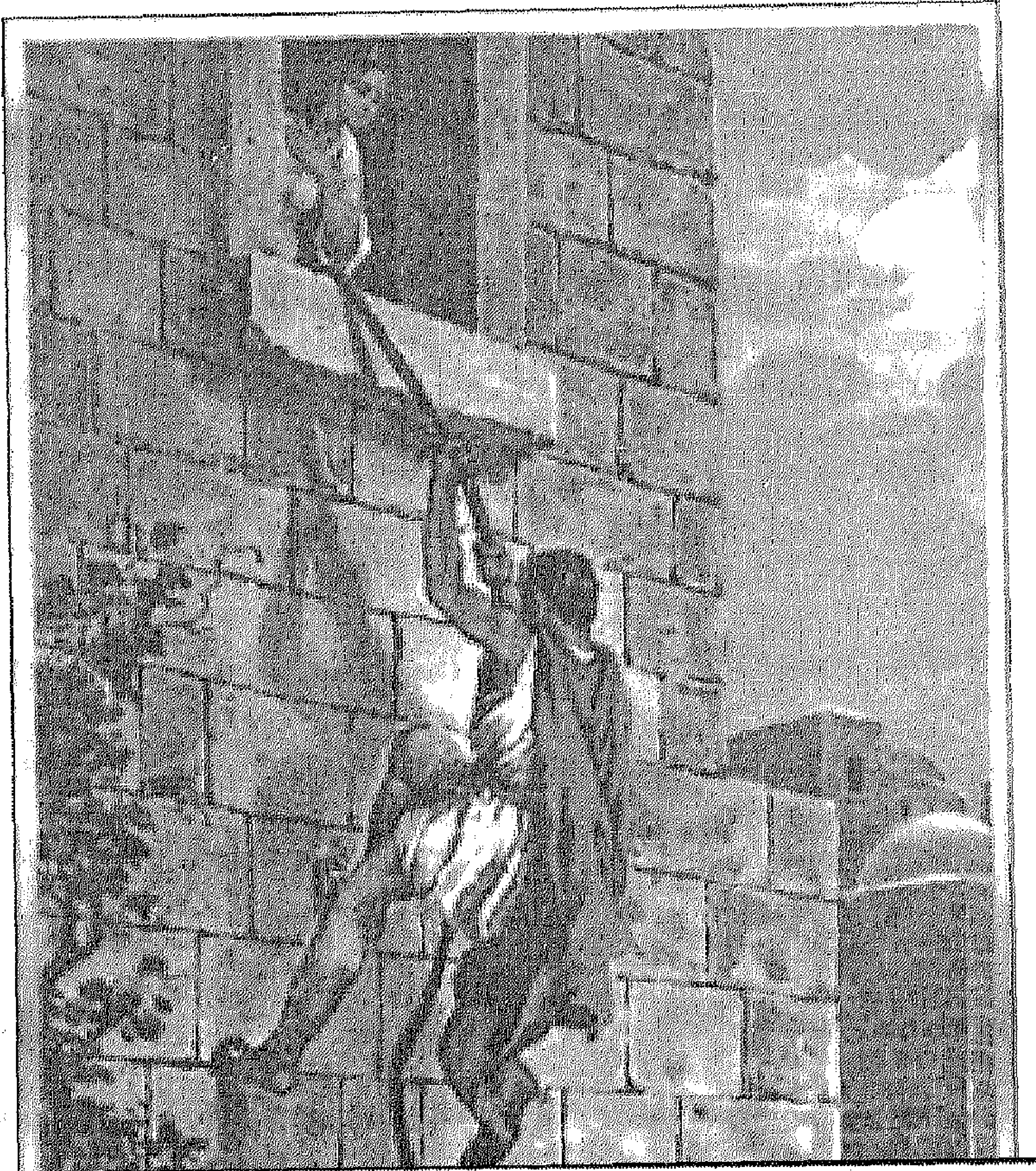
▫ **فَقَالَتْ:** «هُوَ مَرِيضٌ».

ثُمَّ أَرْسَلَ شَاوُلُ الرُّسُلَ لِيَرُوا دَاوُدَ قَائِلاً: «**اصْعَدُوا بِهِ إِلَيَّ عَلَى الْفِرَاشِ لأَقْتُلَهُ**».

فَجَاءَ الرُّسُلُ وَإِذَا فِي الْفِرَاشِ التَّرَافِيمُ وَلِبْدَةُ الْمِعْزَى تَحْتَ رَاسِهِ.

فَقَالَ شَاوُلُ لِمِيكَالَ: «**لِمَاذَا خَدَعْتِنِي، فَأَطْلَقْتِ عَدُوِّي حَتَّى نَجَا؟**»

▫ **فَقَالَتْ مِيكَالُ لِشَاوُلَ:** «**هُوَ قَالَ لِي: أَطْلِقِينِي، لِمَاذَا أَقْتُلُكِ؟**». (١ صم١٩: ١١ــ ١٧)



جن جنون شاول بعد أن باءت كل محاولات اغتيال داود بالفشل ، ولم يعد يهمه أن يقتله فى الخفاء أو فى العلن فأرسل جنوده ليقتلوه فى فراشه ــ الذي هو بيت ابنته ميكال .

تأمل روحي : الحكم قبل المداولة ! لا أدري كيف كان شاول يبرر موقفه أمام الحاشية وسعيه لقتل زوج ابنته البطل الذي أنقذ الأمة كلها ؟ . ولكن متى كان الطغاة يهتمون بالتهمة ونوعها؟ فهم يصدرون الحكم أولاً ثم يبحثون كيف يلفقون التهمة، فبعدما قرر رؤساء الكهنة أن يسوع يجب أن يموت لأن الشعب تركهم وذهب وراءه ، أخذوا يفكرون في التهمة المناسبة وهل هي التجديف أم كسر السبت أم السعي لهدم الهيكل ، أو يتهموه أمام بيلاطس أنه يسعى أن يكون ملكاً ويمنع أن تعطى الجزية لقيصر، لا تهم التهمة وإنما المهم هو حكم الإعدام !

وقد أحسنت ميكال عندما ساعدت زوجها أن يهرب من الشباك لأنها تعرف جيداً شخصية أبيها وأنه لن يهدأ إلاعندما يقتل داود ، ولما عاتبها أبوها ادعت كذباً أن داود هددها حتى لا تخسر أباها . وهكذا بدأ داود رحلة الهروب من شاول والتي طالت عشرة أعوام كاملة ولم تنتهِ إلا بموت شاول .

وقد أخبرنا الوحي المقدس عن بعض المناسبات التي قيل فيها بعض المزامير ومنها المزمور ٥٩ الذي قيل في هذه الليلة أثناء هروبه وهو صلاة كل إنسان يشعر بالخوف فيلجأ لطلب المعونة الإلهية فيجد فيها الملاذ.

اَلْمَزْمُورُ التَّاسِعُ وَالْخَمْسُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى [لاَ تُهْلِكْ] (أي بنفس نغمة ترنيمة لا تهلك) .

مُذَهَّبَةٌ (قصيدة) لِدَاوُدَ لَمَّا أَرْسَلَ شَاوُلُ وَرَاقَبُوا الْبَيْتَ لِيَقْتُلُوهُ.

أَنْقِذْنِي مِنْ أَعْدَائِي يَا إِلهِي. مِنْ مُقَاوِمِيَّ احْمِنِي .

نَجِّنِي مِنْ فَاعِلِي الإِثْمِ وَمِنْ رِجَالِ الدِّمَاءِ (جنود شاول) خَلِّصْنِي لأَنَّهُمْ يَكْمُنُونَ (نصبوا كمينا) لِنَفْسِي.

الأَقْوِيَاءُ يَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ لاَ لإِثْمِي وَلاَ لِخَطِيَّتِي يَا رَبُّ.

بِلاَ إِثْمٍ مِنِّي يَجْرُونَ وَيُعِدُّونَ أَنْفُسَهُمْ.

اسْتَيْقِظْ إِلَى لِقَائِي وَانْظُرْ. وَأَنْتَ يَا رَبُّ إِلهَ الْجُنُودِ إِلهَ إِسْرَائِيلَ انْتَبِهْ لِتُطَالِبَ كُلَّ الأُمَمِ.

كُلَّ غَادِرٍ أَثِيمٍ لاَ تَرْحَمْ. سِلاَهْ (فترة صمت و قد يكون بها فاصل موسيقي) .

يَعُودُونَ عِنْدَ الْمَسَاءِ يَهِرُّونَ مِثْلَ الْكَلْبِ وَيَدُورُونَ فِي الْمَدِينَةِ.

هوَذَا يُبِقُّونَ** (يدعون كذبا) **بِأَفوَاهِهِمْ.

***سُيُوفٌ فِي شِفَاهِهِمْ. لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: [مَنْ سَامِعٌ؟]** (يبحثون عن أي تهمة ملفقة)*

أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَتَضْحَكُ بِهِمْ. تَسْتَهْزِئُ بِجَمِيعِ الأُمَمِ.

مِنْ قُوَّتِهِ** (قوة شاول والشيطان الذي يحركه) **إِلَيْكَ أَلْتَجِئُ لأَنَّ اللهَ مَلْجَأي.

إِلَهِي رَحْمَتُهُ تَتَقَدَّمُنِي. اللهُ يُرِينِي بِأَعْدَائِي .

***لاَ تَقْتُلْهُمْ لِئَلاَّ يَنْسَى شَعْبِي .** (لاحظ محبته لأعدائه)*

***تَيِّهْهُمْ بِقُوَّتِكَ وَأَهْبِطْهُمْ يَا رَبُّ تُرْسَنَا** (الترس سلاح دفاعي) .*

خَطِيَّةُ أَفوَاهِهِمْ هِيَ كَلاَمُ شِفَاهِهِمْ.

وَلْيُؤْخَذُوا بِكِبْرِيَائِهِمْ وَمِنَ اللَّعْنَةِ وَمِنَ الْكَذِبِ الَّذِي يُحَدِّثُونَ بِهِ.

أَفْنِ بِحَنَقٍ أَفْنِ** (افن الشياطين) **وَلاَ يَكُونُوا وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مُتَسَلِّطٌ فِي يَعْقُوبَ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ. سِلاَهْ.

وَيَعُودُونَ عِنْدَ الْمَسَاءِ. يَهِرُّونَ مِثْلَ الْكَلْبِ وَيَدُورُونَ فِي الْمَدِينَةِ.

هُمْ يَتِيهُونَ لِلأَكْلِ. إِنْ لَمْ يَشْبَعُوا وَيَبِيتُوا.

***أَمَّا أَنَا فَأُغَنِّي بِقُوَّتِكَ وَأُرَنِّمُ بِالْغَدَاةِ بِرَحْمَتِكَ لأَنَّكَ كُنْتَ مَلْجَأً لِي وَمَنَاصاً فِي يَوْمِ ضِيقِي. يَا قُوَّتِي لَكَ أُرَنِّمُ لأَنَّ اللهَ مَلْجَأي إِلَهُ رَحْمَتِي.** (لاحظ كيف بدأ المزمور بمشاعر الضيق والصراخ وانتهى التسبيح بمشاعر الرجاء والفرح والغناء)*

داود يهرب إلى الرامة عند صموئيل :

فَهَرَبَ دَاوُدُ وَنَجَا وَجَاءَ إِلَى صَمُوئِيلَ فِي الرَّامَةِ وَأَخْبَرَهُ بِكُلِّ مَا عَمِلَ بِهِ شَاوُلُ.

وَذَهَبَ هُوَ وَصَمُوئِيلُ وَأَقَامَا فِي نَايُوتَ.

فَأُخْبِرَ شَاوُلُ وَقِيلَ لَهُ: «هُوَذَا دَاوُدُ فِي نَايُوتَ فِي الرَّامَةِ».

فَأَرْسَلَ شَاوُلُ رُسُلاً لأَخْذِ دَاوُدَ. وَلَمَّا رَأَوْا جَمَاعَةَ الأَنْبِيَاءِ (المكرسين) **يَتَنَبَّأُونَ** (بمعنى يُسَبِّحون)، **وَصَمُوئِيلَ وَاقِفاً رَئِيساً عَلَيْهِمْ، كَانَ رُوحُ اللَّهِ عَلَى رُسُلِ شَاوُلَ فَتَنَبَّأُوا** (اشتركوا فى التسبيح) **هُمْ أَيْضاً.**

وَأَخْبَرُوا شَاوُلَ، فَأَرْسَلَ رُسُلاً آخَرِينَ، فَتَنَبَّأُوا هُمْ أَيْضاً.

ثُمَّ عَادَ شَاوُلُ فَأَرْسَلَ رُسُلاً ثَالِثَةً، فَتَنَبَّأُوا هُمْ أَيْضاً.

فَذَهَبَ هُوَ أَيْضاً إِلَى الرَّامَةِ وَجَاءَ إِلَى الْبِئْرِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي عِنْدَ سِيخُو وَسَأَلَ: «أَيْنَ صَمُوئِيلُ وَدَاوُدُ؟»

فَقِيلَ: «هَا هُمَا فِي نَايُوتَ فِي الرَّامَةِ».

فَذَهَبَ إِلَى هُنَاكَ إِلَى نَايُوتَ فِي الرَّامَةِ، فَكَانَ عَلَيْهِ أَيْضاً رُوحُ اللَّهِ فَكَانَ يَذْهَبُ وَيَتَنَبَّأُ حَتَّى جَاءَ إِلَى نَايُوتَ فِي الرَّامَةِ. فَخَلَعَ هُوَ أَيْضاً ثِيَابَهُ وَتَنَبَّأَ هُوَ أَيْضاً أَمَامَ صَمُوئِيلَ وَانْطَرَحَ عُرْيَاناً (خلع التاج والروب الملكي) **ذَلِكَ النَّهَارَ كُلَّهُ وَكُلَّ اللَّيْلِ.**

لِذَلِكَ يَقُولُونَ: «أَشَاوُلُ أَيْضاً بَيْنَ \الأَنْبِيَاءِ؟». (١صم ١٩ : ١٨ – ٢٤)

إلى أين تهرب يا داود من شاول وجنوده ؟ هداه تفكيره إلى أبيه الروحي صموئيل، فهو الذي مسحه وهو الذي سبق أن مسح شاول أيضاً ، فما كان من صموئيل إلا أن أخبره أن الحل الوحيد هو الصلاة والتسبيح فأخذه إلى مدرسة الأنبياء وهو مكان مخصص للمكرسين يشبه الدير حالياً .

ولم يكن صعباً على شاول أن يتوقع مكان داود ، فأرسل جنوده للقبض عليه .

كان صموئيل بمثابة الأب البطريرك أو رئيس الدير الذي يقود التسبيح وكانت التسبحة فى أوجها عندما دخل الجنود فأسرهم جو التسبيح و بدلاً من تنفيذ أمر القبض اشتركوا فى التسبيح ، و تكرر الأمر ثلاث مرات فما كان من شاول إلا أن ذهب بنفسه غاضباً من عصيان الجنود ومتلهفاً أن يقبض على من يظنه عدوه اللدود ....

فماذا حدث؟

كان الجو الروحي للتسبحة أقوى كثيراً من روح الشر الرديء الساكن فى شاول حتى أن الشيطان الساكن فيه لم يجرؤ أن يصحبه إلى ذلك المكان المقدس فبدأ شاول يسبح الله بمجرد اقترابه ولما دخل عادت إليه الذكريات الروحية الجميلة فخلع التاج والثياب الملكية – كعادة الملوك عند الصلاة - واشترك فى التسبيح مع الجنود والمكرسين وصموئيل وداود !!

والمؤسف أن هذا الموقف الرائع كان مجرد انفعال وقتي لم يصاحبه قرار حقيقي للتوبة ، مثل إنسان ينفعل عاطفياً فى مؤتمر أو خلوة ولكنه يخبو سريعا لأنه لم يأخذ

خطوات جادة بالتوبة والاعتراف والجهاد وقد يتكرر هذا الموقف كثيراً مما يزيد القلب صلابة وعناداً .

ونظراً لشدة غرابة هذا الموقف أصبحت جملة "أشاول أيضا بين الأنبياء؟" مثلاً يُضرب عند اشتراك شخص غير روحاني فى أي عمل روحي .

<u>تأمل روحي</u> : <u>قوة الصلاة</u> الصلاة والتسبيح لهما القدرة على فعل المستحيل ... أو ما يظنه البشر مستحيلاً . حيث أن هذه الكلمة لا وجود لها فى القاموس الإلهي . فتجعل من الأسد المزمجر حملاً وديعاً ، لذا فقد يكون كل عملك أن تأتي بأخيك البعيد إلى الكنيسة وسط التسبيح والأسرار والأيقونات ثم تصلي من أجله ليتغير حقاً مثل زكا أو السامرية وليس تغيراً وقتياً مثل شاول.

داود يتابع الهرب ويتفق مع يوناثان أن يخبره فى حالة الخطر

وهَرَبَ دَاوُدُ مِنْ نَايُوتَ فِي الرَّامَةِ،

+ وَجَاءَ وَقَالَ قُدَّامَ يُونَاثَانَ: «مَاذَا عَمِلْتُ وَمَا هُوَ إِثْمِي وَمَا هِيَ خَطِيَّتِي أَمَامَ أَبِيكَ حَتَّى يَطْلُبَ نَفْسِي؟»

▫ فَقَالَ لَهُ: «حَاشَا. لاَ تَمُوتُ. هُوَذَا أَبِي لاَ يَعْمَلُ أَمْراً كَبِيراً وَلاَ أَمْراً صَغِيراً إِلاَّ وَيُخْبِرُنِي بِهِ. وَلِمَاذَا يُخْفِي عَنِّي أَبِي هَذَا الأَمْرَ؟ لَيْسَ كَذَا».

+ فَحَلَفَ أَيْضاً دَاوُدُ وَقَالَ: «إِنَّ أَبَاكَ قَدْ عَلِمَ أَنِّي قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ، فَقَالَ (شاول) : **لاَ يَعْلَمْ يُونَاثَانُ هَذَا لِئَلاَّ يَغْتَمَّ.** (يحزن) **وَلَكِنْ حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ وَحَيَّةٌ هِيَ نَفْسُكَ إِنَّهُ كَخَطْوَةٍ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَوْتِ».** (أي أنه كاد أن يقتلني)

▫ فَقَالَ يُونَاثَانُ لِدَاوُدَ: «مَهْمَا تَقُلْ نَفْسُكَ أَفْعَلْهُ لَكَ».

+ فَقَالَ دَاوُدُ لِيُونَاثَانَ: «هُوَذَا الشَّهْرُ (العيد) **غَداً حِينَمَا أَجْلِسُ مَعَ الْمَلِكِ لِلأَكْلِ. وَلَكِنْ أَرْسِلْنِي فَأَخْتَبِئَ فِي الْحَقْلِ إِلَى مَسَاءِ الْيَوْمِ الثَّالِثِ. وَإِذَا افْتَقَدَنِي أَبُوكَ** (سأل عنى) ، **فَقُلْ: قَدْ طَلَبَ دَاوُدُ مِنِّي طِلْبَةً أَنْ يَرْكُضَ** (يذهب مسرعاً) **إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ مَدِينَتِهِ، لأَنَّ هُنَاكَ ذَبِيحَةً سَنَوِيَّةً لِكُلِّ الْعَشِيرَةِ. فَإِنْ قَالَ: حَسَناً. كَانَ سَلاَمٌ لِعَبْدِكَ. وَلَكِنْ إِنِ اغْتَاظَ غَيْظاً، فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ أُعِدَّ الشَّرُّ عِنْدَهُ. فَتَعْمَلُ مَعْرُوفاً مَعَ عَبْدِكَ،**

لأنَّكَ بِعَهْدِ الرَّبِّ أَدْخَلْتَ عَبْدَكَ مَعَكَ. وَإِنْ كَانَ فِيَّ إِثْمٌ فَاقْتُلْنِي أَنْتَ، وَلِمَاذَا تَأْتِي بِي إِلَى أَبِيكَ؟»

▫ فَقَالَ يُونَاثَانُ: «حَاشَا لَكَ! لأَنَّهُ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ الشَّرَّ قَدْ أُعِدَّ عِنْدَ أَبِي لِيَأْتِيَ عَلَيْكَ، أَفَمَا كُنْتُ أُخْبِرُكَ بِهِ؟»

+ فَقَالَ دَاوُدُ لِيُونَاثَانَ: «مَنْ يُخْبِرُنِي إِنْ جَاوَبَكَ أَبُوكَ شَيْئاً قَاسِياً؟»

▫ فَقَالَ يُونَاثَانُ لِدَاوُدَ: «تَعَالَ نَخْرُجُ إِلَى الْحَقْلِ». فَخَرَجَا كِلاَهُمَا إِلَى الْحَقْلِ.

وَقَالَ يُونَاثَانُ لِدَاوُدَ : (صلى قائلا) «يَا رَبُّ يَا إِلَهَ إِسْرَائِيلَ، مَتَى اخْتَبَرْتُ أَبِي (عرفت نيته نحو داود) مِثْلَ الآنَ غَداً أَوْ بَعْدَ غَدٍ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرٌ لِدَاوُدَ وَلَمْ أُرْسِلْ حِينَئِذٍ فَأُخْبِرَهُ، فَهكَذَا يَفْعَلُ الرَّبُّ لِيُونَاثَانَ وَهكَذَا يَزِيدُ (أي فليعاقبنى الرب) .

وَإِنِ اسْتَحْسَنَ أَبِي الشَّرَّ نَحْوَكَ، فَإِنِّي أُخْبِرُكَ وَأُطْلِقُكَ فَتَذْهَبُ بِسَلاَمٍ. وَلْيَكُنِ الرَّبُّ مَعَكَ كَمَا كَانَ مَعَ أَبِي . وَلاَ وَأَنَا حَيٌّ بَعْدُ تَصْنَعُ مَعِي إِحْسَانَ الرَّبِّ حَتَّى لاَ أَمُوتَ، بَلْ لاَ تَقْطَعُ مَعْرُوفَكَ عَنْ بَيْتِي إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ حِينَ يَقْطَعُ الرَّبُّ أَعْدَاءَ دَاوُدَ جَمِيعاً عَنْ وَجْهِ



الأَرْضِ». فَعَاهَدَ يُونَاثَانُ بَيْتَ دَاوُدَ وَقَالَ: «لِيَطْلُبِ الرَّبُّ مِنْ يَدِ أَعْدَاءِ دَاوُدَ». (أي ليهزمك أعداؤك إذا خنت العهد) **ثُمَّ عَادَ يُونَاثَانُ وَاسْتَحْلَفَ دَاوُدَ بِمَحَبَّتِهِ لَهُ لأَنَّهُ أَحَبَّهُ مَحَبَّةَ نَفْسِهِ.**

▫ **وَقَالَ لَهُ يُونَاثَانُ: «غَداً الشَّهْرُ فَتُفْتَقَدُ لأَنَّ مَوْضِعَكَ يَكُونُ خَالِياً.** (غداً العيد حيث اعتدنا أن نأكل على مائدة الملك يومين متتاليين فإذا وجد كرسيك خاليا سيسأل عنك) **وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ تَنْزِلُ سَرِيعاً وَتَأْتِي إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي اخْتَبَأْتَ فِيهِ يَوْمَ الْعَمَلِ، وَتَجْلِسُ بِجَانِبِ حَجَرِ الافْتِرَاقِ . وَأَنَا أَرْمِي ثَلاَثَةَ سِهَامٍ إِلَى جَانِبِهِ كَأَنِّي أَرْمِي هَدَفاً. وَحِينَئِذٍ أُرْسِلُ الْغُلاَمَ قَائِلاً: اذْهَبِ الْتَقِطِ السِّهَامَ. فَإِنْ قُلْتُ لِلْغُلاَمِ: هُوَذَا السِّهَامُ دُونَكَ فَجَائِياً** (بجوارك)، **خُذْهَا . فَتَعَالَ لأَنَّ لَكَ سَلاَماً** (إذا سمعت مني هذه الجملة فهي علامة أمان فلا تخف) **. لاَ يُوجَدُ شَيْءٌ. حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ. وَلكِنْ إِنْ قُلْتُ هَكَذَا لِلْغُلاَمِ: هُوَذَا السِّهَامُ دُونَكَ فَصَاعِداً** (بعيداً أمامك) **. فَاذْهَبْ لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَطْلَقَكَ** (إذا سمعت مني هذه الجملة فهي علامة خطر فاهرب). **وَأَمَّا الْكَلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمْنَا بِهِ أَنَا وَأَنْتَ فَهُوَذَا الرَّبُّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِلَى الأَبَدِ». فَاخْتَبَأَ دَاوُدُ فِي الْحَقْلِ** .(١صم ٢٠: ١- ٢٤)

بعد أن أيقن داود أن شاول يسعى لقتله بأي طريقة امتنع عن الذهاب إلى القصر واتفق مع يوناثان أن يخبره برد فعل شاول ليتأكد من حقيقة نيته ، فكان هذا الاتفاق بينهما .

<u>شاول يتوعد داود علانية أمام يوناثان :</u>

وَكَانَ الشَّهْرُ (العيد) ، **فَجَلَسَ الْمَلِكُ عَلَى الطَّعَامِ لِيَأْكُلَ. فَجَلَسَ الْمَلِكُ فِي مَوْضِعِهِ حَسَبَ كُلِّ مَرَّةٍ عَلَى مَجْلِسٍ عِنْدَ الْحَائِطِ. وَقَامَ يُونَاثَانُ وَجَلَسَ أَبْنَيْرُ** (قائد الجيش) **إِلَى جَانِبِ شَاوُلَ، وَخَلاَ مَوْضِعُ دَاوُدَ. وَلَمْ يَقُلْ شَاوُلُ شَيْئاً فِي ذلِكَ الْيَوْمِ لأَنَّهُ قَالَ: «لَعَلَّهُ عَارِضٌ**(ظرف طارئ منعه). **غَيْرُ طَاهِرٍ هُوَ. إِنَّهُ لَيْسَ طَاهِراً** (تبعا لشريعة موسى) ». **وَكَانَ فِي الْغَدِ الثَّانِي مِنَ الشَّهْرِ أَنَّ مَوْضِعَ دَاوُدَ خَلاَ**

فَقَالَ شَاوُلُ لِيُونَاثَانَ ابْنِهِ: «لِمَاذَا لَمْ يَأْتِ ابْنُ يَسَّى إِلَى الطَّعَامِ لاَ أَمْسِ وَلاَ الْيَوْمَ؟»

▫ **فَأَجَابَ يُونَاثَانُ شَاوُلَ: «إِنَّ دَاوُدَ طَلَبَ مِنِّي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَقَالَ: أَطْلِقْنِي لأَنَّ عِنْدَنَا ذَبِيحَةَ عَشِيرَةٍ فِي الْمَدِينَةِ، وَقَدْ أَوْصَانِي أَخِي بِذلِكَ. وَالآنَ إِنْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَدَعْنِي أُفْلِتُ وَأَرَى إِخْوَتِي. لِذلِكَ لَمْ يَأْتِ إِلَى مَائِدَةِ الْمَلِكِ».**

فَحَمِيَ غَضَبُ شَاوُلَ عَلَى يُونَاثَانَ وَقَالَ لَهُ: «يَا ابْنَ الْمُتَعَوِّجَةِ الْمُتَمَرِّدَةِ، أَمَا عَلِمْتُ أَنَّكَ قَدِ اخْتَرْتَ ابْنَ يَسَّى لِخِزْيِكَ وَخِزْيِ عَوْرَةِ أُمِّكَ؟ لأَنَّهُ مَا دَامَ ابْنُ يَسَّى حَيّاً عَلَى الأَرْضِ لاَ تُثْبَتُ أَنْتَ وَلاَ مَمْلَكَتُكَ. وَالآنَ أَرْسِلْ وَأْتِ بِهِ إِلَيَّ لأَنَّهُ ابْنُ الْمَوْتِ هُوَ».

▫ فَأَجَابَ يُونَاثَانُ شَاوُلَ أَبَاهُ: «لِمَاذَا يُقْتَلُ؟ مَاذَا عَمِلَ؟»

فصابى (وَجَّهَ) شَاوُلُ الرُّمْحَ نَحْوَهُ لِيَطْعَنَهُ. فَعَلِمَ يُونَاثَانُ أَنَّ أَبَاهُ قَدْ عَزَمَ عَلَى قَتْلِ دَاوُدَ. فَقَامَ يُونَاثَانُ عَنِ الْمَائِدَةِ بِحُمُوِّ غَضَبٍ وَلَمْ يَأْكُلْ خُبْزاً فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنَ الشَّهْرِ، لأَنَّهُ اغْتَمَّ عَلَى دَاوُدَ، لأَنَّ أَبَاهُ قَدْ أَخْزَاهُ. (١ صم ٢٠ : ٢٤- ٣٤)

أصبح وجه شاول سافراً وهو يعترف أمام ابنه أنه يسعى لقتل داود ، ولما دافع يوناثان عن صديق عمره شتمه أبوه بأبشع الألفاظ بل وصوب رمحه نحو ابنه ! إلى هذه الدرجة يحول إبليس الإنسان إلى وحش كاسر على استعداد أن يقتل أبناءه .

يوناثان يذهب لمقابلة داود في الحقل ليحذره من الخطر :

وَكَانَ فِي الصَّبَاحِ أَنَّ يُونَاثَانَ خَرَجَ إِلَى الْحَقْلِ إِلَى مِيعَادِ دَاوُدَ وَغُلاَمٌ صَغِيرٌ مَعَهُ.

▫ وَقَالَ لِغُلاَمِهِ: «ارْكُضِ الْتَقِطِ السِّهَامَ الَّتِي أَنَا رَامِيهَا».

وَبَيْنَمَا الْغُلاَمُ رَاكِضٌ رَمَى السَّهْمَ حَتَّى جَاوَزَهُ (رماه بعيدا عنه) . وَلَمَّا جَاءَ الْغُلاَمُ إِلَى مَوْضِعِ السَّهْمِ الَّذِي رَمَاهُ يُونَاثَانُ،

▫ نَادَى يُونَاثَانُ وَرَاءَ الْغُلاَمِ: «أَلَيْسَ السَّهْمُ دُونَكَ فَصَاعِداً؟ » (بعيداً أمامك وهى إشارة الخطر المتفق عليها) وَنَادَى يُونَاثَانُ وَرَاءَ الْغُلاَمِ: «اعْجَلْ. أَسْرِعْ. لاَ تَقِفْ».

فَالْتَقَطَ غُلاَمُ يُونَاثَانَ السَّهْمَ وَجَاءَ إِلَى سَيِّدِهِ. وَالْغُلاَمُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ شَيْئاً، وَأَمَّا يُونَاثَانُ وَدَاوُدُ فَكَانَا يَعْلَمَانِ الأَمْرَ. فَأَعْطَى يُونَاثَانُ سِلاَحَهُ لِلْغُلاَمِ الَّذِي لَهُ وَقَالَ لَهُ: «اذْهَبِ. ادْخُلْ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ». (اخترع حجة ليبعد الغلام عنه حتى يستطيع أن يودع داود).

اَلْغُلاَمُ ذَهَبَ وَدَاوُدُ قَامَ مِنْ جَانِبِ الْجَنُوبِ وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. وَقَبَّلَ كُلٌّ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، وَبَكَى كُلٌّ مِنْهُمَا مَعَ صَاحِبِهِ حَتَّى زَادَ دَاوُدُ.

▫ فَقَالَ يُونَاثَانُ لِدَاوُدَ: «اذْهَبْ بِسَلاَمٍ لأَنَّنَا كِلَيْنَا قَدْ حَلَفْنَا بِاسْمِ الرَّبِّ قَائِلَيْنِ: الرَّبُّ يَكُونُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ نَسْلِي وَنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ». فَقَامَ وَذَهَبَ، وَأَمَّا يُونَاثَانُ فَجَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ. (١صم ٢٠ : ٣٥ -٤٢)

كان يوناثان يعلم جيداً أن إنقاذ داود معناه ضياع العرش منه ولكن صداقتهما كانت أقوى من كل كنوز العالم ، لم تكن صداقة بين اثنين بل ثلاثة وثالثهم هو الرب نفسه، هكذا تكون كل صداقة أو زيجة فى الرب تتمتع بقوة وعمق لا نظير لهما .

__تأمل روحي__ : __ينبغي أن هذا يزيد__ يذكرني موقف يوناثان بموقف المعمدان الذي كان يعلم جيدا أن ابن داود – الرب يسوع – هو الملك الحقيقي وأنه ما هو إلا صديق العريس الذي يفرح ويسر أن العريس يزيد وهو ينقص وهكذا شهد للرب أمام تلاميذه ولم يسمع للوشاية التى حاول البعض أن يثيروا بها غيرته عندما أخبروه أن الناس بدءوا فى تبعية الرب يسوع أكثر منه ، بل استغل الفرصة كي يوجه تلاميذه ليتركوه ويتبعوا رب المجد .

داود يواصل الهروب إلى نوب – مدينة الكهنة

فَجَاءَ دَاوُدُ إِلَى نُوبٍ إِلَى أَخِيمَالِكَ الْكَاهِنِ. فَاضْطَرَبَ أَخِيمَالِكُ عِنْدَ لِقَاءِ دَاوُدَ

▣ وَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا أَنْتَ وَحْدَكَ وَلَيْسَ مَعَكَ أَحَدٌ؟»

+ فَقَالَ دَاوُدُ لأَخِيمَالِكَ الْكَاهِنِ: «إِنَّ الْمَلِكَ أَمَرَنِي بِشَيْءٍ وَقَالَ لِي: لاَ يَعْلَمْ أَحَدٌ شَيْئاً مِنَ الأَمْرِ الَّذِي أَرْسَلْتُكَ فِيهِ وَأَمَرْتُكَ بِهِ. وَأَمَّا الْغِلْمَانُ فَقَدْ عَيَّنْتُ لَهُمُ الْمَوْضِعَ الْفُلاَنِيَّ وَالْفُلاَنِيَّ. وَالآنَ فَمَاذَا يُوجَدُ تَحْتَ يَدِكَ؟ أَعْطِ خَمْسَ خُبْزَاتٍ فِي يَدِي أَوِ الْمَوْجُودَ».

▣ فَأَجَابَ الْكَاهِنُ دَاوُدَ: «لاَ يُوجَدُ خُبْزٌ مُحَلَّلٌ تَحْتَ يَدِي، وَلَكِنْ يُوجَدُ خُبْزٌ مُقَدَّسٌ إِذَا كَانَ الْغِلْمَانُ قَدْ حَفِظُوا أَنْفُسَهُمْ لاَ سِيَّمَا مِنَ النِّسَاءِ».

+ فَأَجَابَ دَاوُدُ الْكَاهِنَ: «إِنَّ النِّسَاءَ قَدْ مُنِعَتْ عَنَّا مُنْذُ أَمْسِ وَمَا قَبْلَهُ عِنْدَ خُرُوجِي وَأَمْتِعَةُ الْغِلْمَانِ مُقَدَّسَةٌ. وَهُوَ عَلَى نَوْعٍ مُحَلَّلٌ، وَالْيَوْمَ أَيْضاً يَتَقَدَّسُ بِالآنِيَةِ».

فَأَعْطَاهُ الْكَاهِنُ الْمُقَدَّسَ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ خُبْزٌ إِلاَّ خُبْزَ الْوُجُوهِ الْمَرْفُوعَ مِنْ أَمَامِ الرَّبِّ لِيُوضَعَ خُبْزٌ سُخْنٌ فِي يَوْمِ أَخْذِهِ. (١ صم ٢١ : ١ – ٧)

كانت نوب منطقة منعزلة – تشبه الدير حالياً - يسكنها ٨٦ كاهناً مع أسرهم يرأسهم أخيمالك ولذا رأى داود أنها مكان آمن لن يصل إليه شاول ، وإذا وصل إليها لن يجرؤ على اقتحامها احتراماً لقدسية المكان ولساكنيه .

والحقيقة أننا فى كل ما سردناه لم نعلق تعليقاً سلبياً واحداً على تصرفات داود أما الآن فنحن أمام أحد المواقف المتكررة التى نرى فيها داود يعتمد على فكره وعلى ذراعه ولا يطلب مشورة الرب فتتفاقم المشاكل عليه .

بدأ الموقف بكذبة بدت وكأنها أكذوبة صغيرة لن تضر أحداً ، أو كذبة بيضاء كما يحلو لإبليس أن يسميها حتى يسهل لنا الانغماس فيها ، وسنرى لاحقا أن ثمن هذه الكذبة كان باهظاً جداً ، فقال داود أنه جاء ليلاً فى مهمة سرية كلفه بها شاول الملك وذلك حتى لا يثير أي قلق فى نفس أخيمالك الذي تعجب وتشكك فى سر هذه الزيارة المفاجئة ، وطلب منه داود أن يمده هو وأتباعه بالطعام حيث أنهم يتضورون جوعاً منذ يومين .

وكالعادة في تلك الأماكن كانوا يخبزون صباحاً على قدر احتياجهم فقط وبعد العشاء لا يتبقى عندهم خبز فاعتذر له ، ثم تذكر أنه يوجد عنده "خبز الوجوه" وهو عبارة عن ١٢ رغيفاً – إشارة إلى الأسباط - توضع في بيت الرب كل سبت ، ثم يأكله الكهنة فقط ويبدلونه بخبز جديد طازج (لاويين ٢٤ : ٥-٩)

وخبز الوجوه يشير إلى أن هذا الطعام المقدس كان يخصص للكهنة فقط ، أما فى العهد الجديد فالخبز المقدس (الإفخارستيا) يمنح لكل فرد تائب ومستعد من الشعب .

ووقع أخيمالك فى حيرة بين نَص الوصية الصارم الذي يترك به ضيوفه جوعى ، وبين روح الوصية المرن الذي ينقذ به الموقف . ولكنه فعل حسناً عندما غلَّب المرونة على الصرامة بعدما تأكد من الطهارة الجسدية لداود ومرافقيه فأعطاهم الخبز المقدس .

وربما كان المفسرون القدماء يختلفون فى مدى صحة ما فعله أخيمالك الكاهن حتى أتى رب المجد بنفسه بعد ألف عام وامتدح هذا التصرف واستشهد به عندما كان التلاميذ يقطفون السنابل من الحقل يوم السبت - وهو تصرف كان الفريسيون يحرمونه مع أن الناموس لم يحرمه - فرد الرب على الفريسيين أن ما فعله داود قديما وتلاميذه حديثا - كليهما تصرف صائب حكيم ليحررهم من الحرفية التى تقتل، وليفتح لهم المفهوم الروحي الذي يحيي . (مت ١٢ : ١-٨) و (لو ٦ : ١ – ٥) .

تأمل روحي للمرونة وقت وللصرامة وقت : إذا استعملنا المرونة بحكمة كاستثناء فلا يجب أن نبالغ فيها و إلا أصبحت تسيباً واستهتاراً نهين به الرب ووصاياه ، ولنا في المصير التعس لعالي الكاهن وابنيه تحذير يجب ألا ننساه أبداً .

وإذا استعملنا الصرامة كقاعدة لا استثناء لها نقع في فخ الفريسية بكل ما فيها من أخطاء تصيب صاحبها بالكبرياء وتُنَفِّر الناس وتبعدهم عن طريق الله .

دواغ الأدومي يرى داود

وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ مِنْ عَبِيدِ شَاوُلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَحْصُوراً أَمَامَ الرَّبِّ (عليه نذر أو تطهير) **اسْمُهُ دُوَاغُ الأَدُومِيُّ رَئِيسُ رُعَاةِ شَاوُلَ.** (١ صم٢١: ٧)

تصادف وجود رئيس رعاة شاول الذي يدعى دواغ الأدومي في هذا المكان وللأسف من خلاله سيعرف شاول أن داود كان هناك كما سنرى فيما بعد .

+ **وَقَالَ دَاوُدُ لأَخِيمَالِكَ: «أَفَمَا يُوجَدُ هُنَا تَحْتَ يَدِكَ رُمْحٌ أَوْ سَيْفٌ، لأَنِّي لَمْ آخُذْ بِيَدِي سَيْفِي وَلاَ سِلاَحِي لأَنَّ أَمْرَ الْمَلِكِ كَانَ مُعَجِّلاً؟** (سريعاً) **»** (١ صم٢١: ٨)

للأسف الشديد يتوالى انحدار داود فمن يبدأ الكذبة الأولى تضعف مقاومته فيستكمل سلسلة الأكاذيب . والأدهى من ذلك أن داود الذي نجاه الرب من جليات ومن شاول دون أن يستعمل سلاحاً واحداً أصبح الآن يبحث عن سيف أو رمح للدفاع عن نفسه

▣ **فَقَالَ الْكَاهِنُ: «إِنَّ سَيْفَ جُلْيَاتَ الْفِلِسْطِينِيِّ الَّذِي قَتَلْتَهُ فِي وَادِي الْبُطْمِ هَا هُوَ مَلْفُوفٌ فِي ثَوْبٍ خَلْفَ الأَفُودِ** (صديري الكاهن) **، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْخُذَهُ فَخُذْهُ، لأَنَّهُ لَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ هُنَا». + فَقَالَ دَاوُدُ: «لاَ يُوجَدُ مِثْلُهُ. أَعْطِنِي إِيَّاهُ».** (١ صم٢١: ٩)

شاءت الصدف - أو بالأحرى التدابير الإلهية - أن يصل سيف جليات إلى هذا المكان حيث يحتفظ به الكهنة ليذكرهم أن قوة الرب أعظم من هذا السيف ولكن داود في هذه اللحظات صمَّ أذنيه عن سماع رسالة الله ، وكان السيف ملفوفاً خلف الأفود .

وللأفود قصة غريبة لا بد من ذكرها حتى نفهم مغزى الأحداث فقد كان الأفود يستعمل في التعرف على مشيئة الله فيما يختص بالأمور الهامة والخطيرة وقد استعمله داود عدة مرات قبل أن يتوج ملكاً على إسرائيل ، أما بعد ذلك فلا يذكر أي استعمال للأفود لا من داود ولا ممن أتى بعده من الملوك والأنبياء .



فقد كان الأفود عبارة عن صديري به حجران كريمان يسميان الأوريم والتميم يلبسه الكاهن فى الصلاة ، وقد يستعمله كي يستشير به الرب بأن يسأله مثلا هل نحارب ؟ فإن لمع أحد الحجرين فالإجابة نعم ، وإن لمع الآخر فالإجابة لا ، وإن لم يلمع أي منهما فالرب يرفض الإجابة عن السؤال . فكأن الرب عندما سمح بوجود السيف خلف الأفود يقول لداود موبخاً : ألن تسألني عن رأيي؟ ألا تطلب من الكاهن أن يلبس الأفود ويصلي ؟ أم أنك أخرجتني من حساباتك واكتفيت بقوتك وذكائك ؟ أي سلاح تبحث عنه ؟ هل هو سلاح الله أم سلاح العالم ؟

ولأن محبة أبينا السماوي تفوق الوصف فهو يحرص أن يحذر أبناءه بطرق كثيرة إذا ما رآهم على وشك الوقوع فى الخطأ . فعلها الله قديما مع قايين عندما قال له صراحة **"عِنْدَ الْبَابِ خَطِيَّةٌ رَابِضَةٌ وَإِلَيْكَ اشْتِيَاقُهَا وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا"** (تك ٤ : ٦) أي أن الخطية قريبة منك جداً وأنت تشتاق أن تقع فيها ولكني أعطيتك القوة أن تسود عليها وتهزمها . وهكذا يفعل الله معنا مراراً وتكراراً فيحذرنا قبل الخطأ بطرق مختلفة

تستطيع النفس المرهفة أن تميز فيها صوته بسهولة فإن استجابت ربحت الحياة وإن عاندت تنزلق إلى مهالك الخطيئة .

ولكن داود مرة أخرى لم يكن فى الحالة الروحية التي تجعله مصغياً للرب فتصامم عن صوته وذهب مسرعاً لأخذ السيف البتار الذي لم ينفع صاحبه يوم المعركة بل كان هذا السيف هو الذي فصل رأس جليات عن جسده . وهكذا كل أسلحة العالم يا رجال الله يأمرنا الرب أن نردها إلى غمدها لأن كل الذين يستعملون السيف فبنفس السيف يهلكون. ولأن داود عرف أن دواغ الأدومي قد رآه ، وأنه لا بد أن يخبر سيده فقد سارع بمغادرة المكان قبل افتضاح أمره .

داود يهرب إلى أخيش ملك جت الفلسطيني الوثني

وَقَامَ دَاوُدُ وَهَرَبَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ أَمَامِ شَاوُلَ وَجَاءَ إِلَى أَخِيشَ مَلِكِ جَتَّ .

- فَقَالَ عَبِيدُ أَخِيشَ لَهُ: «أَلَيْسَ هَذَا دَاوُدَ مَلِكَ الأَرْضِ؟ أَلَيْسَ لِهَذَا كُنَّ يُغَنِّينَ فِي الرَّقْصِ قَائِلاَتٍ: ضَرَبَ شَاوُلُ أُلُوفَهُ وَدَاوُدُ رِبْوَاتِهِ؟».

فَوَضَعَ دَاوُدُ هَذَا الْكَلاَمَ فِي قَلْبِهِ وَخَافَ جِدّاً مِنْ أَخِيشَ مَلِكِ جَتَّ. فَغَيَّرَ عَقْلَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، وَتَظَاهَرَ بِالْجُنُونِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَأَخَذَ يُخَرْبِشُ عَلَى مَصَارِيعِ الْبَابِ وَيُسِيلُ رِيقَهُ عَلَى لِحْيَتِهِ.

*** فَقَالَ أَخِيشُ لِعَبِيدِهِ: «هُوَذَا تَرَوْنَ الرَّجُلَ مَجْنُوناً، فَلِمَاذَا تَأْتُونَ بِهِ إِلَيَّ؟ أَلَعَلِّي مُحْتَاجٌ إِلَى مَجَانِينَ حَتَّى أَتَيْتُمْ بِهَذَا لِيَتَجَنَّنَ عَلَيَّ؟ أَهَذَا يَدْخُلُ بَيْتِي؟».** (١صم ٢١ : ١٠ -١٥)

حلقة أخرى من مسلسل الهبوط الروحي هوى بداود إلى منحدر عميق، إذ زين له إبليس أن يتحالف مع الأعداء على أساس أن شاول لن يستطيع مطاردته هناك .

ولكن نسألك يا داود – المحبوب من الله – يا ملك إسرائيل الشرعي الذي مسحه صموئيل ، أترضى لنفسك أن تحتمي بأرض الأعداء ؟ وهل هؤلاء الوثنيون هم الذين سيحمونك من شاول ؟ أم إلهك الذي أعانك أن تخلص الحمل من أنياب الأسد والدب وتخلص شعبك من جليات وغيره .... ظن داود أن أهل جت وملكهم أخيش قد يرحبون به لأنه صار عدواً لشاول عدوهم ، انطلاقاً من فلسفة العالم أن "عدو

عدوي هو صديقي" ولكن ظنه خاب لأن أهل جت لم ينسوا أبداً أنه قد قتل بطلهم الأسطوري جليات الجبار.

وفى دقائق قليلة أدرك داود أن خطته فشلت وأن رأسه قد تُفصل عن جسده سريعاً ، ربما بسيف جليات الذي يتسلح به الآن . وهكذا يبدد بنفسه نعمة الله التي أنقذته من جليات ليموت بيد عائلة جليات التى كانت تحلم بلحظة الانتقام .

فما كان من داود إلا أن مضى فى المكر والدهاء فتظاهر بالجنون حتى يطرده الملك من مجلسه إلى خارج المدينة ، وهو ما حدث بالفعل ؛ لا لذكاء داود ولكن لرحمة الله الذي لا يتخلى عن أبنائه حتى إذا تصرفوا دون مشورته وعكس إرادته لأنه " **إن كُنا غيرَ أمناءِ فهو يَبقَى أميناً لن يَقدِرَ أن يُنكِرَ نَفسَهُ** " (٢ تي ٢ : ١٣)

<u>تأمل روحي</u> : <u>**إله الخطاة**</u> ما أبهاك يا رب وما أعظم طرقك فى التعامل مع الخطاة فى هذا الموقف كان داود مخطئاً ، معترفاً أمام الرب وأمام نفسه بجرمه، والاعتراف هو سيد الأدلة كما يعلمنا رجال القانون . ولكن ليس عند الله ، فعند الله الاعتراف هو بوابة المغفرة والصفح الإلهي ، ويزيد الله من نعمته على داود فلا يتركه يقع فى شر أعماله بل يسمح له بالمنفذ ، وليس هذا بغريب على إله إبراهيم وإسحق ويعقوب – أليس هو الذي ستر على إبراهيم عندما ذكر أمام فرعون ثم أبيمالك أن سارة أخته وأخفى أنها زوجته وفى المرتين يسترها الرب معه ويحتوي خطأه بل ويحوله إلى بركة بدلا من اللعنة . ما أطيبك يا إلهنا إذ ما زلت تفعل نفس الشيء حتى يومنا هذا .

ولكن دعونا نرى الجانب الإيجابي فى هذه القصة المخزية

حقاً الجميع يخطئون، داود وغيره لأن الجميع زاغوا وفسدوا معاً ولكن الفارق الرئيسي الذي يميز القديسين أنهم إن سقطوا يقوموا سريعاً ويتعلموا من أخطائهم فلا يكررونها ثانية، فداود حتى وهو فى هذا الموقف الحرج أدرك خطأه فوراً وقدم توبة فى الحال ، لم يقف كثيراً عند مرارة الشعور بالذنب والبكاء على اللبن المسكوب بل انتقل سريعاً إلى الفرح بالنجاة التي آمن أن الله يرتبها له ، ورفع صلاة سهمية لله سبحه بهذا المزمور الذي نصليه ضمن صلوات الساعة الثالثة ، وعندما نعرف الظروف التى قيل فيها المزمور فإننا نشعر بصدق وعمق كل كلمة فيه .

الْمَزْمُورُ الرَّابعُ وَالثَّلاثُونَ

لِدَاوُدَ عِنْدَمَا غَيَّرَ عَقْلَهُ قُدَّامَ أَبِيمَالِكَ (لقب كان يطلق على ملوك الفلسطينيين)

أُبَارِكُ الرَّبَّ فِي كُلِّ حِينٍ. دَائِماً تَسْبِيحُهُ فِي فَمِي.

بِالرَّبِّ تَفْتَخِرُ نَفْسِي. يَسْمَعُ الْوُدَعَاءُ فَيَفْرَحُونَ .

عَظِّمُوا الرَّبَّ مَعِي وَلْنُعَلِّ اسْمَهُ مَعاً.

طَلَبْتُ إِلَى الرَّبِّ فَاسْتَجَابَ لِي وَمِنْ كُلِّ مَخَاوِفِي أَنْقَذَنِي.

نَظَرُوا إِلَيْهِ وَاسْتَنَارُوا وَوُجُوهُهُمْ لَمْ تَخْجَلْ.

هَذَا الْمِسْكِينُ صَرَخَ وَالرَّبُّ اسْتَمَعَهُ وَمِنْ كُلِّ ضِيقَاتِهِ خَلَّصَهُ.

مَلاَكُ الرَّبِّ حَالٌّ حَوْلَ خَائِفِيهِ وَيُنَجِّيهِمْ.

ذُوقُوا وَانْظُرُوا مَا أَطْيَبَ الرَّبَّ ! طُوبَى لِلرَّجُلِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَيْهِ.

اتَّقُوا الرَّبَّ يَا قِدِّيسِيهِ لأَنَّهُ لَيْسَ عَوَزٌ لِمُتَّقِيهِ.

الأَشْبَالُ احْتَاجَتْ وَجَاعَتْ وَأَمَّا طَالِبُو الرَّبِّ فَلاَ يُعْوِزُهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ.

هَلُمَّ أَيُّهَا الْبَنُونَ اسْتَمِعُوا إِلَيَّ فَأُعَلِّمَكُمْ مَخَافَةَ الرَّبِّ.

مَنْ هُوَ الإِنْسَانُ الَّذِي يَهْوَى الْحَيَاةَ وَيُحِبُّ كَثْرَةَ الأَيَّامِ لِيَرَى خَيْراً؟

صُنْ لِسَانَكَ عَنِ الشَّرِّ وَشَفَتَيْكَ عَنِ التَّكَلُّمِ بِالْغِشِّ.

(واضح هنا أن داود أدرك خطورة أخطاء اللسان ويعترف بخطيته ضمناً.)

حِدْ عَنِ الشَّرِّ وَاصْنَعِ الْخَيْرَ. اطْلُبِ السَّلاَمَةَ وَاسْعَ وَرَاءَهَا.

عَيْنَا الرَّبِّ نَحْوَ الصِّدِّيقِينَ وَأُذُنَاهُ إِلَى صُرَاخِهِمْ.

وَجْهُ الرَّبِّ ضِدُّ عَامِلِي الشَّرِّ لِيَقْطَعَ مِنَ الأَرْضِ ذِكْرَهُمْ.

أُولَئِكَ صَرَخُوا وَالرَّبُّ سَمِعَ وَمِنْ كُلِّ شَدَائِدِهِمْ أَنْقَذَهُمْ.

قَرِيبٌ هُوَ الرَّبُّ مِنَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ وَيُخَلِّصُ الْمُنْسَحِقِي الرُّوحِ.

(إشارة إلى صلاة داخلية ربما يكون قد رفعها أثناء فشل حيلته أمام ملك جت)

كَثِيرَةٌ هِيَ بَلاَيَا الصِّدِّيقِ وَمِنْ جَمِيعِهَا يُنَجِّيهِ الرَّبُّ. يَحْفَظُ جَمِيعَ عِظَامِهِ. وَاحِدٌ مِنْهَا لاَ يَنْكَسِرُ. الشَّرُّ يُمِيتُ الشِّرِّيرَ وَمُبْغِضُو الصِّدِّيقِ يُعَاقَبُونَ. الرَّبُّ فَادِي نُفُوسِ عَبِيدِهِ وَكُلُّ مَنِ اتَّكَلَ عَلَيْهِ لاَ يُعَاقَبُ.

داود يهرب إلى مغارة عدلام :

فَذَهَبَ دَاوُدُ مِنْ هُنَاكَ وَنَجَا إِلَى مَغَارَةِ عَدُلاَمَ. فَلَمَّا سَمِعَ إِخْوَتُهُ وَجَمِيعُ بَيْتِ أَبِيهِ نَزَلُوا إِلَيْهِ إِلَى هُنَاكَ. وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ كُلُّ رَجُل مُتَضَايِق، وَكُلُّ مَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ، وَكُلُّ رَجُل مُرِّ النَّفْسِ، فَكَانَ عَلَيْهِمْ رَئِيساً. وَكَانَ مَعَهُ نَحْوُ أَرْبَعِ مِئَةِ رَجُل. (١صم ٢٢ : ١-٢)

أصبح هروب داود من شاول أمرا واقعا ، والعداوة بينهما أصبحت علنية ، ولكنه هذه المرة لجأ إلى مدينة قريبة من مسقط رأسه – بيت لحم – لأن بها مغارة كبيرة ومتشعبة يسهل الاحتماء بها ، وهناك جاء إليه والداه وأخوته وانضم إليه أيضاً ٤٠٠ رجل من الخارجين على القانون وجدوا في داود ضالتهم المنشودة واتخذوه لهم زعيماً يحتمون به من مطاردة شاول . و يا لها من مفارقة عجيبة أن داود الموسيقار المرنم الذي بدأ أول فصول إعداد الخدمة فى رعاية الأغنام يجد نفسه زعيماً لهذه المجموعة من اللصوص وقطاع الطرق وبدلاً من أن يكون فى مدرسة الأنبياء مع صموئيل يجد نفسه مضطراً لقيادة هذه الكتيبة من رجال مري النفس لا يعرفون طرق الله . وكان داود فى هذا الموقف مشابهاً لابن داود – الرب يسوع المسيح – وهو يعاشر العشارين والزناة ويقضي آخر ساعات له على الصليب بين لصين .

داود يرسل والديه إلى ملك موآب :

وَذَهَبَ دَاوُدُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى مِصْفَاةِ مُوآبَ وَقَالَ لِمَلِكِ مُوآبَ: «لِيَخْرُجْ أَبِي وَأُمِّي إِلَيْكُمْ حَتَّى أَعْلَمَ مَاذَا يَصْنَعُ لِيَ اللهُ». فَوَدَعَهُمَا عِنْدَ مَلِكِ مُوآبَ فَأَقَامَا عِنْدَهُ كُلَّ أَيَّامِ إِقَامَةِ دَاوُدَ فِي الْحِصْنِ. (١صم ٢٢ : ٣-٤)

و كان داود يخشى أن ينتقم شاول منه فى شخص والديه ولذا آثر أن يرسلهما إلى بلاد موآب شرقي إسرائيل وأودعهما لدى ملك موآب حيث أنه أصلاً من نسل راعوث الموآبية . و أقام داود ورجاله فى حصن بهذه المنطقة لفترة قصيرة وربما لم يتيسر لداود رؤية والديه بعدها ثانية . ونلاحظ هنا كيف كان داود حريصاً على إكرام والديه بكل طريقة ممكنة ، وأغلب الظن أنه قال المزمور السابع والعشرين فى تلك المرحلة من حياته حيث شعر أنه بعيد عن أبويه وزوجته ولكن الرب يضمه وهكذا يسمح الله

أحياناً لأبنائه أن يبعدوا عن كل مصادر العون البشري حتى يكتشفوا جمال وكمال العون الإلهي . وهذا المزمور الذي نصليه في صلاة باكر .

المزمور السابع والعشرون

الرَّبُّ نُورِي وَخَلاَصِي مِمَّنْ أَخَافُ؟ الرَّبُّ حِصْنُ حَيَاتِي مِمَّنْ أَرْتَعِبُ؟

عِنْدَ مَا اقْتَرَبَ إِلَيَّ الأَشْرَارُ لِيَأْكُلُوا لَحْمِي مُضَايِقِيَّ وَأَعْدَائِي عَثَرُوا وَسَقَطُوا.

إِنْ نَزَلَ عَلَيَّ جَيْشٌ لاَ يَخَافُ قَلْبِي. إِنْ قَامَتْ عَلَيَّ حَرْبٌ فَفِي ذَلِكَ أَنَا مُطْمَئِنٌّ.

وَاحِدَةً سَأَلْتُ مِنَ الرَّبِّ وَإِيَّاهَا أَلْتَمِسُ :

أَنْ أَسْكُنَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى جَمَالِ الرَّبِّ وَأَتَفَرَّسَ فِي هَيْكَلِهِ.

(هنا يصف شهوة قلبه التى تممها بعد ما ملك على إسرائيل ونقللتابوت العهد)

لأَنَّهُ يُخَبِّئُنِي فِي مَظَلَّتِهِ فِي يَوْمِ الشَّرِّ. يَسْتُرُنِي بِسِتْرِ خَيْمَتِهِ. عَلَى صَخْرَةٍ يَرْفَعُنِي.

وَالآنَ يَرْتَفِعُ رَأْسِي عَلَى أَعْدَائِي حَوْلِي فَأَذْبَحُ فِي خَيْمَتِهِ ذَبَائِحَ الْهُتَافِ.

أُغَنِّي وَأُرَنِّمُ لِلرَّبِّ . اِسْتَمِعْ يَا رَبُّ. بِصَوْتِي أَدْعُو فَارْحَمْنِي وَاسْتَجِبْ لِي.

لَكَ قَالَ قَلْبِي : [قُلْتَ اطْلُبُوا وَجْهِي. وَجْهَكَ يَا رَبُّ أَطْلُبُ].

لاَ تَحْجُبْ وَجْهَكَ عَنِّي. لاَ تُخَيِّبْ بِسَخَطٍ عَبْدَكَ.

قَدْ كُنْتَ عَوْنِي فَلاَ تَرْفُضْنِي وَلاَ تَتْرُكْنِي يَا إِلَهَ خَلاَصِي.

إِنَّ أَبِي وَأُمِّي قَدْ تَرَكَانِي وَالرَّبُّ يَضُمُّنِي.

(إشارة إلى أنه قد فارق أباه وأمه إذ تركهما فى موآب)

عَلِّمْنِي يَا رَبُّ طَرِيقَكَ وَاهْدِنِي فِي سَبِيلٍ مُسْتَقِيمٍ بِسَبَبِ أَعْدَائِي.

لاَ تُسَلِّمْنِي إِلَى مَرَامِ مُضَايِقِيَّ لأَنَّهُ قَدْ قَامَ عَلَيَّ شُهُودُ زُورٍ وَنَافِثُ ظُلْمٍ.

لَوْلاَ أَنَّنِي آمَنْتُ بِأَنْ أَرَى جُودَ الرَّبِّ فِي أَرْضِ الأَحْيَاءِ

انْتَظِرِ الرَّبَّ. لِيَتَشَدَّدْ وَلْيَتَشَجَّعْ قَلْبُكَ وَانْتَظِرِ الرَّبَّ. مز ٢٧

جيش داود يتزايد قبل مغادرة الحصن :

وَجَاءَ قَوْمٌ مِنْ بَنِي بِنْيَامِينَ (سبط شاول!) وَيَهُوذَا (سبط داود) إِلَى الْحِصْنِ إِلَى دَاوُدَ. فَخَرَجَ دَاوُدُ لاِسْتِقْبَالِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: «إِنْ كُنْتُمْ قَدْ جِئْتُمْ بِسَلاَمٍ إِلَيَّ لِتُسَاعِدُونِي،

يَكُونُ لِي مَعَكُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ. وَإِنْ كَانَ لِتَدْفَعُونِي لِعَدُوِّي وَلاَ ظُلْمَ فِي يَدَيَّ، فَلْيَنْظُرْ إِلهُ آبَائِنَا وَيُنْصِفْ».

* فَحَلَّ الرُّوحُ عَلَى عَمَاسَايَ رَأْسِ الثَّوَالِثِ فَقَالَ : «لَكَ نَحْنُ يَا دَاوُدُ، وَمَعَكَ نَحْنُ يَا ابْنَ يَسَّى. سَلاَمٌ سَلاَمٌ لَكَ، وَسَلاَمٌ لِمُسَاعِدِيكَ. لأَنَّ إِلهَكَ مُعِينُكَ». فَقَبِلَهُمْ دَاوُدُ وَجَعَلَهُمْ رُؤُوسَ الْجُيُوشِ. (١أخ ١٢: ١٦-١٨)

(وهذا يرينا كم كان داود محبوباً من كثيرين رغم ضعف موقفه من الناحية العسكرية)

▫ فَقَالَ جَادُ النَّبِيُّ لِدَاوُدَ: «لاَ تُقِمْ فِي الْحِصْنِ. اذْهَبْ وَادْخُلْ أَرْضَ يَهُوذَا».

فَذَهَبَ دَاوُدُ وَجَاءَ إِلَى وَعْرِ حَارِثٍ. (١صم ٢٢ : ٥)

عاصر داود عدة أنبياء كانوا له بمثابة الآباء والمرشدين ، أولهم صموئيل ثم جاد ثم ناثان النبي . ونرى هنا أول ظهور لجاد النبي الذى حذره من الاحتماء بحصن يسهل محاصرته ونصحه بالعودة إلى يهوذا ليكون فى منطقة مفتوحة يصعب حصارها .

شاول يستعدي سبط بنيامين على داود

وَسَمِعَ شَاوُلُ أَنَّهُ قَدِ اشْتُهِرَ دَاوُدُ وَالرِّجَالُ الَّذِينَ مَعَهُ. وَكَانَ شَاوُلُ مُقِيماً فِي جِبْعَةَ تَحْتَ الأَثْلَةِ فِي الرَّامَةِ وَرُمْحُهُ بِيَدِهِ، وَجَمِيعُ عَبِيدِهِ وُقُوفاً لَدَيْهِ.

فَقَالَ شَاوُلُ لِعَبِيدِهِ الْوَاقِفِينَ لَدَيْهِ: «اسْمَعُوا يَا بَنْيَامِينِيُّونَ. هَلْ يُعْطِيكُمْ جَمِيعَكُمْ بْنُ يَسَّى (داود) حُقُولاً وَكُرُوماً، وَهَلْ يَجْعَلُكُمْ جَمِيعَكُمْ رُؤَسَاءَ أُلُوفٍ وَرُؤَسَاءَ مِئَاتٍ، حَتَّى فَتَنْتُمْ كُلُّكُمْ عَلَيَّ، وَلَيْسَ مَنْ يُخْبِرُنِي بِعَهْدِ ابْنِي (يوناثان) مَعَ ابْنِ يَسَّى، وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ يَحْزَنُ عَلَيَّ أَوْ يُخْبِرُنِي بِأَنَّ ابْنِي قَدْ أَقَامَ عَبْدِي عَلَيَّ كَمِيناً (مؤامرة) كَهذَا الْيَوْمِ؟» (١صم ٢٢ : ٦-٨)

اغتاظ شاول أن بعض بني سبطه يتركونه ويذهبون إلى داود ، فلجأ شاول إلى إثارة النزعة الطائفية لدى رجال سبطه وأخذ يذكرهم بما نالوه من مكاسب نتيجة وجوده فى الحكم ، ويكاد القارئ لهذه الكلمات المعسولة أن يتعاطف مع هذا الملك المسكين الذي يتآمر عليه ابنه يوناثان وزوج ابنته داود ولكن ما أبعد الحقيقة عن هذا الخداع ، فلنحذر دائماً أن نأخذ موقفاً دون أن نتروى ودون أن نستمع لجميع الأطراف لئلا نحكم حكماً ظالماً.

وشاية دواغ الأدومي رئيس رعاة شاول

فَأَجَابَ دُوَاغُ الأَدُومِيُّ الَّذِي كَانَ مُوَكَّلاً عَلَى عَبِيدِ شَاوُلَ: «قَدْ رَأَيْتُ ابْنَ يَسَّى آتِياً إِلَى نُوبَ إِلَى أَخِيمَالِكَ بْنِ أَخِيطُوبَ. فَسَأَلَ لَهُ مِنَ الرَّبِّ وَأَعْطَاهُ زَاداً. وَسَيْفَ جُلْيَاتَ الْفِلِسْطِينِيِّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ». (١صم ٢٢ : ٩-١٠)

كان دواغ بالصدفة موجوداً في نوب مدينة الكهنة وقت ذهاب داود إلى هناك ، مدعياً أمام أخيمالك الكاهن أنه في مهمة عاجلة، فسارع بسرد القصة أمام شاول بطريقة توحي له أن أخيمالك متآمر مع داود ضده ليبدو في ثوب المخلص الوفي فينال المزيد من الرضا والإنعام الملكي .

مذبحة الكهنة

فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ وَاسْتَدْعَى أَخِيمَالِكَ بْنَ أَخِيطُوبَ الْكَاهِنَ وَجَمِيعَ بَيْتِ أَبِيهِ، الْكَهَنَةَ الَّذِينَ فِي نُوبٍ. فَجَاءُوا كُلُّهُمْ إِلَى الْمَلِكِ.

فَقَالَ شَاوُلُ: «اسْمَعْ يَا ابْنَ أَخِيطُوبَ». فَقَالَ: «هَئَنَذَا يَا سَيِّدِي». فَقَالَ لَهُ شَاوُلُ: «لِمَاذَا فَتَنْتُمْ عَلَيَّ أَنْتَ وَابْنُ يَسَّى بِإِعْطَائِكَ إِيَّاهُ خُبْزاً وَسَيْفاً، وَسَأَلْتَ لَهُ مِنَ اللَّهِ لِيَقُومَ عَلَيَّ كَامِناً (متآمراً) **كَهَذَا الْيَوْمِ؟»** .

▫ **فَأَجَابَ أَخِيمَالِكُ الْمَلِكَ: «وَمَنْ مِنْ جَمِيعِ عَبِيدِكَ مِثْلُ دَاوُدَ، أَمِينٌ وَصِهْرُ الْمَلِكِ وَصَاحِبُ سِرِّكَ وَمُكَرَّمٌ فِي بَيْتِكَ؟ فَهَلِ الْيَوْمَ ابْتَدَأْتُ أَسْأَلُ لَهُ مِنَ اللَّهِ؟ حَاشَا لِي! لاَ يَنْسِبِ الْمَلِكُ شَيْئاً لِعَبْدِهِ وَلاَ لِجَمِيعِ بَيْتِ أَبِي، لأَنَّ عَبْدَكَ لَمْ يَعْلَمْ شَيْئاً مِنْ كُلِّ هَذَا صَغِيراً أَوْ كَبِيراً».** (١صم ٢٢ : ١١-١٥)

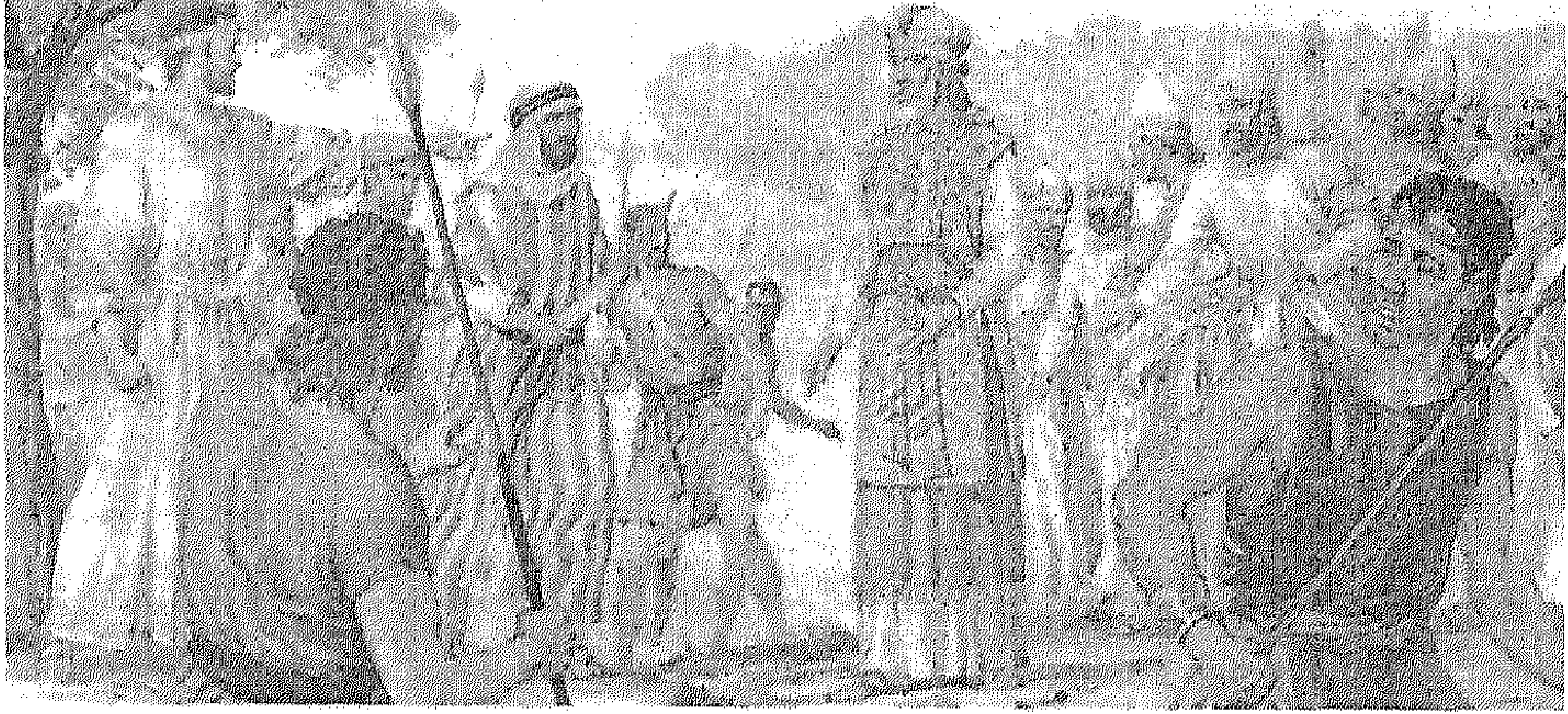
كان أخيمالك الكاهن صادقاً في دفاعه عن نفسه لأنه كان يظن أن العلاقة بين شاول وداود على خير ما يرام . مسكين أنت حقاً يا أخيمالك إذ تحاكم بسبب خطية غيرك .

فَقَالَ الْمَلِكُ: «مَوْتاً تَمُوتُ يَا أَخِيمَالِكُ أَنْتَ وَكُلُّ بَيْتِ أَبِيكَ».

وَقَالَ الْمَلِكُ لِلسُّعَاةِ الْوَاقِفِينَ لَدَيْهِ: «دُورُوا وَاقْتُلُوا كَهَنَةَ الرَّبِّ، لأَنَّ يَدَهُمْ أَيْضاً مَعَ دَاوُدَ، وَلأَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّهُ هَارِبٌ وَلَمْ يُخْبِرُونِي».

فَلَمْ يَرْضَ عَبِيدُ الْمَلِكِ أَنْ يَمُدُّوا أَيْدِيَهُمْ لِيَقَعُوا (يقتلوا) **بِكَهَنَةِ الرَّبِّ.**

فَقَالَ الْمَلِكُ لِدُوَاغَ: «دُرْ أَنْتَ وَقَعْ (اقتل) بِالْكَهَنَةِ». فَدَارَ دُوَاغُ الأَدُومِيُّ وَوَقَعَ هُوَ بِالْكَهَنَةِ، وَقَتَلَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ خَمْسَةً وَثَمَانِينَ رَجُلاً لاَبِسِي أَفُودِ كَتَّانٍ، وَضَرَبَ نُوبَ مَدِينَةَ الْكَهَنَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ: الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالأَطْفَالَ وَالرِّضْعَانَ وَالثِّيرَانَ وَالْحَمِيرَ وَالْغَنَمَ. (١صم٢٢: ١٦-١٩)



إلى هذه الدرجة بلغ الطغيان والجبروت بالملك شاول ! يأمر بإعدام ٨٥ كاهناً لمجرد شكه أنهم يناصرون داود ضده . ولم يصدق دفاعهم الصادق ومد سيفه ليحصد رقاب رجال الله ، بل وعائلاتهم أيضا من نساء وأطفال .... يا للشر الأعمى الذي يجعل هذا الفتى الذي خرج يوماً ليبحث عن حمار تائه فوجد نفسه بعد أيام وقد أصبح ملكاً لإسرائيل ، بدأ متواضعاً مطيعاً للرب ولصموئيل . واليوم يذبح الكهنة بكل جسارة ! ولا أملك هنا إلا أن أشيد بجرأة هؤلاء السعاة الذين كانوا حول شاول وأبوا أن تتلطخ أيديهم بدماء الكهنة الأبرياء واثقين أن طاعة الله أفضل من طاعة الملك مهما كلفهم الأمر ، أما دواغ الخائن فوجدها فرصة عمره أن ينال حظوة لدى الملك الطاغية .

<u>تأمل روحي</u> <u>لماذا يسمح الله بالظلم ؟</u> لماذا يسمح الله بكل هذا الظلم وهو إله عادل ، لماذا لم يتدخل بصورة معجزية فيشل يد دواغ وشاول أو يضربهما بالعمى مثلاً كما فعل مراراً قبل ذلك وبعد ذلك ...... لا شك أن هذه الأسئلة وما شابهها كانت وما زالت تلح على خاطر المؤمنين الذين يحبون الله من كل القلب ولكنهم كثيراً ما يعجزون عن فهم مقاصده ، فيقولون حسناً فعل الله عندما أرسل ملاكه وأنقذ بطرس من يد هيرودس قبل أن يطيح برأسه ، ولكن لماذا لم يفعل نفس الشيء مع يعقوب

قبلها بأيام قليلة ، ألعل الرب يحب بطرس أكثر من يعقوب ؟ .... وعلى الجانب الآخر ، هناك فى السماء نسمع حواراً مختلفاً بين سكان الفردوس يقولون فيه لماذا أسرع الله بإحضار يعقوب إلى مكان الراحة والهناء هنا ... ولم يفعل نفس الشيء مع بطرس ، ألعله يحب يعقوب أكثر من بطرس ؟

وبين هذا التساؤل وذاك تظل الحقيقة الكاملة كامنة فى حكمة الله اللانهائية ، نتأمل فيها دون أن ندركها . ونؤمن أننا لا نفهم الآن ولكننا سنفهم فيما بعد .. ربما هناك .. فى الحياة الأبدية .

أبياثار ينجو من المذبحة ويلجأ إلى داود

فَنَجَا وَلَدٌ وَاحِدٌ لأَخِيمَالِكَ بْنِ أَخِيطُوبَ اسْمُهُ أَبِيَاثَارُ وَهَرَبَ إِلَى دَاوُدَ. وَأَخْبَرَ أَبِيَاثَارُ دَاوُدَ بِأَنَّ شَاوُلَ قَدْ قَتَلَ كَهَنَةَ الرَّبِّ.

+ فَقَالَ دَاوُدُ لأَبِيَاثَارَ: «عَلِمْتُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ كَانَ دُوَاغُ الأَدُومِيُّ هُنَاكَ أَنَّهُ يُخْبِرُ شَاوُلَ. أَنَا سَبَّبْتُ لِجَمِيعِ أَنْفُسِ بَيْتِ أَبِيكَ. أَقِمْ مَعِي. لاَ تَخَفْ، لأَنَّ الَّذِي يَطْلُبُ نَفْسِي (شاول الذي يحاول قتلي) **يَطْلُبُ نَفْسَكَ، وَلكِنَّكَ عِنْدِي مَحْفُوظٌ** (أمان) **».**

(اصم ٢٢ : ٢٠-٢٣)

كذبة صغيرة من داود خدع بها أخيمالك ومرت فترة طويلة نسبياً بدا فيها وكأن بذرة الشر ماتت دون أن تثمر شوكاً وحسكاً ولكنها الآن أثبتت أن الخطية أم ولود فأثمرت كل هذا الشر الرهيب . وبقدر ما انتقدنا داود فى كذبه على الكاهن بقدر ما نمتدحه فى صدقه مع نفسه عندما اعترف أمام أبياثار أنه السبب فى هذه المذبحة ، وقد ظل أبياثار الكاهن مع داود ملازماً له زمناً طويلاً حتى ما قبل وفاته بقليل .

<u>تأمل روحي</u> : <u>هل تقول أنا أخطأت ؟</u> كان المتوقع من أي شخص غير داود أن يكيل الاتهامات واللعنات المستحقة على شاول السفاح ، أما هو فاعترف فى الحال بخطيته دون النظر إلى خطايا الآخرين وهذا هو أحد أسرار قداسته الذي يجب أن نتعلمه منه ، ابحث عن الخطأ داخلك ولا ترفع أصبع الاتهام فى مواجهة الآخر واعلم أن الفارق بين من يقول "أنا أخطأتُ" ومن يقول " أنت أخطأتَ" هو الفارق بين من

يمشي فى الطريق الضيق المؤدي إلى الملكوت ومن يمشي فى الطريق الواسع المؤدي إلى الهلاك وما أبعد المسافة بين المصيرين .

داود ينقذ مدينة قعيلة من الفلسطينيين

فَأَخْبَرُوا دَاوُدَ: «هُوَذَا الْفِلِسْطِينِيُّونَ يُحَارِبُونَ قَعِيلَةَ (مدينة على الحدود مع فلسطين) **وَيَنْهَبُونَ الْبَيَادِرَ** (الأماكن التى يقشرون فيها القمح) **». فَسَأَلَ دَاوُدُ مِنَ الرَّبِّ: «أَأَذْهَبُ وَأَضْرِبُ هؤُلاَءِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ؟» فَقَالَ الرَّبُّ لِدَاوُدَ: «اذْهَبْ وَاضْرِبِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَخَلِّصْ قَعِيلَةَ». فَقَالَ رِجَالُ دَاوُدَ لَهُ: «هَا نَحْنُ ههُنَا فِي يَهُوذَا خَائِفُونَ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ إِذَا ذَهَبْنَا إِلَى قَعِيلَةَ ضِدَّ صُفُوفِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ؟»** (١صم ٢٣ : ١-٣)

فترة جديدة فى حياة داود تعافى فيها من الوعكة الروحية التى أصابته وعاد إلى صوابه وربما كان لوجود أبياثار الكاهن معه فضل فى ذلك خاصة أن داود كان يفتقد إلى الصداقة الروحية المشجعة فهو محاط بشرذمة من الخارجين على القانون يصعب أن يحفظ نفسه من تأثيرهم السلبي عليه ، ويوناثان بعيد عنه و لقاؤه يعتبر مخاطرة كبرى ، ولكن وجود أبياثار يعوضه بعض الشيء كما أنه يضفى الشرعية الدينية على وضعه . وبالإضافة لكل ذلك فأبياثار يملك الأفود الذي يمكن من خلاله سؤال الرب . (راجع ما ذكرناه عن الأفود صفحة ٥١ و ٥٢)

وكان الهجوم المتكرر من الفلسطينيين على قعيلة لنهب القمح فرصة لداود كي يتذكر الحمل المخطوف بين أنياب الأسد والدب ومن بعده جليات وكان مصيرهم كلهم متشابهاً ، ولكنه قبل أن يشهر سيفه ويجرد جيشه للقتال كان لا بد من استئذان الرب أولاً فاستفاد من وجود أبياثار معه ، فلبس الكاهن الأفود وسأل الرب هل أذهب لإنقاذ قعيلة فأجابه الرب بالأوريم والتميم اذهب ، ولكن داود لم يكن وحده هذه المرة لأن الرجال الذين معه رأوا فيما طلبه الجنون بعينه ، فمعركتهم مع شاول هى بيت القصيد بالنسبة لهم فما بال داود يشغل باله بقضايا فرعية لا تهمهم كثيراً . النصر فيها لن يخلصهم من شاول واحتمال الهزيمة كبير بل شبه أكيد ، فحذروه قائلين : نحن هنا خائفون من مطاردة شاول فكم وكم يكون حالنا لو دخلنا فى حرب مع جيوش وجحافل الفلسطينيين ثم أن هذه مسئولية شاول وليست مسئوليتنا .

وهذا الموقف يذكرنا بالرب يسوع الذي قرر الذهاب إلى بيت عنيا ليقيم لعازر من الموت ولكن التلاميذ كانوا يدركون أن ذهابهم من الجليل إلى اليهودية فى ذلك الوقت يجعلهم في متناول أيدي رؤساء الكهنة المتربصين بهم فقالوا له: «**يَا مُعَلِّمُ الآنَ كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَنْ يَرْجُمُوكَ وَتَذْهَبُ أَيْضاً إِلَى هُنَاكَ**». (يو ١١ :٨) و قال توماً معبراً بصدق عن لسان حال التلاميذ : «**لِنَذْهَبْ نَحْنُ أَيْضاً لِكَيْ نَمُوتَ مَعَهُ**». (يو ١١ : ١٦)

فَعَادَ أَيْضاً دَاوُدُ وَسَأَلَ مِنَ الرَّبِّ، فَأَجَابَهُ الرَّبُّ: «قُمِ انْزِلْ إِلَى قَعِيلَةَ، فَإِنِّي أَدْفَعُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ لِيَدِكَ». (١صم ٢٣ : ٤)

لا نتعجب أن داود أعاد السؤال فهو مطالب أن يقنع ٤٠٠ محارب أن يخاطروا بحياتهم لنجدة المدينة التي يشعر أن شعبها هو رعيته وأنه ملكهم الشرعي حتى إذا كان ملكاً هارباً فى الغابات والوعور مطارَدا من شاول وجنوده إلا أن شعوره بالمسئولية لم يتزعزع للحظة. واتهمه أتباعه أنه مغامر ومقامر ومتكبر وديكتاتور ولا يخضع للمنطق العاقل كيف يذهب بنفسه لهذا الفخ ، مدينة ذات أسوار يسهل حصارها إنها سذاجة عسكرية . .. وكان صوت المحيطين به عالياً وكان صوت الرب خافتاً ولكنه واضح ، فأخذ داود القرار الصائب و لم يتردد .

فَذَهَبَ دَاوُدُ وَرِجَالُهُ إِلَى قَعِيلَةَ وَحَارَبَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَسَاقَ مَوَاشِيَهُمْ وَضَرَبَهُمْ ضَرْبَةً عَظِيمَةً، وَخَلَّصَ دَاوُدُ سُكَّانَ قَعِيلَةَ. وَكَانَ لَمَّا هَرَبَ أَبِيَاثَارُ بْنُ أَخِيمَالِكَ إِلَى دَاوُدَ إِلَى قَعِيلَةَ نَزَلَ وَبِيَدِهِ أَفُودٌ. (١صم ٢٣ : ٥-٦)

مرة أخرى وليست أخيرة ينتصر داود فى معركة غير متكافئة لا لشجاعته أو مهارة جيشه فقط بل لأنه أولاً وأخيراً يحارب باسم رب الجنود .

وأثناء احتفال داود وجيشه بالنصر قد سألوا أنفسهم وماذا بعد ؟ ما هي الخطوة التالية؟ واعتقدوا أن قعيلة ستكون هي أول المدن الموالية لداود الملك الجديد . و لم لا ، أليس هو مخلصهم الذي نجاهم من الأعداء فى وقت تقاعس فيه شاول عن الاعتناء بهم ، وبعد قعيلة ستتوالى المناطق التى تدين بالولاء للبطل الذي يحظى بثقة الله و الشعب.

فَأُخْبِرَ شَاوُلُ بِأَنَّ دَاوُدَ قَدْ جَاءَ إِلَى قَعِيلَةَ. فَقَالَ شَاوُلُ: «قَدْ نَبَذَهُ اللَّهُ إِلَى يَدِي، لأَنَّهُ قَدْ أُغْلِقَ عَلَيْهِ بِالدُّخُولِ إِلَى مَدِينَةٍ لَهَا أَبْوَابٌ وَعَوَارِضُ». وَدَعَا شَاوُلُ جَمِيعَ الشَّعْبِ لِلْحَرْبِ لِلنُّزُولِ إِلَى قَعِيلَةَ لِمُحَاصَرَةِ دَاوُدَ وَرِجَالِهِ. (١صم ٢٣ :٧-٨)

لم تكن نجاة قعيلة من الفلسطينيين أمراً يشغل بال شاول فى قليل أو كثير ولكن ما أثار اهتمامه هو هذه الفرصة الذهبية حيث ذهب داود برجليه إلى المصيدة – مدينة لها أسوار - إذاً فلنحاصر المدينة و نهدد أهلها إما أن يسلموا داود وجيشه أو نحرق المدينة كلها ... ولا يهم أرواح سكانها . فالحصول على رأس داود أهم عند شاول من حياة سكان المنطقة كلها .

داود يهرب من قعيلة

فَلَمَّا عَرَفَ دَاوُدُ أَنَّ شَاوُلَ مُنْشِئٌ عَلَيْهِ الشَّرَّ، قَالَ لأَبِيَاثَارَ الْكَاهِنِ قَدِّمِ الأَفُودَ.

+ **ثُمَّ قَالَ دَاوُدُ: «يَا رَبُّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ، إِنَّ عَبْدَكَ قَدْ سَمِعَ بِأَنَّ شَاوُلَ يُحَاوِلُ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى قَعِيلَةَ لِيُخْرِبَ الْمَدِينَةَ بِسَبَبِي. فَهَلْ يُسَلِّمُنِي أَهْلُ قَعِيلَةَ لِيَدِهِ؟ هَلْ يَنْزِلُ شَاوُلُ كَمَا سَمِعَ عَبْدُكَ؟ يَا رَبُّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ، أَخْبِرْ عَبْدَكَ».** (يبدو أن داود قد سأل عدة مرات)

† **فَقَالَ الرَّبُّ: «يَنْزِلُ».**

+ **فَقَالَ دَاوُدُ: «هَلْ يُسَلِّمُنِي أَهْلُ قَعِيلَةَ مَعَ رِجَالِي لِيَدِ شَاوُلَ؟»**

† **فَقَالَ الرَّبُّ: «يُسَلِّمُونَ».**

فَقَامَ دَاوُدُ وَرِجَالُهُ، نَحْوُ سِتِّ مِئَةِ رَجُلٍ، وَخَرَجُوا مِنْ قَعِيلَةَ وَذَهَبُوا حَيْثُمَا ذَهَبُوا. فَأُخْبِرَ شَاوُلُ بِأَنَّ دَاوُدَ قَدْ أُفْلِتَ مِنْ قَعِيلَةَ، فَعَدَلَ عَنِ الْخُرُوجِ. (١صم ٢٣ : ٩-١٣)

إحباط بشع أصاب داود ورجاله (الذين زاد عددهم فأصبحوا ٦٠٠) وهم يسمعون جواب الرب أن أهل قعيلة سيسلمونهم إلى شاول، ولن يحفظوا الجميل كما كان يتمنى.

<u>تأمل روحي :</u> <u>الوفاء بين الحيوان والإنسان</u> لقد كان الخروف الذي أنقذه داود من أنياب الأسد وفياً بالحق فبعد نجاته لم يفارق راعيه بل سار في حماه ، يطيع أوامره قبل أن تنطقها الشفاه ، فما بال البشر أكثر غدراً وخسة من الحيوان الأعجم ؟ حقاً إن " **الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه.أما إسرائيل فلا يعرف. شعبي لا يفهم .**" (أش١: ٣)

تامل روحي : مادمنا نطيع الله فلماذا لا تنفتح أمامنا الأبواب ؟
كثيراً ما نعتقد أن سماح الله بخطوة ما وموافقته عليها هو دليل على أنها مشيئته النهائية، لن تواجهنا فيها صعاب ولن نحتاج أن نعدل عنها فيما بعد ... ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن – أو هكذا نظن – فنتشكك هل كانت هذه إرادة الله فعلاً ؟ أم أننا لم نحسن الإصغاء لصوته ؟ ولكن هذه القصة تعطينا الرد الصادق ... نعم كانت إرادة الله الذهاب إلى قعيلة فى مهمة مؤقتة ... ثم تركها فيما بعد ، وكان التصور المنطقي أن تكون قعيلة هي الخطوة الأولى للتتويج ولكن الله له خطة أطول وأبعد و أصعب لكنها أفضل بالقطع . .. وقد تواجه يا عزيزي أكثر من قعيلة في حياتك تتعلم من خلالها أن تتعرف على إرادة الله خطوة بخطوة لأنه لا يكشف لنا عن خطة طويلة المدى أبداً .

تامل روحي : الأفود ومعرفة إرادة الله ؟
يتمنى الكثيرون أن يكون لديهم الأفود كي يعرفوا إرادة الله قبل كل خطوة في حياتهم . والحق أن كل الطرق المعجزية التي استعملها الرب للإجابة عن شكوك جدعون بواسطة جزة الصوف أو مع داود بواسطة الأفود تظل هي الاستثناء النادر لأنه يتعلق بحروب خطيرة تتنافى مع المنطق البشري .

أما فى شئون حياتنا اليومية مثل اختيار الدراسة ونوع العمل وشريك الحياة وقرار الهجرة ....إلخ فالله لا يجيبنا بعلامة أو ملاك ولا بجزة صوف أو أفود ولكنه يضع المبادئ العامة فيخبرنا صراحة أن إرادته هي قداستنا وأنه يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون، وعلى هذا الأساس يتركنا نختار الاختيار العاقل الحكيم الذي يتناسب مع ظروف حياتنا. وإن كان أحدنا تعوزه الحكمة فليطلب منه في الصلاة وهو يهبها بسخاء، وفي النهاية فهو لن يتخلى أبداً عن أبنائه، خاصة لأولئك الذين يبتغون رضاه ويعطون الأولوية للحياة الروحية.

داود في برية زيف

وَأَقَامَ دَاوُدُ فِي الْبَرِّيَّةِ فِي الْحُصُونِ وَمَكَثَ فِي الْجَبَلِ فِي بَرِّيَّةِ زِيفٍ. وَكَانَ شَاوُلُ يَطْلُبُهُ كُلَّ الأَيَّامِ، وَلَكِنْ لَمْ يَدْفَعْهُ اللَّهُ لِيَدِهِ . (١صم ٢٣ : ١٤)

عجيب هو إصرار شاول على الشر ، كل الأيام يطلب أن يقتل داود ولكن ما الفائدة أن "يرفس المنخاس" هل يقدر أن يقاوم الله ؟ ومن ناحية أخرى كانت إرادة الله أن تستمر إقامة داود فى البرية لمدة أطول حتى ينمو فى حياة التسبيح أكثر وأكثر .

اللقاء الأخير بين الصديقين :

فَرَأَى دَاوُدُ أَنَّ شَاوُلَ قَدْ خَرَجَ يَطْلُبُ نَفْسَهُ. وَكَانَ دَاوُدُ فِي بَرِّيَّةِ زِيفٍ فِي الْغَابِ. فَقَامَ يُونَاثَانُ بْنُ شَاوُلَ وَذَهَبَ إِلَى دَاوُدَ إِلَى الْغَابِ وَشَدَّدَ يَدَهُ بِاللَّهِ. وَقَالَ لَهُ: «لاَ تَخَفْ لأَنَّ يَدَ شَاوُلَ أَبِي لاَ تَجِدُكَ، وَأَنْتَ تَمْلِكُ عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَأَنَا أَكُونُ لَكَ ثَانِياً. وَشَاوُلُ أَبِي أَيْضاً يَعْلَمُ ذَلِكَ». فَقَطَعَا كِلاَهُمَا عَهْداً أَمَامَ الرَّبِّ. وَأَقَامَ دَاوُدُ فِي الْغَابِ، وَأَمَّا يُونَاثَانُ فَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ. (١صم ٢٣ : ١٥-١٨)

ما أروعك يا يوناثان وما أندر شخصيتك هذه ، قرون طويلة تمر من عمر البشرية قبل أن يجود الزمان بصديق مثلك . حتى أن المثل العربي جعل الخل الوفي هو ثالث المستحيلات (بعد الغول والعنقاء، وكلاهما كائن خرافي) ... ولكن هذا المستحيل تيسر لداود ليكون نسمة صيف باردة وسط قيظ اللهيب الذي يحيط به من كل ناحية فيقابله يوناثان ويشجعه ويشدد يده بالله ، حقاً إن كلمة تشجيع فى الوقت المناسب لا تكلفنا الكثير ولكن قد يكون لها فعل السحر فى النفس التي تحتاج إليها فليتنا لا نبخل بها لأن الكتاب المقدس يُشَبِّه الكلمة الحكيمة التى تقال فى محلها بتفاح من ذهب موضوع فى طبق من فضة.

ويقطع يوناثان مع داود عهداً أنه سيؤيده يوم يملك على إسرائيل ويسعده أن يكون الثاني بعده، ولكن الرب كان له رأي آخر. إذ رحل يوناثان إلى السماء قبل أن يشهد ذلك اليوم، والعجيب أن يوناثان أكد له أن شاول أيضاً يعلم أن داود سيملك إن عاجلاً أو آجلاً ولكنه يدفن رأسه فى الرمال ويحاول أن ينكر هذه الحقيقة ويتعامى عنها .

<u>تأمل روحي</u> <u>أنواع المحبة</u> : فى أول لقاء بينهما أحب شاول داود **<u>جداً</u>** - وبالمناسبة فالكتاب المقدس لا يستعمل كلمة جداً إلا فى مكانها الصحيح - أما يوناثان فأحب داود **<u>كنفسه</u> وقطع معه عهداً** والعهد هو الاتفاق الذي يشهد الله عليه بل ويكون شريكاً فيه، والمحبة الأولى هى محبة العالم التى قد تزيد **<u>جداً</u>** ولكنها فى النهاية تعبر عن الكم

فقط ، وكل هذه المحبة تتلاشى بل وتتحول إلى كراهية عندما تصطدم مع محبة النفس، ومع الغيرة العمياء التى تندفع لتقتل من كان قبلاً محبوباً جداً !!

أما المحبة الثانية فهي المحبة الروحية التى تجعل يوناثان يحب داود **كنفسه** ، هنا لا يتكلم الكتاب المقدس عن الكم بل عن الكيف ، وبالطبع فهذه المحبة لا يختبرها إلا من اختبر أولاً محبة الله العميقة له فبادله بنفس المحبة من كل قلبه وفكره وقوته حينئذ يستطيع أن يحب قريبه كنفسه ويختم على هذا الحب بالعهد الذي يقطعه أمام الرب .

وإني بالحق أشفق بشدة على يوناثان ذلك الصديق الوفي لداود ، الحريص فى نفس الوقت على إكرام والده ، وهو يعلم أن أباه مخطئ تماماً ولكنه مع ذلك بقى إلى جواره ولم يفكر فى الانضمام لداود لأنه اختار أن يبقى بصحبة الطرف الأضعف نفسياً وروحياً لعل وعسى أن يهديه إلى الحق. وهكذا ظل بجوار والده يحاول أن يمنعه عن مطاردة داود ويحاول أن يساعده فى حروبه مع الفلسطينيين وظل وفيا للطرفين حتى النهاية . ولكنه حتماً فى الأبدية قد انضم إلى داود وفارق والده شاول .

خيانة أهل زيف

فَصَعِدَ الزِّيفِيُّونَ إِلَى شَاوُلَ إِلَى جِبْعَةَ قَائِلِينَ: «أَلَيْسَ دَاوُدُ مُخْتَبِئاً عِنْدَنَا فِي حُصُونٍ فِي الْغَابِ فِي تَلِّ حَخِيلَةَ الَّتِي إِلَى يَمِينِ الْقَفْرِ ؟. فَالآنَ حَسَبَ كُلِّ شَهْوَةِ نَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ فِي النُّزُولِ انْزِلْ، وَعَلَيْنَا أَنْ نُسَلِّمَهُ لِيَدِ الْمَلِكِ». (١صم ٢٣ : ١٩-٢٠)

تبرع الزيفيون من تلقاء أنفسهم بالذهاب إلى شاول يعرضون عليه أن يسلموا داود ، وطبعاً كانوا يحلمون بالمكافآت الجزيلة التي ستنهال عليهم إذا نجحت المؤامرة .... مسكين أنت يا داود من خيانة إلى خيانة من دواغ الأدومي إلى أهل قعيلة والآن أهل زيف كلهم يسعون لبيعك ... ما أشبه داود بابن داود الذي بيع بثلاثين من الفضة وما زال يباع بأبخس الأثمان !

فَقَالَ شَاوُلُ: «مُبَارَكُونَ أَنْتُمْ مِنَ الرَّبِّ لأَنَّكُمْ قَدْ أَشْفَقْتُمْ عَلَيَّ. فَاذْهَبُوا أَكِّدُوا أَيْضاً وَاعْلَمُوا وَانْظُرُوا مَكَانَهُ حَيْثُ تَكُونُ رِجْلُهُ وَمَنْ رَآهُ هُنَاكَ. لأَنَّهُ قِيلَ لِي إِنَّهُ مَكْراً يَمْكُرُ. فَانْظُرُوا وَاعْلَمُوا جَمِيعَ الْمُخْتَبَآتِ الَّتِي يَخْتَبِئُ فِيهَا ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَيَّ عَلَى تَأْكِيدٍ،

فَأَسِيرَ مَعَكُمْ. وَيَكُونُ إِذَا وُجِدَ فِي الأَرْضِ أَنِّي أُفَتِّشُ عَلَيْهِ بِجَمِيعِ أُلُوفِ يَهُوذَا». (١صم ٢٣ : ٢١-٢٣)

آه يا شاول الآن تذكر اسم الرب لتبارك به الخونة ، وكم من الناس مثلك يذكرون اسم الله كثيراً وهم يدبرون الشرور ويخترعون المفاسد . فلا تصدقوا كل من يستخدم اسم الله معتبراً أن هذا يضفي المصداقية والثقة على كلامه ، تريثوا وانظروا هل تظهر ثمار الروح فى حياته أم لا ، فهذا هو المحك الحقيقي والدليل العملي على أن تَدَيُّن هذا الشخص ليس ثوباً مستعاراً يخفي به خطاياه .

نرى فى حوار شاول نموذجاً واضحاً للقدرة على الكذب وقلب الحقائق فشاول يبارك الزيفيون باسم الرب وهو الذي أعلن العصيان على الرب منذ سنين طوال ، وشاول يشكو من مكر داود !! ويعلن لهم أن جيشه مكون من آلاف الجنود من سبط يهوذا أي من عشيرة داود وكأنهم يتمنون الخلاص منه وهو الذي يلبي أمانيهم ! حقاً إن الكذوب لا يستحي أن يخترع الأكاذيب و أكثر من ذلك ، ربما يصدق نفسه بعد حين .

فَقَامُوا وَذَهَبُوا إِلَى زِيفٍ قُدَّامَ شَاوُلَ. وَكَانَ دَاوُدُ وَرِجَالُهُ فِي بَرِّيَّةِ مَعُونٍ فِي السَّهْلِ عَنْ يَمِينِ الْقَفْرِ. وَذَهَبَ شَاوُلُ وَرِجَالُهُ لِلتَّفْتِيشِ، فَأَخْبَرُوا دَاوُدَ فَنَزَلَ إِلَى الصَّخْرِ وَأَقَامَ فِي بَرِّيَّةِ مَعُونٍ. فَلَمَّا سَمِعَ شَاوُلُ تَبِعَ دَاوُدَ إِلَى بَرِّيَّةِ مَعُونٍ. فَذَهَبَ شَاوُلُ عَنْ جَانِبِ الْجَبَلِ مِنْ هُنَا، وَدَاوُدُ وَرِجَالُهُ عَنْ جَانِبِ الْجَبَلِ مِنْ هُنَاكَ.

وَكَانَ دَاوُدُ يَفِرُّ فِي الذَّهَابِ مِنْ أَمَامِ شَاوُلَ، وَكَانَ شَاوُلُ وَرِجَالُهُ يُحَاوِطُونَ دَاوُدَ وَرِجَالَهُ لِيَأْخُذُوهُمْ . (١صم ٢٣ : ٢٤-٢٦)

كادت المؤامرة تؤتي ثمارها وضاق الحصار على داود ورجاله حتى أصبح سقوطه أمراً وشيكاً بين عشية وضحاها ، وبات شاول وجيشه يخططون طريقة الانتقام من هذا المتمرد و كيف سينهشون جثته ويجعلون قصته عبرة لمن يعتبر ، ولا شك أن داود ورجاله كانوا يدركون تماماً أن موقفهم العسكري سيء للغاية فهم فى وادٍ منخفض يسهل رصدهُ من جيش شاول الذي يعسكر فى الجبال المحيطة بهم ، ولا يعلمون كيف سيكون المخرج هذه المرة إن كان هناك مَخرج . ومن رحم هذه الضيقة القاتلة وُلِدَت هذا المزمور الذي نصليه فى صلاة الساعة السادسة .

اَلْمَزْمُورُ الرَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى ذَوَاتِ الأَوْتَارِ.

قَصِيدَةٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا أَتَى الزِّيفِيُّونَ وَقَالُوا لِشَاوُلَ: [أَلَيْسَ دَاوُدُ مُخْتَبِئاً عِنْدَنَا؟]

اَللهُمَّ بِاسْمِكَ خَلِّصْنِي وَبِقُوَّتِكَ احْكُمْ لِي . اسْمَعْ يَا اللهُ صَلاَتِي. اِصْغَ إِلَى كَلاَمِ فَمِي.

لأَنَّ غُرَبَاءَ قَدْ قَامُوا عَلَيَّ وَعُتَاةً (ظالمون) طَلَبُوا نَفْسِي لَمْ يَجْعَلُوا اللهَ أَمَامَهُمْ. سِلاَهْ.

هُوَذَا اللهُ مُعِينٌ لِي. الرَّبُّ بَيْنَ عَاضِدِي (الذين يساعدون) نَفْسِي.

يَرْجِعُ الشَّرُّ عَلَى أَعْدَائِي. بِحَقِّكَ أَفْنِهِمْ. أَذْبَحُ لَكَ مُنْتَدِباً (طوعاً) .

أَحْمَدُ اسْمَكَ يَا رَبُّ لأَنَّهُ صَالِحٌ. لأَنَّهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ نَجَّانِي وَبِأَعْدَائِي رَأَتْ عَيْنِي.

(لاحظ أنه يتكلم بأسلوب الماضي عن نجاة لم تحدث بعد و لكنه بعين الأيمان رآها وكأنها حدثت فعلاً)

الرب ينجي داود بطريقة غير متوقعة

فَجَاءَ رَسُولٌ إِلَى شَاوُلَ يَقُولُ: «أَسْرِعْ وَاذْهَبْ لأَنَّ الْفِلِسْطِينِيِّينَ قَدِ اقْتَحَمُوا الأَرْضَ». فَرَجَعَ شَاوُلُ عَنِ اتِّبَاعِ دَاوُدَ، وَذَهَبَ لِلِقَاءِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. لِذلِكَ دُعِيَ ذلِكَ الْمَوْضِعُ «صَخْرَةَ الزَّلَقَاتِ». (أي المكان الذي انزلق منه شاول فكف عن مطاردة داود)

وَصَعِدَ دَاوُدُ مِنْ هُنَاكَ وَأَقَامَ فِي حُصُونِ عَيْنِ جَدْيٍ. (١صم ٢٣ : ٢٧-٢٨)

من حيث لا تدري يأتي الفرج ، فما كان شاول وجيشه يفرطون فى الغنيمة الوشيكة لولا حدوث هجوم لم يكن فى الحسبان حيث اقتحم الفلسطينيون الحدود مما اضطر شاول أن يترك حربه الداخلية مع داود مؤقتاً ليرد الأعداء ، ثم يعاود المطاردة ثانية. وهكذا نجا داود لأن مدبر هذا الكون يستخدم كل ما فيه - حتى جيوش الأعداء - ليحمي أبناءه وينجيهم في اللحظة المناسبة . والطريف أن هذه الحملة الفلسطينية لم تستمر طويلاً وكأن الله يؤكد لنا أنه هو الذي حرك جيوشهم ليجبر شاول أن يفك الحصار المضروب على داود . ثم عادوا إلى ديارهم بعد ما أدوا دورهم فى الخطة الإلهية .

العفو عند المقدرة- داود يتعفف عن إيذاء شاول في المغارة

وَلَمَّا رَجَعَ شَاوُلُ مِنْ وَرَاءِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ أَخْبَرُوهُ: «هُوَذَا دَاوُدُ فِي بَرِّيَّةِ عَيْنِ جَدْيٍ». فَأَخَذَ شَاوُلُ ثَلاَثَةَ آلاَفِ رَجُلٍ مُنْتَخَبِينَ مِنْ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَذَهَبَ يَطْلُبُ دَاوُدَ وَرِجَالَهُ عَلَى صُخُورِ الْوُعُولِ. (١صم ٢٤ : ١-٢)

بكل إصرار يواصل شاول محاولاته الفاشلة لقتل داود متجاهلاً أنه يعاند الله وينطح الصخر وأن داود ينجو كل مرة لا لمهارته بل لأن الله يحفظه ، ولكن شخصاً بعيداً تماماً عن الرب مثل شاول لا تعنيه هذه الحقائق كثيراً ، ولا شك أن يوناثان قد أعيته المحاولات المتكررة لإقناع والده أن داود مخلص له وأنه يمكن الاستفادة منه ومن أتباعه فيكونوا فرقة قوية من فرق الجيش تحسم الكثير من المعارك ولكن كل توسلات يوناثان كانت تذهب هباءً وتنتهي بالسباب واللعنات من شاول ، وعلى النقيض كان هناك آخرون يتلذذون أن يشعلوا نار الغيرة فى قلب شاول ويختلقون روايات وقصص عن مؤامراته لقلب نظام الحكم وتقليب رؤساء الأسباط عليه ورغم أن شاول لم يكن فى حاجة إليهم لأن غيرته كانت مشتعلة بدونهم إلا أنهم كانوا يثقون أنهم بتلك النميمة يتقربون أكثر وأكثر من الملك . والآن ها هو يجمع ٣٠٠٠ جندي ويخرج مطاردا داود ومن معه .

وَجَاءَ إِلَى صِيَرِ (حَظَائِرِ) الْغَنَمِ الَّتِي فِي الطَّرِيقِ. وَكَانَ هُنَاكَ كَهْفٌ فَدَخَلَ شَاوُلُ لكي يُغَطِّي رجليه وَدَاوُدُ وَرِجَالُهُ كَانُوا جُلوساً فِي مَغَابِنِ (مؤخرة) **الْكَهْفِ .**

فَقَالَ رِجَالُ دَاوُدَ لَهُ: «هُوَذَا الْيَوْمُ الَّذِي قَالَ لَكَ عَنْهُ الرَّبُّ : هَا أَنَا ذَا أَدْفَعُ عَدُوَّكَ لِيَدِكَ فَتَفْعَلُ بِهِ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْكَ». (١صم ٢٤ :٣-٤)

فى ذلك اليوم كان داود ورجاله مختبئين فى أحد كهوف المنطقة التى تتميز بكهوف عميقة متشعبة يستعملها الرعاة كحظائر للغنم وهى تسع المئات من البشر ، وكان بعضهم يشكو متذمراً من طول سنوات المطاردة التي طال أمدها دون أن تظهر بارقة أمل فى نهاية سعيدة. البعض ترك أسرته ويحن لرؤيتها ، وآخرون يصطحبون النساء والأطفال فى حياة بلا استقرار، من كهف إلى غابة ومن جبل إلى مغارة ، يحلمون بيوم يتوجون فيه داود ملكاً لينعم عليهم بالمراكز العليا ، ثم يفيقون من أحلامهم فإذا

هم مجرد عصابة مهددة بالهلاك بين يوم وليلة، ومعركتهم غير متكافئة مع جيش يبلغ تعداده خمسة أضعاف عددهم . تنتابهم كوابيس يرون فيها رؤوسهم معلقة على أسنة الرماح فتأخذهم نوبات من إحباط لا تنتهي إلا بجولة جديدة من المطاردة التى تنتهي بالنجاة مرة بعد مرة حتى الآن ...... ولكن إلى متى ؟

أغلبهم - إن لم يكن كلهم- يحب داود حباً جماً، واختار أن يتبعه بملء إرادته ، فهم مثله مهددون من شاول مطلوبون للسجن أو الإعدام. ولكن داود يختلف عنهم كثيراً فهو يمضى معظم وقته مع أنغام العود والقيثارة ، يرتل المزامير ويكتب الجديد منها ويحاول جاهداً أن يشركهم معه ، ويكلمهم كثيراً عن نعمة الله الغنية ومحبته الفياضة . ولكن معظم هذه الكلمات تذهب أدراج الرياح لأنهم رجال يؤمنون بالسيف والرمح لا بالمزامير والتسابيح ، يصفهم الكتاب أنهم جبابرة بأس وجوههم كوجوه الأسود وكالظبي في السرعة . وهم بدورهم يحاولون كثيراً مع داود حتى يتخلى عن طبيعته الشاعرية الرقيقة ويدرك وضعه الحالي كأحد المطاريد ، وربما يكون كل منهم قد أثر فى الآخر قليلاً وتأثر به ، إلا أن الهوة بينهما ظلت سحيقة فى طريقة التفكير .

وبينما هم على هذه الحال، حدث ما لم يكن يخطر على بال أي منهم فى أحلى أحلامه فقد سمعوا صوت جلبة وحوار قادم من خارج المغارة ، فأشاروا لبعضهم بالصمت وتحسس الرجال أسلحتهم فهم لا يعلمون هوية القادمين ، أعداء أم أصدقاء ، أم غرباء على الحياد ، ولكن يا للعجب فالداخل إلى ظلام المغارة هو بيت القصيد - شاول الملك - دخل وحده ليستريح قليلاً ، ولأنه قادم من النور إلى ظلام المغارة لا يميز إن كان فيها أحد أم لا ، أما هم من الداخل فعرفوه فى الحال .... ولم يصدق الرجال أنفسهم، فقد جاء الفرج أخيراً بطريقة لم تخطر لهم على بال. وقالوا فى أنفسهم حقاً إن إله داود إله عظيم ينزل لأبنائه المن من السماء ويفجر لهم الماء من الصخرة الصماء ويعطي لداود رأس عدوه دون عناء.

أكثر من شخص تحفز ليغمد سيفه فى صدر الملك ولكنهم رأوا أن زعيمهم أحق بأن يحظى بهذا الشرف و لم يشكّوا للحظة أن داود قد يرفض ، فكل القوانين كانت ولا تزال تعطيه حق قتله وتعتبره فى حالة دفاع شرعي عن النفس . ثم أنهم فى حالة

حرب لا يسود فيها إلا قانون الغاب، أضف لذلك أن شهوة الثأر التى تتأجج فى صدورهم هي قطعاً بعض قليل مما لديه، فقالوا له بكل حماس «**هُوَ ذَا الْيَوْمُ الَّذِي قَالَ لَكَ عَنْهُ الرَّبُّ : هَا أنا ذَا أَدْفَعُ عَدُوَّكَ لِيَدِكَ فَتَفْعَلُ بِهِ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْكَ**».
والحقيقة أن الرب لم يقل هذا أبداً ، حقاً هو وعد داود بالمُلك ولكنه أبداً لم يعده أن يدفع شاول ليده ليتشفى فيه . ولكن بالنسبة لرجال مثل هؤلاء هكذا يظنون بكل صدق أن هذه هي إرادة الله .
وكم نفعل مثلهم فنخضع لتصورات نعتبر أنها إرادة الله ونرتكب الإثم بدعوى أننا ننفذ إرادة الله مما يؤكد أن الطريق إلى جهنم قد يكون مفروشاً بالنوايا الطيبة .
ولم يكن أمام داود وقت طويل للتفكير . لأنه لو ضيع هذه الفرصة فقد تنقلب الآية ، وفى لحظة خاطفة يدرك شاول أن الصيد الثمين داخل المغارة فيعطى إشارة لجنوده فيجهزوا عليهم فى الحال فماذا ستفعل يا داود ، هيا نقرأ هذا الموقف الذي توقف عنده التاريخ طويلاً .

داود يقطع طرف جبة شاول

فَقَامَ دَاوُدُ وَقَطَعَ طَرَفَ جُبَّةِ شَاوُلَ سِرّاً. وَكَانَ بَعْدَ ذلِكَ أَنَّ قَلْبَ دَاوُدَ ضَرَبَهُ عَلَى قَطْعِهِ طَرَفَ جُبَّةِ شَاوُلَ، فَقَالَ لِرِجَالِهِ: «حَاشَا لِي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ أَعْمَلَ هذَا الأَمْرَ بِسَيِّدِي بِمَسِيحِ الرَّبِّ، فَأَمُدَّ يَدِي إِلَيْهِ لأَنَّهُ مَسِيحُ الرَّبِّ هُوَ». فَوَبَّخَ دَاوُدُ رِجَالَهُ بِالْكَلاَمِ وَلَمْ يَدَعْهُمْ يَقُومُونَ عَلَى شَاوُلَ. (١صم ٢٤ : ٤-٧)
تقدم داود بهدوء وحذر ومعه سكين صغير ، وإبليس يعرض له صوراً متلاحقة من الماضي القريب : رمح شاول الذي أخطأه أكثر من مرة ، و ميرب ابنته التى أهانه بتزويجها لغيره ، والمهر المستحيل لميكال ١٠٠ من الفلسطينيين ، ثم الجنود يحاصرون منزله فيهرب من الشباك ومن يومها وهو مشرد بلا بيت يأمن تحت سقفه ، ودماء ٨٥ كاهناً بعائلاتهم وسنين طويلة من الهروب كان الموت فيها دائماً على بعد خطوة أو أقل . وانتظر رفاقه أن يروا شاول مضرجاً فى دمائه ويسمعوا صرخته الأخيرة ، ولكن داود لم يفعل ، بل قطع طرف



جبة (روب) شاول ! وعاد بينهم بهدوء شديد !! فلما رأى فى عيونهم نظرات الدهشة والحسرة بل الغضب الممزوج بالغيظ ، أخذهم بعيداً فى عمق المغارة وبدأ "يعظهم" ويحكي لهم كيف أن ضميره يعذبه لأنه قطـــع طرف ثوب شاول !!

لا شك أن معظمهم قالوا عنه سراً أو جهراً " **أنّـه مُختّل** " وهى نفس الكلمات التى قالها أقارب يسوع عنه فى (مر ٣ : ٢١) ومازالت تقال عن كل من يسبح ضد التيار، الآن يا داود تقول عن شاول أنه مسيح الرب ، وأنت من تكون ؟ ألست أنت مسيح الرب أيضاً ، ألم يمسحك صموئيل الذي مسحه قبلاً ؟ وبهذا زالت عنه الشرعية وصارت لك . ماذا تنتظر من الرب لكي يهبك فرصة تخليص الأمة من شروره واعتلاء العرش ؟ وإن كنت أنت تستعذب هذه الرومانسية الخيالية فيها فما ذنبنا نحن

حتى نظل مشردين سنين أخرى لا نعلم لها نهاية ؟ اتركنا فنقضي عليه وإن كنتَ خائفاً أو تخشى أن تلوث يديك بدمائه فنحن كفيلون به .

تأمل روحي السيطرة على الجموع أندهش وأعجب كثيراً بمروض الأسود في السيرك وهو يسيطر على مجموعة من الوحوش الضارية ، يأمر هذا فيجلس فى مكانه وينهر ذاك فيقفز فى النار ، ولكني أبدا لم أشاهد مروضاً يُدخِل حملاً مكتوف الأرجل إلى قفص أسود جائعة ثم يشير لها ألا تقترب إليه ولا تمسه بسوء !! ولكي نقرب التشبيه أكثر يجب أن نفترض أن هذا الحمل يريد الفتك بالأسود !! والعجيب أن الأسود أطاعت وتركت الحمل يخرج سالما من القفص - أقصد من المغارة . يا له من مروض بارع قوي الشخصية يسيطر على الوحوش .

أما داود فما زال قلبه يضربه ! لأنه قطع ثوب الملك الممسوح من الرب ، شاول والد يوناثان صديق عمره ووالد ميكال زوجته .

تأمل روحي تصرفاتنا ليست صدفة : تصرف الإنسان في مثل تلك المواقف ليس وليد اللحظة عينها ، بل هو حصيلة أيام وليال طويلة يترك فيها نفسه لعمل الروح القدس فيملأ قلبه سلاماً ومحبة ومغفرة أو يترك فيها القلب لعمل إبليس فيشحنه بغضاً وخصاماً وانتقاماً ، فما يشغل فكرك الآن هو الذي سيحكم تصرفك غداً لذا يلخص لنا الكتاب هذا الأمر فى نصيحة مركزة " **أَخِيراً أَيُّهَا الإِخْوَةُ كُلُّ مَا هُوَ حَــقٌّ ، كُلُّ مَا هُوَ جَلِيــــلٌ، كُلُّ مَا هُوَ عَــــــادِلٌ، كُلُّ مَا هُوَ طَاهِــــــرٌ، كُلُّ مَا هُوَ مُسِــــرٌّ، كُلُّ مَا صِيتُهُ حَسَنٌ - إِنْ كَانَتْ فَضِيلَةٌ وَإِنْ كَانَ مَدْحٌ، فَفِي هَذِهِ افْـتَكِــرُوا.**" (في ٤ : ٨)

وهذه الفكرة عينها هي التي صلى داود طالباً إياها من الرب عندما قال :

" **لِتَكُنْ أَقْوَالُ فَمِي وَفِكْرُ قَلْبِي مَرْضِيَّةً أَمَامَكَ يَا رَبُّ صَخْرَتِي وَوَلِيِّي.**"(مز١٩ : ١٤)

وكلما تأملت فى موقف داود الرائع أتعجب هل ركب هذا القديس آلة الزمن وسبق بها جيله عشرة قرون للمستقبل وجلس تحت قدمي الرب وهو يقول "**سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ :أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ**" (مت ٥ : ٤٣ ـ ٤٤) وإن كان قد سمع هذه الكلمات فكيف استطاع أن يعيشها منذ ٣٠ قرناً بينما

نحن حتى الآن نفشل أن نطيعها بل ويدعي معظمنا أنها لا تصلح للتطبيق لكونها فوق مستوى البشر. ولكن تصرف داود سيظل إلى الأبد موبخاً لنا مظهراً لضعفنا . ولعله لأجل هذا الموقف بالذات شهد له الرب قائلاً : **«وَجَدْتُ دَاوُدَ بْنَ يَسَّى رَجُلاً حَسَبَ قَلْبِي، ٱلَّذِي سَيَصْنَعُ كُلَّ مَشِيئَتِي»** (أع ١٣: ٢٢).

كان داود يؤمن أن أكبر انتصار يمكن أن يحققه على شاول هو أن يحوله إلى صديق، وهذا الدرس نتعلمه منك يا داود فإن كان سحق العدو سهلا في بعض الأحيان إلا أن روح العداء ستظل حية بل ستزداد اشتعالاً وتنمو بذرتها من جيل إلى جيل وكم من حروب التهمت نيرانها نفوس الملايين من البشر لأن أطرافها ظنوا أنهم سيسحقون العدو إلى الأبد ، فإذا النار تحت الرماد تتأجج لتشتعل أكثر وأكثر بعد حين .

داود يدافع عن نفسه أمام شاول

وَأَمَّا شَاوُلُ فَقَامَ مِنَ الْكَهْفِ وَذَهَبَ فِي طَرِيقِهِ.

ثُمَّ قَامَ دَاوُدُ بَعْدَ ذلِكَ وَخَرَجَ مِنَ الْكَهْفِ وَنَادَى وَرَاءَ شَاوُلَ: «يَا سَيِّدِي الْمَلِكُ».

وَلَمَّا الْتَفَتَ شَاوُلُ إِلَى وَرَائِهِ خَرَّ دَاوُدُ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ.

+ **وَقَالَ دَاوُدُ لِشَاوُلَ: «لِمَاذَا تَسْمَعُ كَلاَمَ النَّاسِ الْقَائِلِينَ: هُوَذَا دَاوُدُ يَطْلُبُ أَذِيَّتَكَ. هُوَذَا قَدْ رَأَتْ عَيْنَاكَ الْيَوْمَ هذَا كَيْفَ دَفَعَكَ الرَّبُّ لِيَدِي فِي الْكَهْفِ، وَقِيلَ لِي أَنْ أَقْتُلَكَ، وَلكِنَّنِي أَشْفَقْتُ عَلَيْكَ وَقُلْتُ: لاَ أَمُدُّ يَدِي إِلَى سَيِّدِي لأَنَّهُ مَسِيحُ الرَّبِّ هُوَ. فَانْظُرْ يَا أَبِي، انْظُرْ أَيْضاً طَرَفَ جُبَّتِكَ بِيَدِي. فَمِنْ قَطْعِي طَرَفَ جُبَّتِكَ وَعَدَم قَتْلِي إِيَّاكَ اعْلَمْ وَانْظُرْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي يَدِي شَرٌّ وَلاَ جُرْمٌ، وَلَمْ أُخْطِئْ إِلَيْكَ، وَأَنْتَ تَصِيدُ نَفْسِي لِتَأْخُذَهَا. يَقْضِي الرَّبُّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَيَنْتَقِمُ لِي الرَّبُّ مِنْكَ، وَلكِنْ يَدِي لاَ تَكُونُ عَلَيْكَ. كَمَا يَقُولُ مَثَلُ الْقُدَمَاءِ: مِنَ الأَشْرَارِ يَخْرُجُ شَرٌّ. وَلكِنْ يَدِي لاَ تَكُونُ عَلَيْكَ.**

وَرَاءَ مَنْ خَرَجَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ؟ وَرَاءَ مَنْ أَنْتَ مُطَارِدٌ؟ وَرَاءَ كَلْبٍ مَيِّتٍ! وَرَاءَ بُرْغُوثٍ وَاحِدٍ! فَيَكُونُ الرَّبُّ الدَّيَّانَ وَيَقْضِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَيَرَى وَيُحَاكِمُ مُحَاكَمَتِي وَيُنْقِذُنِي مِنْ يَدِكَ». (١صم ٢٤ :٧-١٥)

خرج شاول وسار عشرات الأمتار . فلما اطمأن داود أنه بمنأى عن رمح شاول ، خرج من المغارة ليدافع عن نفسه أخيراً ، وبعد سنين طويلة من آخر مرة قابل فيها

شاول فى الرامة يوم ذهب ليقبض عليه (١صم ١٩) ولكن روح التسبيح التى ظللت المكان في ذلك اليوم جعلته يقف ليسبح الرب مع صموئيل ويترك داود .
وقبل أن يبدأ دفاعه سجد داود احتراماً وتوقيراً أمام الملك كما اعتاد أن يفعل هو وسائر الرعية عندما يخاطبون الملك ، وناداه سيدي وأبي ليؤكد له حقيقة مشاعره، وحذره من الإنصات للواشين الذين يسعدهم ازدياد الخصومة .

وبروح اتضاع غير مفتعل وصف نفسه أنه مجرد برغوث أو كلب ميت لا يستحق أن يخرج الملك بنفسه على رأس ٣٠٠٠ جندي للبحث عنه ، وبرهن على صدق محبته بطرف الجبة المقطوع ووعده أنه لن يحاول الانتقام لنفسه أبداً لأن الرب وحده هو الذي يقضي بينهما«**لِيَ ٱلنَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ ٱلرَّبُّ**» (رو١٢: ١٩). وأنه لن يأخذ مكان الله فيكون القاضي والجلاد ، ولكنه فقط يشكو إلى الله، وينتظر إنصافه.

<u>شاول يعترف بأخطائه للمرة الأولى</u>

فَلَمَّا فَرَغَ دَاوُدُ مِنَ التَّكَلُّمِ بِهذَا الْكَلاَمِ إِلَى شَاوُلَ قَالَ شَاوُلُ: «أَهذَا صَوْتُكَ يَا ابْنِي دَاوُدُ؟» وَرَفَعَ شَاوُلُ صَوْتَهُ وَبَكَى. ثُمَّ قَالَ لِدَاوُدَ: «أَنْتَ أَبَرُّ مِنِّي لأَنَّكَ جَازَيْتَنِي خَيْراً وَأَنَا جَازَيْتُكَ شَرّاً. وَقَدْ أَظْهَرْتَ الْيَوْمَ أَنَّكَ عَمِلْتَ بِي خَيْراً لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ دَفَعَنِي بِيَدِكَ وَلَمْ تَقْتُلْنِي. فَإِذَا وَجَدَ رَجُلٌ عَدُوَّهُ، فَهَلْ يُطْلِقُهُ فِي طَرِيقِ خَيْرٍ؟ فَالرَّبُّ يُجَازِيكَ خَيْراً عَمَّا فَعَلْتَهُ لِي الْيَوْمَ هذَا.
وَالآنَ فَإِنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ تَكُونُ مَلِكاً وَتَثْبُتُ بِيَدِكَ مَمْلَكَةُ إِسْرَائِيلَ. فَاحْلِفْ لِي الآنَ بِالرَّبِّ إِنَّكَ لاَ تَقْطَعُ نَسْلِي مِنْ بَعْدِي، وَلاَ تُبِيدُ اسْمِي مِنْ بَيْتِ أَبِي». فَحَلَفَ دَاوُدُ لِشَاوُلَ. ثُمَّ ذَهَبَ شَاوُلُ إِلَى بَيْتِهِ، وَأَمَّا دَاوُدُ وَرِجَالُهُ فَصَعِدُوا إِلَى الْحِصْنِ. (١صم ٢٤ :١٦-٢٢)

أخيـــــــــــــراً استطاع تواضع داود أن يلين القلب الفولاذي الذي لشاول ويطرد الشياطين التى تعيث فيه فسادا ، و استطاع عمل المحبة أن ينتزع كلمات الاعتذار من اللسان المتعجرف ، واستطاع طرف الجبة المقطوع أن يفجر الدمع من تلك العيون التى جفف الكبرياء مآقيها . أخيراً استطاعت المغفرة والعفو عند المقدرة أن تخترق الآذان التي أصغت طويلاً للوشاية الكاذبة فتجعله يشن حملة وراء الأخرى لمطاردة ذلك البرغوث أو الكلب الميت . أخيـــــــــــراً اعترف شاول بفمه أن داود أحق

بالمملكة ورجاه ألا يبيد نسله كما هي عادة كل أسرة تستولي على الحكم . وعاد شاول إلى بيته بعد أن أقنعت دموعه معظم الحاضرين أن هذه المرة هي آخر المطاردات .

وفي هذا الموقف العصيب قال داود هذا المزمور الذي نصليه في الساعة السادسة .

اَلْمَزْمُورُ السَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ

***لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى [لاَ تُهْلِكْ]** (أي بنفس نغمة ترنيمة لا تهلك).*

مُذَهَّبَةٌ** (قصيدة) **لِدَاوُدَ عِنْدَمَا هَرَبَ مِنْ قُدَّامِ شَاوُلَ فِي الْمَغَارَةِ .

(بعد أن قطع الجبة وهرب داخل المغارة وهو لا يدري هل سيراه شاول أم لا)

***اِرْحَمْنِي يَا اَللهُ ارْحَمْنِي** (لأنه كان تحت ضغط نفسي رهيب)*

***لأَنَّهُ بِكَ احْتَمَتْ نَفْسِي** (احمني من شاول ومن جنودي ومن نفسي)*

***وَبِظِلِّ جَنَاحَيْكَ أَحْتَمِي إِلَى أَنْ تَعْبُرَ الْمَصَائِبُ.** (إلى أن يستيقظ شاول وأريه طرف الجبة المقطوع - دليل محبتي له)*

***أَصْرُخُ إِلَى اللهِ الْعَلِيِّ إِلَى اللهِ الْمُحَامِي عَنِّي.** (لأنك الوحيد الذي تدافع عني)*

***يُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَيُخَلِّصُنِي. عَيَّرَ الَّذِي يَتَهَمَّنِي.**(جنوده اتهموه بالتخاذل وربما الجنون) **سِلاَهْ.** (فاصل من الصمت أو الموسيقى)*

***يُرْسِلُ اللهُ رَحْمَتَهُ وَحَقَّهُ. نَفْسِي بَيْنَ الأَشْبَالِ. أَضْطَجِعُ بَيْنَ الْمُتَّقِدِينَ** (المشتعلين غضباً- وهم جنوده الذين يريدون قتل شاول) **بَنِي آدَمَ. أَسْنَانُهُمْ أَسِنَّةٌ وَسِهَامٌ وَلِسَانُهُمْ سَيْفٌ مَاضٍ** (حاد).*

***ارْتَفِعِ اللهُمَّ عَلَى السَّمَاوَاتِ. لِيَرْتَفِعْ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ مَجْدُكَ. هَيَّأُوا شَبَكَةً لِخَطَوَاتِي. انْحَنَتْ نَفْسِي. حَفَرُوا قُدَّامِي حُفْرَةً. سَقَطُوا فِي وَسَطِهَا. سِلاَهْ.** (صراع التجربة هل يطيع المنطق البشري فيقتل شاول وقد يخسر نعمة الله أم يتمسك بموقفه)*

***ثَابِتٌ قَلْبِي يَا اَللهُ ثَابِتٌ قَلْبِي. أُغَنِّي وَأُرَنِّمُ. اسْتَيْقِظْ يَا مَجْدِي. اسْتَيْقِظِي يَا رَبَابُ وَيَا عُودُ. أَنَا أَسْتَيْقِظُ سَحَراً. أَحْمَدُكَ بَيْنَ الشُّعُوبِ يَا رَبُّ. أُرَنِّمُ لَكَ بَيْنَ الأُمَمِ. لأَنَّ رَحْمَتَكَ قَدْ عَظُمَتْ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَإِلَى الْغَمَامِ حَقُّكَ. ارْتَفِعِ اللهُمَّ عَلَى السَّمَاوَاتِ. لِيَرْتَفِعْ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ مَجْدُكَ.** (لا يا رب سأثبت على موقفي وأفرح بتسبيحك، وقد استكمل الجزء الأخير بعد نهاية الأزمة)*

موت صموئيل

وَمَاتَ صَمُوئِيلُ فَاجْتَمَعَ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ وَنَدَبُوهُ وَدَفَنُوهُ فِي بَيْتِهِ فِي الرَّامَةِ. وَقَامَ دَاوُدُ وَنَزَلَ إِلَى بَرِّيَّةِ فَارَانَ . (١صم ٢٥: ١)

فى كلمات قليلة يذكر الكتاب المقدس موت صموئيل النبي ، آخر قضاة إسرائيل والمرشد الروحي للشعب صاحب الكرامة والهيبة الذي يمسح الملوك ويخشاه الكبير قبل الصغير ، وكان صموئيل سنداً وعوناً لداود و شاهداً على إرادة الله أن يمنحه المملكة ولكن الآن فقده داود وقطعاً حزن كثيراً لفراقه .

داود يطلب أجرته من نابال

وَكَانَ رَجُلٌ فِي مَعُونٍ وَأَمْلاَكُهُ فِي الْكَرْمَلِ. وَكَانَ الرَّجُلُ عَظِيماً جِدّاً وَلَهُ ثَلاَثَةُ آلاَفٍ مِنَ الْغَنَمِ وَأَلْفٌ مِنَ الْمَعْزِ وَكَانَ يَجُزُّ (يقص صوف الغنم) **غَنَمَهُ فِي الْكَرْمَلِ. وَاسْمُ الرَّجُلِ نَابَالُ وَاسْمُ امْرَأَتِهِ أَبِيجَايِلُ. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَيِّدَةَ الْفَهْمِ وَجَمِيلَةَ الصُّورَةِ. وَأَمَّا الرَّجُلُ فَكَانَ قَاسِياً وَرَدِيءَ الأَعْمَالِ. وَهُوَ كَالِبِيٌّ** (من أحفاد كالب) **. فَسَمِعَ دَاوُدُ فِي الْبَرِّيَّةِ أَنَّ نَابَالَ يَجُزُّ غَنَمَهُ. فَأَرْسَلَ دَاوُدُ عَشَرَةَ غِلْمَانٍ وَقَالَ دَاوُدُ لِلْغِلْمَانِ: «اصْعَدُوا إِلَى الْكَرْمَلِ وَادْخُلُوا إِلَى نَابَالَ وَاسْأَلُوا بِاسْمِي عَنْ سَلاَمَتِهِ وَقُولُوا هَكَذَا: حَيِيتَ وَأَنْتَ سَالِمٌ وَبَيْتُكَ سَالِمٌ وَكُلُّ مَا لَكَ سَالِمٌ. وَالآنَ قَدْ سَمِعْتُ أَنَّ عِنْدَكَ جَزَّازِينَ . حِينَ كَانَ رُعَاتُكَ مَعَنَا لَمْ نُؤْذِهِمْ وَلَمْ يُفْقَدْ لَهُمْ شَيْءٌ كُلَّ الأَيَّامِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا فِي الْكَرْمَلِ. اِسْأَلْ غِلْمَانَكَ فَيُخْبِرُوكَ. فَلْيَجِدِ الْغِلْمَانُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ لأَنَّنَا قَدْ جِئْنَا فِي يَوْمٍ طَيِّبٍ. فَأَعْطِ مَا وَجَدَتْهُ يَدُكَ لِعَبِيدِكَ وَلاِبْنِكَ دَاوُدَ».** (١صم ٢٥: ٢-٨)

أقام داود وجيشه على حدود إسرائيل مع فلسطين يحمي الرعاة فى تلك المنطقة من هجمات الأعداء وكان العُرف أنه عندما يحين وقت قص أصواف الغنم وجني الأرباح أن يجزل أصحاب الغنم العطاء لكل من شارك فى الرعي أو الحراسة ، وهكذا أرسل داود رجاله يطالبون نابال بنصيبهم في الوليمة .

حماقة نابال :

فَجَاءَ الْغِلْمَانُ وَكَلَّمُوا نَابَالَ حَسَبَ كُلِّ هذَا الْكَلاَمِ بِاسْمِ دَاوُدَ وَكَفُّوا (صمتوا) . فَأَجَابَ نَابَالُ عَبِيدَ دَاوُدَ: «وَقَالَ مَنْ هُوَ دَاوُدُ وَمَنْ هُوَ ابْنُ يَسَّى؟ قَدْ كَثُرَ الْيَوْمَ الْعَبِيدُ الَّذِينَ يَهْرُبُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَمَامِ سَيِّدِهِ! أَآخُذُ خُبْزِي وَمَائِي وَذَبِيحِيَ الَّذِي ذَبَحْتُ لِجَازِّيَّ وَأُعْطِيهِ لِقَوْمٍ لاَ أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هُمْ؟» (١صم ٢٥: ٩- ١١)

ليس ظلماً أن يصف الوحي المقدس نابال أنه قاس ورديء الأعمال وها هو الدليل يظهر جليا في رده المتعجرف على غلمان داود وكان هذا المليونير صاحب آلاف الأغنام يعلم جيداً أن داود هو قاتل جليات وصهر الملك بل وكان يستطيع أن يصرفهم بكلمة طيبة دون أن يعطيهم شيئاً ولكنه أضاف لبخله حماقة أشد فأهانهم هذه الإهانة الموجعة بلا سبب .

داود يستعد للثأر

فَتَحَوَّلَ غِلْمَانُ دَاوُدَ إِلَى طَرِيقِهِمْ وَرَجَعُوا وَجَاءُوا وَأَخْبَرُوهُ حَسَبَ كُلِّ هذَا الْكَلاَمِ. فَقَالَ دَاوُدُ لِرِجَالِهِ: «لِيَتَقَلَّدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ سَيْفَهُ». فَتَقَلَّدَ كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ. وَتَقَلَّدَ دَاوُدُ أَيْضاً سَيْفَهُ. وَصَعِدَ وَرَاءَ دَاوُدَ نَحْوُ أَرْبَعِ مِئَةِ رَجُلٍ، وَمَكَثَ مِئَتَانِ مَعَ الأَمْتِعَةِ.

(١صم ٢٥: ١٢-١٣)

لا شك أن رجال داود قد أشبعوه لوماً وتقريعاً لأنه ترك شاول ينجو بحياته وقالوا له هل كنت تظن أنه سيصفو من ناحيتك أو أنه سيدعوك مرة أخرى للعودة إلى ديارك ، كلا فمثل هذه النوعية من البشر لا تجدي معها رأفة أو لين، إن كنت تريد المُلك حقا يا داود فاعلم أن سيفك هو طريقك إلى العرش به تقطع ألسنة – بل رقاب – كل من يتجاسر أن يهينك أو يهددك وتكرر هذا الحوار يوما فيوم حتى بدأ داود يقتنع به ، وبينما هم على هذا الحال أتى الغلمان ليخبروا داود بالرد السخيف الذي تفوه به نابال، فخرج الإنسان العتيق من مكمنه واستشاط داود غضباً وأخذ معه ٤٠٠ من رجاله ليبيدوا نابال وكل بيته .

تأمل روحي قوة السلسلة : سرعة الغضب وحدته قد تكون سلاحاً خطيراً في يد إبليس يوقع به أبناء الملكوت فى شر الخطايا معطياً إياهم المبرر أنها كانت لحظة غضب ، والحكمة التي يجب أن يتذكرها كل غضوب هى أن "قوة السلسلة تقاس بقوة أضعف حلقة فيها" بمعنى أنه لو كان عندي سلسلة كل حلقاتها قوية محكمة ولكن واحدة فقط من هذه الحلقات ضعيفة فإن هذه السلسة ستنقطع من عند هذه الحلقة إذا تعرضت لشد ضعيف ولن يشفع لها أن باقي الحلقات ما زالت قوية متماسكة، فالمحصلة النهائية أن السلسة انقطعت . وكم من أخطاء نرتكبها فى لحظات الغضب هذه ثم نمضي أعواماً طويلة نادمين محاولين إصلاحها وقليلاً ما ننجح فى ذلك.

أبيجايل زوجة نابال تنقذ الموقف

فَأَخْبَرَ أَبِيجَايِلَ امْرَأَةَ نَابَالَ غُلاَمٌ مِنَ الْغِلْمَانِ: «هُوَذَا دَاوُدُ أَرْسَلَ رُسُلاً مِنَ الْبَرِّيَّةِ لِيُبَارِكُوا سَيِّدَنَا فَثَارَ عَلَيْهِمْ. وَالرِّجَالُ مُحْسِنُونَ إِلَيْنَا جِدّاً، فَلَمْ نُؤْذَ وَلاَ فُقِدَ مِنَّا شَيْءٌ كُلَّ أَيَّامِ تَرَدُّدِنَا مَعَهُمْ وَنَحْنُ فِي الْحَقْلِ. كَانُوا سُوراً (المقصود حراس) **لَنَا لَيْلاً وَنَهَاراً كُلَّ الأَيَّامِ الَّتِي كُنَّا فِيهَا مَعَهُمْ نَرْعَى الْغَنَمَ. وَالآنَ اعْلَمِي وَانْظُرِي مَاذَا تَعْمَلِينَ، لأَنَّ الشَّرَّ قَدْ أُعِدَّ عَلَى سَيِّدِنَا وَعَلَى بَيْتِهِ، وَهُوَ ابْنُ لَئِيمٍ لاَ يُمْكِنُ الْكَلاَمُ مَعَهُ».**

فَبَادَرَتْ أَبِيجَايِلُ وَأَخَذَتْ مِئَتَيْ رَغِيفِ خُبْزٍ وَزِقَّيْ (كيسين) **خَمْرٍ وَخَمْسَةَ خِرْفَانٍ مُهَيَّأَةً وَخَمْسَ كَيْلاَتٍ مِنَ الْفَرِيكِ وَمِئَتَيْ عُنْقُودٍ مِنَ الزَّبِيبِ وَمِئَتَيْ قُرْصٍ مِنَ التِّينِ وَوَضَعَتْهَا عَلَى الْحَمِيرِ وَقَالَتْ لِغِلْمَانِهَا: «اعْبُرُوا قُدَّامِي. هَا أَنَا ذَا جَائِيَةٌ** (آتية) **وَرَاءَكُمْ». وَلَمْ تُخْبِرْ رَجُلَهَا نَابَالَ. وَفِيمَا هِيَ رَاكِبَةٌ عَلَى الْحِمَارِ وَنَازِلَةٌ فِي سُتْرَةِ** (منحنى) **الْجَبَلِ إِذَا بِدَاوُدَ وَرِجَالِهِ مُنْحَدِرُونَ لاِسْتِقْبَالِهَا، فَصَادَفَتْهُمْ.**

+ **وَقَالَ دَاوُدُ: «إِنَّمَا بَاطِلاً** (بلا فائدة) **حَفِظْتُ كُلَّ مَا لِهَذَا** (يقصد نابال) **فِي الْبَرِّيَّةِ فَلَمْ يُفْقَدْ مِنْ كُلِّ مَا لَهُ شَيْءٌ، فَكَافَأَنِي شَرّاً بَدَلَ خَيْرٍ. هَكَذَا يَصْنَعُ اللَّهُ لأَعْدَاءِ دَاوُدَ وَهَكَذَا يَزِيدُ إِنْ أَبْقَيْتُ من كل ما لَهُ إِلَى ضُوءِ الصَّبَاحِ بَائِلاً بِحَائِطٍ** (أقتله هو وكل أسرته) **».**

وَلَمَّا رَأَتْ أَبِيجَايِلُ دَاوُدَ أَسْرَعَتْ وَنَزَلَتْ عَنِ الْحِمَارِ، وَسَقَطَتْ أَمَامَ دَاوُدَ عَلَى وَجْهِهَا وَسَجَدَتْ إِلَى الأَرْضِ، وَسَقَطَتْ عَلَى رِجْلَيْهِ

وَقَالَتْ: «عَلَيَّ أَنَا يَا سَيِّدِي هَذَا الذَّنْبُ، وَدَعْ أَمَتَكَ (جاريتك) تَتَكَلَّمُ فِي أُذُنَيْكَ وَاسْمَعْ كَلاَمَ أَمَتِكَ. لاَ يَضَعَنَّ سَيِّدِي قَلْبَهُ عَلَى الرَّجُلِ اللَّئِيمِ هَذَا، عَلَى نَابَالَ، لأَنَّ كَاسْمِهِ هَكَذَا هُوَ. نَابَالُ اسْمُهُ وَالْحَمَاقَةُ عِنْدَهُ. وَأَنَا أَمَتَكَ لَمْ أَرَ غِلْمَانَ سَيِّدِي الَّذِينَ أَرْسَلْتَهُمْ. وَالآنَ يَا سَيِّدِي حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ وَحَيَّةٌ هِيَ نَفْسُكَ إِنَّ الرَّبَّ قَدْ مَنَعَكَ عَنْ إِتْيَانِ الدِّمَاءِ وَانْتِقَامِ يَدِكَ لِنَفْسِكَ. وَالآنَ فَلْيَكُنْ كَنَابَالَ أَعْدَاؤُكَ وَالَّذِينَ يَطْلُبُونَ الشَّرَّ لِسَيِّدِي. وَالآنَ هَذِهِ الْبَرَكَةُ (الهدايا) الَّتِي أَتَتْ بِهَا جَارِيَتُكَ إِلَى سَيِّدِي فَلْتُعْطَ لِلْغِلْمَانِ السَّائِرِينَ وَرَاءَ سَيِّدِي. وَاصْفَحْ عَنْ ذَنْبِ أَمَتِكَ لأَنَّ الرَّبَّ يَصْنَعُ لِسَيِّدِي بَيْتاً أَمِيناً، لأَنَّ سَيِّدِي يُحَارِبُ حُرُوبَ الرَّبِّ، وَلَمْ يُوجَدْ فِيكَ شَرٌّ كُلَّ أَيَّامِكَ. وَقَدْ قَامَ رَجُلٌ لِيُطَارِدَكَ وَيَطْلُبَ نَفْسَكَ (تقصد شاول) ،وَلَكِنْ نَفْسُ سَيِّدِي لِتَكُنْ مَحْزُومَةً فِي حُزْمَةِ الْحَيَاةِ مَعَ الرَّبِّ إِلَهِكَ. وَأَمَّا نَفْسُ أَعْدَائِكَ فَلْيَرْمِ بِهَا كَمَا مِنْ وَسَطِ كَفَّةِ الْمِقْلاَعِ. وَيَكُونُ عِنْدَمَا يَصْنَعُ الرَّبُّ لِسَيِّدِي حَسَبَ كُلِّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ مِنْ أَجْلِكَ، وَيُقِيمُكَ رَئِيساً عَلَى إِسْرَائِيلَ، أَنَّهُ لاَ تَكُونُ لَكَ هَذِهِ مَصْدَمَةً وَمَعْثَرَةَ قَلْبٍ لِسَيِّدِي(ضميرك سيعذبك) أَنَّكَ قَدْ سَفَكْتَ دَماً عَفْواً، أَوْ أَنَّ سَيِّدِي قَدِ انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ. وَإِذَا أَحْسَنَ الرَّبُّ إِلَى سَيِّدِي فَاذْكُرْ أَمَتَكَ».

+ فَقَالَ دَاوُدُ لأَبِيجَايِلَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي أَرْسَلَكِ هَذَا الْيَوْمَ لاِسْتِقْبَالِي وَمُبَارَكٌ عَقْلُكِ وَمُبَارَكَةٌ أَنْتِ لأَنَّكِ مَنَعْتِنِي الْيَوْمَ مِنْ إِتْيَانِ الدِّمَاءِ وَانْتِقَامِ يَدِي لِنَفْسِي. وَلَكِنْ حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي مَنَعَنِي عَنْ أَذِيَّتِكِ, إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُبَادِرِي وَتَأْتِي لاِسْتِقْبَالِي لَمَا أُبْقِيَ لِنَابَالَ إِلَى ضُوءِ الصَّبَاحِ بَائِلٌ بِحَائِطٍ (لقتلته هو و كل بيته) ». فَأَخَذَ دَاوُدُ مِنْ يَدِهَا مَا أَتَتْ بِهِ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهَا: «اصْعَدِي بِسَلاَمٍ إِلَى بَيْتِكِ. اُنْظُرِي. قَدْ سَمِعْتُ لِصَوْتِكِ وَرَفَعْتُ وَجْهَكِ».

(١صم٢٥: ١٤-٣٥)



حكيمة هي حقاً تلك المرأة إذ عرفت كيف تتصرف فى الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة ، فالدقيقة في تلك المواقف لها ثمنها ، والاعتذار الصادق بتواضع حقيقي له فعل السحر حتى على شخص حانق ساخط يحمل سيفه ويستعد للقتل ، أما اختلاق المبررات والأعذار فهو يزيد الغاضب غضباً ويشعل الموقف أكثر ، عرفت أن الجواب الليّن يصرف الغضب والكلام الموجع يهيج السخط ، وعرفت أن هدية مناسبة كفيلة أن تعطيها فرصة ولو لدقائق لتدافع عن نفسها وأسرتها وتدفع عنهم الشر المحدق بهم ، ومع أن الخطأ لم يكن من أبيجايل إلا أنها لم تستنكف أن تنسب الخطأ لنفسها وتقول وهي ساجدة أمامه " عليَّ أنا يا سيدي هذا الذنب " كما أنها أدركت بحكمتها مفاتيح شخصية داود واللغة التى يفهمها فذكّرته أنه دائماً ما يحارب حروب الرب ولذا يفلح وأن سيفه لم يتلوث أبداً بدم بريء أو بشهوة الانتقام الشخصي وتكررت كلمة "الرب" على لسانها فى كل جملة تقولها ولذا فقد اخترقت كلماتها قلب داود الذي لم يكابر إذ شعر بمقدار الحماقة التى كاد أن يرتكبها فتراجع فى الحال قبل الوقوع فى الخطأ. ومن الجميل فى داود هذه الخصلة أنه لا يستنكف أن يتدارك الخطأ حتى إذا أرشدته له امرأة أضعف منه جسدياً وأقل منه كثيراً فى الخبرة الروحية ولكن الحق كان معها فاستجاب داود باتضاع ووداعة .

موت نابال ، وزواج داود من أبيجايل وأخينوعم :

فَجَاءَتْ أَبِيجَايِلُ إِلَى نَابَالَ وَإِذَا وَلِيمَةٌ عِنْدَهُ فِي بَيْتِهِ كَوَلِيمَةِ مَلِكٍ. وَكَانَ نَابَالُ قَدْ طَابَ قَلْبُهُ وَكَانَ سَكْرَانَ جِدّاً، فَلَمْ تُخْبِرْهُ بِشَيْءٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ إِلَى ضُوءِ الصَّبَاحِ. وَفِي الصَّبَاحِ عِنْدَ خُرُوجِ الْخَمْرِ مِنْ نَابَالَ (عندما أفاق) أَخْبَرَتْهُ امْرَأَتُهُ بِهَذَا الْكَلاَمِ، فَمَاتَ قَلْبُهُ دَاخِلَهُ وَصَارَ كَحَجَرٍ. وَبَعْدَ نَحْوِ عَشَرَةِ أَيَّامٍ ضَرَبَ الرَّبُّ نَابَالَ فَمَاتَ.

فَلَمَّا سَمِعَ دَاوُدُ أَنَّ نَابَالَ قَدْ مَاتَ قَالَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ الَّذِي انْتَقَمَ نَقْمَةَ تَعْيِيرِي مِنْ يَدِ نَابَالَ، وَأَمْسَكَ عَبْدَهُ عَنِ الشَّرِّ، وَرَدَّ الرَّبُّ شَرَّ نَابَالَ عَلَى رَأْسِهِ». وَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَتَكَلَّمَ مَعَ أَبِيجَايِلَ لِيَتَّخِذَهَا لَهُ امْرَأَةً. فَجَاءَ عَبِيدُ دَاوُدَ إِلَى أَبِيجَايِلَ إِلَى الْكَرْمَلِ وَقَالُوا لَهَا: «إِنَّ دَاوُدَ قَدْ أَرْسَلَنَا إِلَيْكِ لِتَتَّخِذَكِ لَهُ امْرَأَةً». فَقَامَتْ وَسَجَدَتْ عَلَى وَجْهِهَا إِلَى الأَرْضِ وَقَالَتْ: «هُوَذَا أَمَتُكَ جَارِيَةٌ لِغَسْلِ أَرْجُلِ عَبِيدِ سَيِّدِي». ثُمَّ بَادَرَتْ وَقَامَتْ وَرَكِبَتْ

الْحِمَارَ مَعَ خَمْسِ فَتَيَاتٍ لَهَا ذَاهِبَاتٍ وَرَاءَهَا، وَسَارَتْ وَرَاءَ رُسُلِ دَاوُدَ وَصَارَتْ لَهُ امْرَأَةً. ثُمَّ أَخَذَ دَاوُدُ أَخِينُوعَمَ مِنْ يَزْرَعِيلَ فَكَانَتَا لَهُ كِلْتَاهُمَا امْرَأَتَيْنِ. فَأَعْطَى شَاوُلُ مِيكَالَ ابْنَتَهُ امْرَأَةَ دَاوُدَ لِفَلْطِي بْنِ لاَيِشَ الَّذِي مِنْ جَلِّيمَ. (١صم ٢٥: ٢٦-٤٤)

عندما أفاق نابال من الخمر وعرف أن زوجته خالفت أمره أصيب بأزمة قلبية غيظاً وكمداً من تصرفها ؛ مع أنها فى الحقيقة أنقذت حياة العشيرة كلها ، ومات نابال بعد أيام بسبب حماقته أما هي فتزوجت داود فكانت ثاني زوجاته بعد ميكال التى لم يرها منذ بدء رحلة الهروب الطويلة وسريعاً ما أخذ الزوجة الثالثة أخينوعم اليزرعيلية . فيما اعتبره شاول إهانة لابنته فرد عليها بأن زوج ميكال لرجل آخر انتقاماً من داود . وواضح أن ميكال كانت مسلوبة الإرادة وكان شاول يستخدمها كسلاح في معركته مع داود ، في البدء زوَّجَها له لكي تكون له فخاً يصطاده بواسطتها، والآن يطلقها منه ويزوجها لآخر انتقاماً منه ؛ وما أسخف أن تستغل علاقة الزواج المقدسة بهذه الصورة المقيتة المهينة .

خيانة جديدة لداود من أهل زيف

ثُمَّ جَاءَ الزِّيفِيُّونَ إِلَى شَاوُلَ إِلَى جِبْعَةَ قَائِلِينَ: «أَلَيْسَ دَاوُدُ مُخْتَفِياً فِي تَلِّ حَخِيلَةَ الَّذِي مُقَابَلَ الْقَفْرِ؟ (الصحراء) **» فَقَامَ شَاوُلُ وَنَزَلَ إِلَى بَرِّيَّةِ زِيفٍ وَمَعَهُ ثَلاَثَةُ آلاَفِ رَجُلٍ مُنْتَخَبِي إِسْرَائِيلَ لِيُفَتِّشَ عَلَى دَاوُدَ فِي بَرِّيَّةِ زِيفٍ. وَنَزَلَ شَاوُلُ فِي تَلِّ حَخِيلَةَ الَّذِي مُقَابَلَ الْقَفْرِ عَلَى الطَّرِيقِ.** (١صم ٢٦: ١ - ٣)

أنهك التعب داود ، بسبب كثرة الخيانة وطول المطاردة وإصرار شاول على الفتك به رغم كل الوعود ولعله فى مثل تلك الظروف قال "**بَدَلَ مَحَبَّتِي يُخَاصِمُونَنِي أَمَّا أَنَا فَصَلاَةٌ**" (مز١٠٩: ٤) كان يعلم أنه كلما "**يُحِبُ أكثر يُحَبُّ أقَلّ**" كما قال بولس الرسول عن نفسه (٢كو ١٢ : ١٥) ولكن هكذا الشخص الذي اختبر محبة الله يجد نفسه غير مخير فى المحبة، إذ أن نور الحب الإلهي قد بدد كل ظلمة البغضاء فتندثر هذه الرذيلة من حياته تماماً .

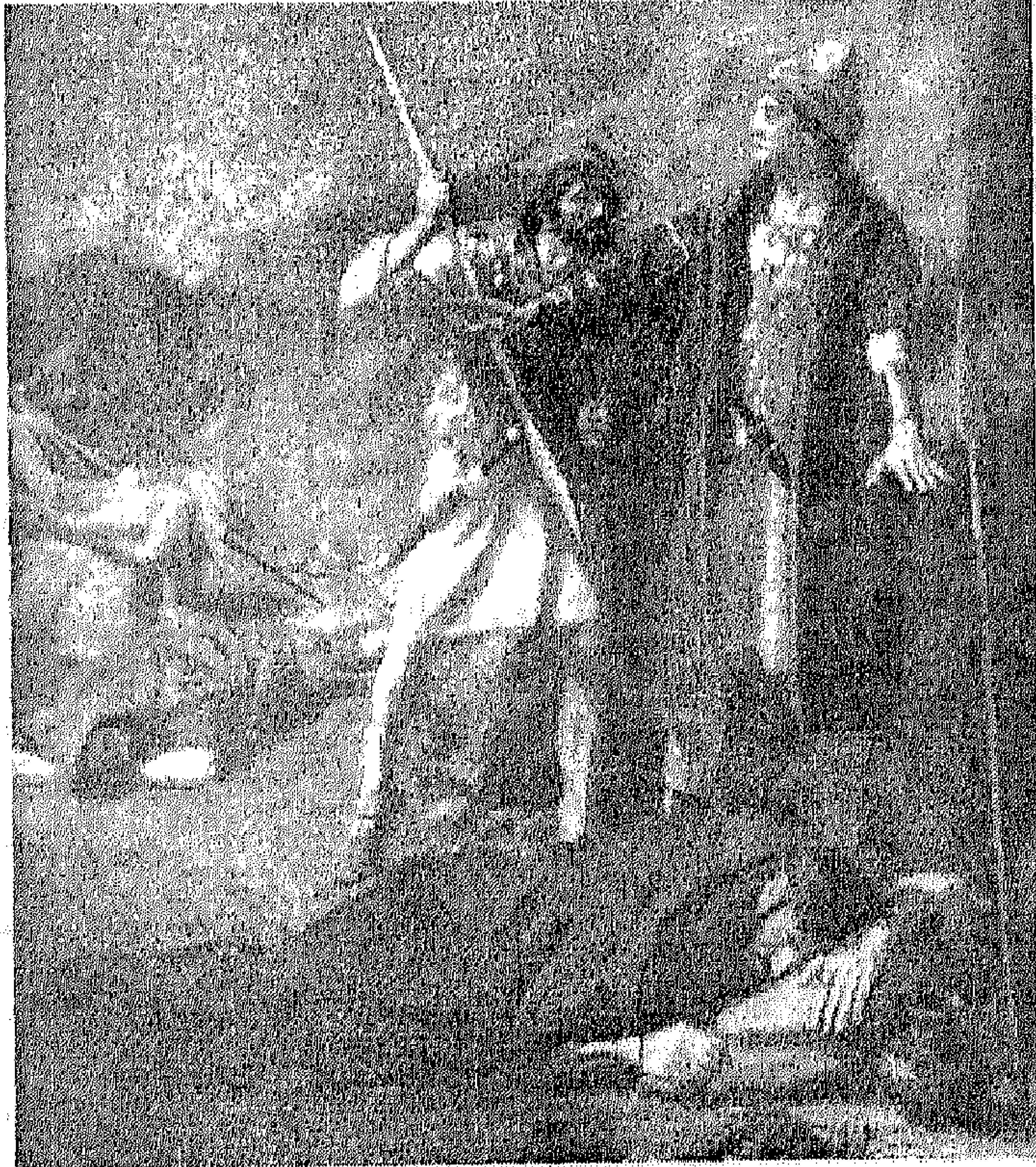
داود يعفو ثانية عن شاول في اللقاء الأخير بينهما

وَكَانَ دَاوُدُ مُقِيماً فِي الْبَرِّيَّةِ. فلمَّا رأى أنَّ شَاوُلَ قَدْ جَاءَ وَرَاءَهُ إِلى الْبَرِّيَّةِ أرْسَلَ دَاوُدُ جَوَاسِيسَ وَعَلِمَ بِالْيَقِينِ أنَّ شَاوُلَ قَدْ جَاءَ. فَقَامَ دَاوُدُ وَجَاءَ إِلى الْمَكَانِ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ شَاوُلُ، وَنَظَرَ دَاوُدُ الْمَكَانَ الَّذِي اضْطَجَعَ فِيهِ شَاوُلُ وَأبْنَيْرُ بْنُ نَيْرٍ رَئِيسُ جَيْشِهِ. وَكَانَ شَاوُلُ مُضْطَجِعاً عِنْدَ الْمِتْرَاسِ (المعسكر) وَالشَّعْبُ نُزُولٌ حَوَالَيْهِ (محيطون به)

+ فَقَالَ دَاوُدُ لأخِيمَالِكَ الْحِثِّيِّ وَأبِيشَايَ ابْنِ صَرُويَّةَ أخِي يُوآبَ: «مَنْ يَنْزِلُ مَعِي إِلى شَاوُلَ إِلى الْمَحَلَّةِ؟ (المعسكر) »

◙ فَقَالَ أبِيشَايُ: «أنَا أنْزِلُ مَعَكَ». فَجَاءَ دَاوُدُ وَأبِيشَايُ إِلى الشَّعْبِ لَيْلاً وَإِذَا بِشَاوُلَ مُضْطَجِعٌ نَائِمٌ عِنْدَ الْمِتْرَاسِ وَرُمْحُهُ مَرْكُوزٌ فِي الأرْضِ عِنْدَ رَأسِهِ وَأبْنَيْرُ وَالشَّعْبُ مُضْطَجِعُونَ حَوَالَيْهِ.

◙ فَقَالَ أبِيشَايُ لِدَاوُدَ: «قَدْ حَبَسَ اللَّهُ الْيَوْمَ عَدُوَّكَ فِي يَدِكَ. فَدَعْنِي الآنَ أضْرِبْهُ بِالرُّمْحِ إِلى الأرْضِ دُفْعَةً وَاحِدَةً وَلاَ أُثَنِّي عَلَيْهِ».



+ فَقَالَ دَاوُدُ لأَبِيشَايَ: «لاَ تُهْلِكْهُ، فَمَنِ الَّذِي يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى مَسِيحِ الرَّبِّ وَيَتَبَرَّأُ؟» وَقَالَ دَاوُدُ: «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ، إِنَّ الرَّبَّ سَوْفَ يَضْرِبُهُ أَوْ يَأْتِي يَوْمُهُ فَيَمُوتُ أَوْ يَنْزِلُ إِلَى الْحَرْبِ وَيَهْلِكُ. حَاشَا لِي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ أَمُدَّ يَدِي إِلَى مَسِيحِ الرَّبِّ! وَالآنَ فَخُذِ الرُّمْحَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِهِ وَكُوزَ الْمَاءِ وَهَلُمَّ». (ليكونا دليلاً أنهما وصلا للملك وكان باستطاعتهما أن يقتلاه) فَأَخَذَ دَاوُدُ الرُّمْحَ وَكُوزَ الْمَاءِ مِنْ عِنْدِ رَأْسِ شَاوُلَ وَذَهَبَا، وَلَمْ يَرَ وَلاَ عَلِمَ وَلاَ انْتَبَهَ أَحَدٌ لأَنَّهُمْ جَمِيعاً كَانُوا نِيَاماً، لأَنَّ سُبَاتَ الرَّبِّ وَقَعَ عَلَيْهِمْ. وَعَبَرَ دَاوُدُ إِلَى الْعَبْرِ وَوَقَفَ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ عَنْ بُعْدٍ، وَالْمَسَافَةُ بَيْنَهُمْ كَبِيرَةٌ.

+ وَنَادَى دَاوُدُ الشَّعْبَ وَأَبْنَيْرَ بْنَ نَيْرٍ: «أَمَا تُجِيبُ يَا أَبْنَيْرُ؟»

فَأَجَابَ أَبْنَيْرُ: «مَنْ أَنْتَ الَّذِي يُنَادِي الْمَلِكَ؟»

+ فَقَالَ دَاوُدُ لأَبْنَيْرَ: «أَمَا أَنْتَ رَجُلٌ، وَمَنْ مِثْلُكَ فِي إِسْرَائِيلَ؟ فَلِمَاذَا لَمْ تَحْرُسْ سَيِّدَكَ الْمَلِكَ؟ لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ وَاحِدٌ مِنَ الشَّعْبِ لِيُهْلِكَ الْمَلِكَ سَيِّدَكَ! لَيْسَ حَسَناً هذَا الأَمْرُ الَّذِي عَمِلْتَ! حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِنَّكُمْ أَبْنَاءُ الْمَوْتِ (مستوجبون الموت) أَنْتُمْ لأَنَّكُمْ لَمْ تُحَافِظُوا عَلَى سَيِّدِكُمْ، عَلَى مَسِيحِ الرَّبِّ. فَانْظُرِ الآنَ أَيْنَ هُوَ رُمْحُ الْمَلِكِ وَكُوزُ الْمَاءِ الَّذِي كَانَ عِنْدَ رَأْسِهِ».

- وَعَرَفَ شَاوُلُ صَوْتَ دَاوُدَ فَقَالَ: «أَهذَا هُوَ صَوْتُكَ يَا ابْنِي دَاوُدُ؟»

(الآن يناديه ابني! بعد كل هذه المطاردات والكراهية العمياء)

+ فَقَالَ دَاوُدُ: «إِنَّهُ صَوْتِي يَا سَيِّدِي الْمَلِكَ». ثُمَّ قَالَ: «لِمَاذَا يَسْعَى سَيِّدِي وَرَاءَ عَبْدِهِ، لأَنِّي مَاذَا عَمِلْتُ وَأَيُّ شَرٍّ بِيَدِي؟ وَالآنَ فَلْيَسْمَعْ سَيِّدِي الْمَلِكُ كَلاَمَ عَبْدِهِ. فَإِنْ كَانَ الرَّبُّ قَدْ أَهَاجَكَ ضِدِّي فَلْيَتَنَسَّمْ تَقْدِمَةً (إن كنت أخطأت فسأقدم تقدمة للرب) .

وَإِنْ كَانَ بَنُو النَّاسِ (قد تسببوا فى الوقيعة بيننا) فَلْيَكُونُوا مَلْعُونِينَ أَمَامَ الرَّبِّ لأَنَّهُمْ قَدْ طَرَدُونِي الْيَوْمَ مِنَ الانْضِمَامِ إِلَى نَصِيبِ الرَّبِّ قَائِلِينَ: اذْهَبِ اعْبُدْ آلِهَةً أُخْرَى. (جعلوني أترك أرضي إلى بلاد الوثنيين) وَالآنَ لاَ يَسْقُطْ دَمِي إِلَى الأَرْضِ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ. لأَنَّ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ قَدْ خَرَجَ لِيُفَتِّشَ عَلَى بُرْغُوثٍ وَاحِدٍ! كَمَا يُتْبَعُ الْحَجَلُ (طائر ضعيف) فِي الْجِبَالِ!».

- فَقَالَ شَاوُلُ: «قَدْ أَخْطَأْتُ. ارْجِعْ يَا ابْنِي دَاوُدُ لأَنِّي لاَ أُسِيءُ إِلَيْكَ بَعْدُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ نَفْسِي كَانَتْ كَرِيمَةً فِي عَيْنَيْكَ الْيَوْمَ. هُوَذَا قَدْ حَمِقْتُ وَضَلَلْتُ كَثِيراً جِدّاً».

+ فَأَجَابَ دَاوُدُ: «هُوَذَا رُمْحُ الْمَلِكِ، فَلْيَعْبُرْ وَاحِدٌ مِنَ الْغِلْمَانِ وَيَأْخُذْهُ. (طلب حضور غلام لأخذ الرمح لأنه لا يثق في وعد شاول فإذا ذهب إليه وسط جيشه ربما يغدر به) وَالرَّبُّ يَرُدُّ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ بِرَّهُ وَأَمَانَتَهُ، لأَنَّهُ قَدْ دَفَعَكَ الرَّبُّ الْيَوْمَ لِيَدِي وَلَمْ أَشَأْ أَنْ أَمُدَّ يَدِي إِلَى مَسِيحِ الرَّبِّ. وَهُوَذَا كَمَا كَانَتْ نَفْسُكَ عَظِيمَةً الْيَوْمَ فِي عَيْنَيَّ، كَذَلِكَ لِتَعْظُمْ نَفْسِي فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ فَيُنْقِذَنِي مِنْ كُلِّ ضِيقٍ».

- فَقَالَ شَاوُلُ لِدَاوُدَ: «مُبَارَكٌ أَنْتَ يَا ابْنِي دَاوُدُ فَإِنَّكَ تَفْعَلُ وَتَقْدِرُ».

ثُمَّ ذَهَبَ دَاوُدُ فِي طَرِيقِــــهِ وَرَجَعَ شَاوُلُ إِلَى مَكَانِــــهِ. (١صم ٢٦: ٣-٢٥)

يبدو هذا الإصحاح وكأن كل شيء فيه مكرر : أهل زيف يخونون داود ثانية ويدلون شاول على مكانه ، وهو نفس ما حدث منهم قبلاً وكأنهم لم يدركوا أن الرب هو الذي نجاه عن طريق قيام هجوم غير متوقع من الفلسطينيين .

و شاول يعود لمطاردة داود ومعه ٣٠٠٠ جندي وكأنه نسى وعوده وعهوده يوم قطع داود جبته بدلا من أن يقطع رقبته وداود يعفو رغم المقدرة فما كان أسهل أن يطعن شاول برمحه كما قتل جليات بسيفه ، ولكن التاريخ يعيد نفسه الخائن خائن كما هو وشاول بنفس الحماقة يطارد داود بنفس العدد من الجنود ثم يتيقن ثانية من محبة داود فيطلب العفو ويكرر الوعد، ولكن من يصدقه الآن وقد خالف العهد مرات يعجز القارئ عن حصرها.

وداود ما زال بنفس التسامح وضبط النفس بل وضبط الغير أيضاً ، إذ منع أبيشاي (وهو ابن أخته صروية) من قتل شاول وبَيَّن له أنه متيقن أن شاول لا بد سيهلك يوماً بيد الأعداء أو بضربة من الرب نفسه ولكنه يستحيل أن يمد يده إلى مسيح الرب .

وأثبت داود بعمله هذا أنه لم يهتز عندما فشل فيض المحبة الذي غمر به شاول ، فإن كان عناد شاول ومكابرته والشياطين التي ملأت نفسه قد جعلوه يعود لحماقته إلا أن العيب فيه وليس في المحبة ؛ فالمحبة قوية كالموت وهي لا تسقط أبداً .

ربما كان الجديد الوحيد فى هذا الأصحاح أن داود هو الذي ذهب بنفسه إلى معسكر شاول لأنه فى المرة السابقة وجد شاول فى المغارة أمامه دون سعي منه .
وكان خطأ أبنير (وهو ابن عم شاول ورئيس جيشه) فى المرة الأولى بسيطاً لأنه لم يفتش المغارة قبل دخول شاول إليها أما هذه المرة فالخطأ يستوجب محاكمة عسكرية إذ تسلل داود وسط المعسكر والجنود ورئيس الجيش كلهم نيام و سرق سلاح الملك، وكل من هذه المراحل جريمة تستوجب الإعدام للقائد و من تحت يده ، وقد كانت لطمة وإهانة كبرى لأبنير أن يوبخه داود على تغافله أمام الملك و ٣٠٠٠ من الجنود.
وإحقاقاً للحق فلم يكن نوم أبنير وجنوده نوماً عاديا إنما "**سُبَاتَ** (نوم) **الرَّبِّ وَقَعَ عَلَيْهِمْ**" وكأن الرب يتيح الفرصة ثانية لداود أن يظهر تسامحه ومحبته لشاول ويعطيه فرصة أخيرة ليتوب ويعود لصوابه ولكن للأسف شاول يضيع كل الفرص .
ولا شك أن الضغط النفسي والعصبي الواقع على داود وهو يغفر ويسامح هذه المرة كان أكبر من سابقه ، ولا عجب فالقوة اللازمة للعفو عن خصمك وهو يخطئ سبعين مرة سبع مرات تختلف كثيراً عن العفو بعد الخطأ الأول ، هذه القوة لا تتأتى إلا لمن يستمدها من ذلك الذي غفر لصالبيه بل والتمس لهم العذر فى أول كلمات ينطق بها وهو مجلود مجروح مهان مسمر على خشبة الصليب .

داود يلجأ إلى الملك الفلسطيني أخيش مرة ثانية

وَقَالَ دَاوُدُ فِي قَلْبِهِ: «إِنِّي سَأَهْلِكُ يَوْماً بِيَدِ شَاوُلَ، فَلاَ شَيْءَ خَيْرٌ لِي مِنْ أَنْ أُفْلِتَ إِلَى أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ فَيَيْأَسُ شَاوُلُ مِنِّي فَلاَ يُفَتِّشُ عَلَيَّ بَعْدُ فِي جَمِيعِ تُخُومِ إِسْرَائِيلَ، فَأَنْجُو مِنْ يَدِهِ». فَقَامَ دَاوُدُ وَعَبَرَ هُوَ وَالسِّتُّ مِئَةِ الرَّجُلِ الَّذِينَ مَعَهُ إِلَى أَخِيشَ بْنِ مَعُوكَ مَلِكِ جَتَّ وَأَقَامَ دَاوُدُ عِنْدَ أَخِيشَ فِي جَتَّ هُوَ وَرِجَالُهُ، كُلُّ وَاحِدٍ وَبَيْتُهُ، دَاوُدُ وَامْرَأَتَاهُ أَخِينُوعَمُ الْيَزْرَعِيلِيَّةُ وَأَبِيجَايِلُ امْرَأَةُ نَابَالَ الْكَرْمَلِيَّةُ. فَأُخْبِرَ شَاوُلُ أَنَّ دَاوُدَ قَدْ هَرَبَ إِلَى جَتَّ فَلَمْ يَعُدْ أَيْضاً يُفَتِّشُ عَلَيْهِ. (١صم ٢٧: ١-٤)
كانت هذه الفترة من حياة داود إحدى فترات الفتور والاضمحلال الروحي وإننا حقاً نتعجب من تكراره لنفس الخطأ الذي وقع فيه قبلاً عندما لجأ لأخيش فتذكره الغلمان وقالوا لأخيش أن داود هو الذي قتل جليات فادعى الجنون لينجو من الورطة التى

أوقع نفسه فيها ، ولكن ما يقلل من تعجبنا أننا مثله وأكثر ، نكرر نفس الأخطاء عشرات المرات ونعترف بها أحيانا ثم نعود ونعود ونعود .

والغريب أن داود" قال فى قلبه" و نسى أو تناسى أبياثار الكاهن والأفود والميزة الفريدة التى يتمتع بها وهي إمكانية أن يسأل الله فيجيبه ، ولكن هكذا الإنسان عند الفتور يتناسى الله بل يتعمد تجاهله حتى لا يسمع منه رأياً يخالف إرادته ، فيسير فى طريق تبدو أنها مستقيمة ولكن عاقبتها طرق الموت .

تامل روحي: بين الوصول للقمة والحفاظ عليها هل هي صدفة أنه بعد الانتصار يأتي الانكسار ؟ مرتان متتاليتان يتكرر فيهما صعود داود إلى قمة روحية شاهقة فيغلب فيها غريزة الدفاع عن النفس ويعفو عن شاول بينما كان قتله سهلاً ومنطقياً .... وماذا بعد ؟

فى المرة الأولى كاد يسفك دم نابال وكل بيته ، وفى المرة الثانية يهرب إلى بلاد الوثنيين ، والحقيقة أن إبليس يعرف جيداً بخبرة آلاف السنين أن أوقات الذروة الروحية هي أوقات مناسبة جداً للهجوم حيث يداخل النفس شيء من الزهو والكبرياء بالإنجاز الذي حققته واطمئنان كاذب على سهولة مقاومة سائر الخطايا الصغيرة ، وهنا يضرب الشيطان ضربته فتصيب مقتلاً فى قلب الضحية .

داود يقيم فى صقلغ ويهاجم الشعوب المحيطة

فَقَالَ دَاوُدُ لأَخِيشَ: «إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلْيُعْطُونِي مَكَاناً فِي إِحْدَى قُرَى الْحَقْلِ فَأَسْكُنَ هُنَاكَ. وَلِمَاذَا يَسْكُنُ عَبْدُكَ فِي مَدِينَةِ الْمَمْلَكَةِ مَعَكَ؟»

فَأَعْطَاهُ أَخِيشُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ صِقْلَغَ. لِذَلِكَ صَارَتْ صِقْلَغُ لِمُلُوكِ يَهُوذَا إِلَى هَذَا الْيَوْمِ.

وَكَانَ عَدَدُ الأَيَّامِ الَّتِي سَكَنَ فِيهَا دَاوُدُ فِي بِلاَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

(١صم ٢٧: ٥-٧)

كل هذه المدة من الأيام العجاف – سنة وأربعة أشهر- التى بدا فيها وكأن داود قد نجح فى مسعاه واستراح الجيش المصاحب له من الهروب المتوالي ، وكف شاول عن مطاردته ، وأقنع الملك الساذج أخيش أنه خير حليف له فى حربه ضد إسرائيل .

وَصَعِدَ دَاوُدُ وَرِجَالُهُ وَغَزَوُا الْجَشُورِيِّينَ وَالْجَرْزِيِّينَ وَالْعَمَالِقَةَ لأَنَّ هَؤُلاَءِ مِنْ قَدِيمٍ سُكَّانُ الأَرْضِ مِنْ عِنْدِ شُورٍ إِلَى أَرْضِ مِصْرَ. (شعوب وثنية تقيم عند حدود إسرائيل) **وَضَرَبَ دَاوُدُ الأَرْضَ، وَلَمْ يَسْتَبْقِ رَجُلاً وَلاَ امْرَأَةً، وَأَخَذَ غَنَماً وَبَقَراً وَحَمِيراً وَجِمَالاً وَثِيَاباً وَرَجَعَ وَجَاءَ إِلَى أَخِيشَ.**

فَقَالَ أَخِيشُ: «إِذاً لَمْ تَغْزُوا الْيَوْمَ (ألم تحاربوا)**». فَقَالَ دَاوُدُ: «بَلَى.** (نعم) **عَلَى جَنُوبِيِّ يَهُوذَا وَجَنُوبِيِّ الْيَرْحَمْئِيلِيِّينَ وَجَنُوبِيِّ الْقِينِيِّينَ».** (الإسرائيليين وحلفائهم) **فَلَمْ يَسْتَبْقِ دَاوُدُ رَجُلاً وَلاَ امْرَأَةً حَتَّى يَأْتِيَ إِلَى جَتَّ إِذْ قَالَ: «لِئَلاَّ يُخْبِرُوا عَنَّا قَائِلِينَ: هَكَذَا فَعَلَ دَاوُدُ». وَهَكَذَا عَادَتُهُ كُلَّ أَيَّامِ إِقَامَتِهِ فِي بِلاَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ.**

فَصَدَّقَ أَخِيشُ دَاوُدَ قَائِلاً: «قَدْ صَارَ مَكْرُوهاً لَدَى شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ، فَيَكُونُ لِي عَبْداً إِلَى الأَبَدِ». (١صم ٢٧: ٨-١٢)

يا للخزي والعار ...... داود رجل التسبيح ورمز المسيح ينزلق فى مستنقع الأكاذيب ، حقاً كان يبيد أعداء إسرائيل وهذا في مصلحة شعبه ولكنه كان يتبع مبدأ أهل العالم : "الغاية تبرر الوسيلة" أما أبناء الله فيؤمنون "أن الغاية الشريفة تبرر الوسيلة الشريفة". وهكذا سفك داود أنهاراً من دماء دون إرادة الله أو مشورته وستمنعه هذه الوصمة فيما بعد من موافقة الله على منحه شرف بناء الهيكل .

الورطة الكبرى : أخيش يتفق مع داود على محاربة إسرائيل

وَكَانَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ أَنَّ الْفِلِسْطِينِيِّينَ جَمَعُوا جُيُوشَهُمْ لِيُحَارِبُوا إِسْرَائِيلَ.

- **فَقَالَ أَخِيشُ لِدَاوُدَ: «اعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ سَتَخْرُجُ مَعِي فِي الْجَيْشِ أَنْتَ وَرِجَالُكَ».**

+ **فَقَالَ دَاوُدُ لأَخِيشَ: «لِذَلِكَ أَنْتَ سَتَعْلَمُ مَا يَفْعَلُ عَبْدُكَ».**

- **فَقَالَ أَخِيشُ لِدَاوُدَ: «لِذَلِكَ أَجْعَلُكَ حَارِساً لِرَأْسِي كُلَّ الأَيَّامِ».** (١صم ٢٨: ١-٢)

كل هذا الوقت وداود يخدع أخيش حتى بدأ يقع فى شر أعماله فطبول الحرب بين فلسطين وإسرائيل بدأت تدق وبات جلياً أنها على وشك الاندلاع .

وأخيش مطمئن أن داود وجنوده في صفه له لأنهم يكرهون شاول ورغم أن عددهم ٦٠٠ محارب فقط إلا أن مهارتهم الحربية تجعلهم قوة جبارة فسفر أخبار الأيام يخبرنا أن كل منهم كان يجيد استعمال القوس والمقلاع بكلتا يديه ، ويؤكد أخيش على

داود أنه سيشركه معه فى الحرب ضد شاول ، فيؤكد له داود سعادته بهذا الشرف ، قالها وقلبه يتمزق وهو يكاد يحصد الثمار المريرة للكذب .

تخيلوا الورطة ..... ملك إسرائيل مطالب أن يحارب شعب إسرائيل!!

وماذا لو وجد نفسه هو ورجاله فى أرض المعركة هل يقتل أخوته وأهله وشعبه الذي مسحه صموئيل ملكاً عليهم أم ينقلب ضد أخيش ، ولكن الكفة العسكرية تميل لمصلحة أخيش كثيراً وحتى لو انقلب ضده فهذا لا يضمن النصر لإسرائيل .ورطة لا حل لها ، هل يعتذر لأخيش؟ وبأي حجة يعتذر لمن احتضنه وترك له صقلغ ليقيم فيها وأعطاه الأمان من مطاردة شاول .

هل يصلي الآن وبعد طول انقطاع ، نعم لم يكن هناك سوى الصلاة . وبكل خزي وقف أمام الله ليقول له : أعرف أنني أخطأت في كل شيء ؛ كذبت كثيراً، واحتميت بالوثنيين ، وأبدت قرى بأكملها بدون إذنك والآن الورطة صارت وشيكة .... هل ستتركني يارب، أم ستتدخل بإحدى طرقك التي لا تخطر على بال بشر ؟

ووفي ذلك الوقت ارتعب شاول عندما رأى الفلسطينيين فأيقن أن نهايته قد دنت فذهب لعرافة لتحاول تحضير روح صموئيل وليضيف لسلسلة آثامه حلقة جديدة لا تقل حمقاً عن سابقاتها وانتهت محاولته بمزيد من الإحباط واليأس والتأكد من الفشل .

قادة جيش أخيش يرفضون وجود داود بينهم

وَجَمَعَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ جَمِيعَ جُيُوشِهِمْ إِلَى أَفِيقَ. وَكَانَ الإِسْرَائِيلِيُّونَ نَازِلِينَ عَلَى الْعَيْنِ الَّتِي فِي يَزْرَعِيلَ. وَعَبَرَ أَقْطَابُ (زعماء) الْفِلِسْطِينِيِّينَ مِئَاتٍ وَأُلُوفاً، وَعَبَرَ دَاوُدُ وَرِجَالُهُ فِي الْمُؤَخَّرَةِ مَعَ أَخِيشَ.

فَقَالَ رُؤَسَاءُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ: «مَا هَؤُلاَءِ الْعِبْرَانِيُّونَ؟ (اليهود) »

- فَقَالَ أَخِيشُ لِرُؤَسَاءِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ: «أَلَيْسَ هَذَا دَاوُدَ عَبْدَ شَاوُلَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي كَانَ مَعِي هَذِهِ الأَيَّامَ أَوْ هَذِهِ السِّنِينَ وَلَمْ أَجِدْ فِيهِ شَيْئاً مِنْ يَوْمِ نُزُولِهِ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ».

وَسَخَطَ عَلَيْهِ رُؤَسَاءُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، وَقَالُوا لَهُ: «أَرْجِعِ الرَّجُلَ فَيَرْجِعَ إِلَى مَوْضِعِهِ الَّذِي عَيَّنْتَ لَهُ ، وَلاَ يَنْزِلَ مَعَنَا إِلَى الْحَرْبِ وَلاَ يَكُونَ لَنَا عَدُوّاً فِي الْحَرْبِ. فَبِمَاذَا

يُرْضِي هَذَا سَيِّدَهُ؟ أَلَيْسَ بِرُؤُوسِ أُولَئِكَ الرِّجَالِ؟ أَلَيْسَ هَذَا هُوَ دَاوُدُ الَّذِي غَنَّيْنَ لَهُ بِالرَّقْصِ قَائِلاَتٍ: ضَرَبَ شَاوُلُ أُلُوفَهُ وَدَاوُدُ رِبَوَاتِهِ؟». (يوم قتل جليات)

- **فَدَعَا أَخِيشُ دَاوُدَ وَقَالَ لَهُ: «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِنَّكَ أَنْتَ مُسْتَقِيمٌ، وَخُرُوجُكَ وَدُخُولُكَ مَعِي فِي الْجَيْشِ صَالِحٌ فِي عَيْنَيَّ لأَنِّي لَمْ أَجِدْ فِيكَ شَرّاً مِنْ يَوْمِ جِئْتَ إِلَيَّ إِلَى الْيَوْمِ. وَأَمَّا فِي أَعْيُنِ الأَقْطَابِ فَلَسْتَ بِصَالِحٍ. فَالآنَ ارْجِعْ وَاذْهَبْ بِسَلاَمٍ، وَلاَ تَفْعَلْ سُوءاً فِي أَعْيُنِ أَقْطَابِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ».**

+ **فَقَالَ دَاوُدُ لأَخِيشَ: «فَمَاذَا عَمِلْتُ، وَمَاذَا وَجَدْتَ فِي عَبْدِكَ مِنْ يَوْمِ صِرْتُ أَمَامَكَ إِلَى الْيَوْمِ حَتَّى لاَ آتِيَ وَأُحَارِبَ أَعْدَاءَ سَيِّدِي الْمَلِكِ؟»** (يا لمكرك وخداعك يا داود)

- **فَأَجَابَ أَخِيشُ: «عَلِمْتُ أَنَّكَ صَالِحٌ فِي عَيْنَيَّ كَمَلاَكِ اللَّهِ.** (مخدوع أنت يا أخيش!)

إِلاَّ أَنَّ رُؤَسَاءَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ قَالُوا: «لاَ يَصْعَدْ مَعَنَا إِلَى الْحَرْبِ. وَالآنَ فَبَكِّرْ صَبَاحاً مَعَ عَبِيدِ سَيِّدِكَ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَكَ. وَإِذَا بَكَّرْتُمْ صَبَاحاً وَأَضَاءَ لَكُمْ (الشروق) **فَاذْهَبُوا».**

فَبَكَّرَ دَاوُدُ هُوَ وَرِجَالُهُ لِيَذْهَبُوا صَبَاحاً وَيَرْجِعُوا إِلَى أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. وَأَمَّا الْفِلِسْطِينِيُّونَ فَصَعِدُوا إِلَى يَزْرَعِيلَ. (١صم ١:٢٨-١١)

بعقل حائر وقلب خائر خرج داود للحرب وهو مرتعب فقد يضطر أن يشهر سيفه في وجه يوناثان صديق عمره و شاول مسيح الرب ويهدر دماء شعبه الذي يتمنى أن يفديه بروحه . وفي اللحظات الأخيرة يأتي الفرج من حيث لا يدري إذ يتذمر قادة جيش أخيش على وجود داود وسطهم ويشككون أخيش في ولائه واحتمال أن يغدر بهم أثناء المعركة ، بالطبع كانوا أكثر حكمة وفطنة من أخيش الذي ذهب ليعتذر لداود ويطلب منه الرجوع ويتنفس داود الصعداء إذ يدرك أن الرب يعامله حسب رحمة الله وليس كخطاياه ، وبعد أن اطمأن إلى القرار النهائي للملك أخذ يتمادى في إكمال الدور الذي قام بتمثيله لمدة سنة وأربعة أشهر فيستعطف الملك أن يتركه يحارب معه ويثبت له الولاء ثم أخيراً يمضي عائداً إلى صقلغ وهو يتمنى من كل قلبه هزيمة أخيش وانتصار إسرائيل .

العمالقة يحرقون صقلغ ويسبون النساء والأطفال

وَلَمَّا جَاءَ دَاوُدُ وَرِجَالُهُ إِلَى صِقْلَغَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، كَانَ الْعَمَالِقَةُ قَدْ غَزَوْا الْجَنُوبَ وَصِقْلَغَ ، وَضَرَبُوا صِقْلَغَ وَأَحْرَقُوهَا بِالنَّارِ، وَسَبَوْا النِّسَاءَ اللَّوَاتِي فِيهَا. لَمْ يَقْتُلُوا أَحَداً لاَ صَغِيراً وَلاَ كَبِيراً، بَلْ سَاقُوهُمْ وَمَضَوْا فِي طَرِيقِهِمْ. فَدَخَلَ دَاوُدُ وَرِجَالُهُ الْمَدِينَةَ وَإِذَا هِيَ مُحْرَقَةٌ بِالنَّارِ، وَنِسَاؤُهُمْ وَبَنُوهُمْ وَبَنَاتُهُمْ قَدْ سُبُوا. فَرَفَعَ دَاوُدُ وَالشَّعْبُ الَّذِينَ مَعَهُ أَصْوَاتَهُمْ وَبَكَوْا حَتَّى لَمْ تَبْقَ لَهُمْ قُوَّةٌ لِلْبُكَاءِ. وَسُبِيَتِ امْرَأَتَا دَاوُدَ: أَخِينُوعَمُ الْيَزْرَعِيلِيَّةُ وَأَبِيجَايِلُ امْرَأَةُ نَابَالَ الْكَرْمَلِيِّ. فَتَضَايَقَ دَاوُدُ جِدّاً لأَنَّ الشَّعْبَ قَالُوا بِرَجْمِهِ ، لأَنَّ أَنْفُسَ جَمِيعِ الشَّعْبِ كَانَتْ مُرَّةً كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى بَنِيهِ وَبَنَاتِهِ.

(١صم ٣٠ :١-٦)

كان العمالقة هم أحد الشعوب المتاخمة للحدود بين إسرائيل وفلسطين وقد عانوا كثيراً من غارات داود عليهم كي ما يدعي كذباً أمام أخيش أنه أتى بالغنائم والأسلاب من غاراته على اليهود فانتهزوا فرصة خروج داود للحرب مع أخيش ليردوا له الصاع صاعين فنهبوا المدينة وأسروا كل من فيها . وكان المشهد مؤلما جداً ٦٠٠ من المحاربين الأبطال يذرفون الدمع السخين حتى انهارت قواهم ولم يبقَ فيهم قوة للبكاء فقد تحملوا التشرد والنفي بعيداً عن الوطن ، أما أن يفقدوا زوجاتهم وأبناءهم فهذا كان أكثر من قدرتهم على التحمل .

ولا شك أننا نتألم كثيراً عندما نواسي من فقد شريك عمره أو أحد أبنائه فكيف يكون المشهد إذا كنا أمام ٦٠٠ رجل فقدوا كل زوجاتهم وأبنائهم ، ومن الذي فعل هذا ؟ لم يتأكدوا ، ولو عرفوا أنهم العمالقة لزادت لوعتهم لأن العمالقة اعتادوا أن يقتلوا كل نفس حية ... وبالطبع انهاروا تماما وصبوا جام غضبهم على داود الذي أوصلهم لهذه الحال بتركه عدوهم شاول يفلت من الموت أكثر من مرة ، وبأخذهم كلهم لحرب ضد شعبهم وعدم ترك بعض الجنود لحماية النساء والأطفال كما تقتضي أبسط قواعد الحنكة العسكرية التى تغاضى عنها لينافق أخيش. فطالبوا برجمه ... تماماً كما حدث مع موسى سابقاً ومع رب المجد لاحقاً وإن كان طلبهم هذه المرة له فعلاً مبررات مقبولة .

وبالطبع كانت هذه فرصة رائعة لإبليس لينفث سمومه فى آذان داود فقال له إن هذه هي عدالة السماء التي طالما اتكلت عليها ... هذا هو الرب راعيك الذي ملأت الدنيا حمداً له وشكراً ... والآن أما حان الوقت لتلعنه ؟ وهل بعد هذه المصيبة ما زلت ترجو منه الخير . زوجتاك فقدتهما للأبد والشعب الذي وهبته آخر ١٠ سنين من عمرك هو الذي يطالب برجمك وسريعاً ما سينفذ تهديده .

فكما يهاجمنا عدو الخير بقوة فى لحظات الانتصار فإنه يهاجمنا بضراوة قاسية فى لحظات الانكسار لعلمه أنها إحدى الفرص التي يوقع بها الكثيرين .

ولكن داود فى الحال ولأول مرة بعد طول غياب ، قرر أن يستعيد أقوى الأسلحة ليواجه أقوى الشدائد التى ألـمّت به، لنقرأ جيداً الفقرة التالية حتى نتعلم كيف نتصرف وقت الضيق، مهما كنا بعيدين عن الله قبل الضيقة .

أخـــــيراً .. داود يسأل الرب

وَأَمَّا دَاوُدُ فَتَشَدَّدَ بِالرَّبِّ إِلهِهِ. ثُمَّ قَالَ دَاوُدُ لأَبِيَاثَارَ الْكَاهِنِ ابْنِ أَخِيمَالِكَ: «قَدِّمْ إِلَيَّ الأَفُودَ». فَقَدَّمَ أَبِيَاثَارُ الأَفُودَ إِلَى دَاوُدَ. فَسَأَلَ دَاوُدُ مِنَ الرَّبِّ: «إِذَا لَحِقْتُ هؤُلاَءِ الْغُزَاةَ فَهَلْ أُدْرِكُهُمْ؟ (ألحقهم) **» فَقَالَ لَهُ: «الْحَقْهُمْ فَإِنَّكَ تُدْرِكُ وَتُنْقِذُ».** (١صم ٣٠ :٦-٨)

تشدد داود بالرب إلهه .. كلمات جميلة لم نسمعها من زمن ... أبياثار الكاهن والأفود، ومعرفة إرادة الله ونصيحته ، ويرد الرب أنك ستلحق الغزاة بل وتنقذ الأسرى .

<u>تأمل روحي :</u> <u>وقت الشدة الله يعين ولا يعاتب</u> واحدة من أجمل صفاتك يا ربي أنك وقت الشدة لا تضيع وقتاً فى العتاب بل تمد ذراعك لتسند وتشجع وتقيم المكسور.

وإن عاتبت - وأنت نادراً ما تفعل- تختار الوقت المناسب بعد أن تعبر الأزمة وتتشدد الركب المرتخية عندها فقط تعاتب بنظرة أو كلمة عابرة من الكلمات التي تحمل من التشجيع والغفران أكثر مما تحمل من عتاب اللائمين. أليس هذا هو ما حدث مع بطرس وما زال يحدث مع الكثيرين غيره .

وأنت يا عزيزي القارئ إن كنت قد ضللت طويلا ، فلا تظن أنك ستبدأ من الصفر أو تحت الصفر ، فمن اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه فقط .

داود يهزم العمالقة ويستعيد الأسرى والغنائم

لم يكن الأمر سهلاً ولا مشجعاً على الإطلاق حتى أن ٢٠٠ رجل من ٦٠٠ قد أعياهم اليأس أكثر مما أعياهم التعب فقبعوا فى صقلغ يبكون بينما مضى ٤٠٠ يبحثون عن الأمل المستحيل ، ولكن لا مستحيل عند الله ، لأن أحد العمالقة كان قاسياً فظ القلب، وجد أن عبده المصري مريض فتركه فى الطريق ليلقى حتفه، فوجده داود وأنقذه فرد له الجميل بأن دلّهم على طريق الغزاة فحاربوهم واستردوا كل ما لهم - لم يهلك منهم أحد !! - المجد لك يارب .

والعجيب أيضاً أنهم استعادوا أكثر مما سُلِب منهم وكأن الله يقول لهم ولنا أن التوبة لا تعيدك فقط إلى موقعك بل إلى أفضل منه . وهكذا تحول النوح إلى غناء والدموع صارت ضحكات وداود المطلوب رجمه عادوا يتغنون باسمه والأهم من كل ذلك أن الجميع عادوا يسبحون إله داود الذي لا يخزى من يتكل عليه ، حقاً يا رب عند المساء يبيت البكاء والنواح وفى الصباح تشرق بالترنم والأفراح .

وأصر داود على أن يوزع الغنائم على الجميع : الذين حاربوا والذين لم يشتركوا فى الحرب بل وزعها أيضاً على مدن يهوذا أيضاً لأنه من غير المعقول أن ينعم الله عليهم بكل هذه البركات ثم يستأثر بها لنفسه وحده ولا يشترك معه فقراء شعبه .

اَلْمَزْمُورُ الثَّالِثُ وَالسِّتُّونَ مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ لَمَّا كَانَ فِي بَرِّيَّةِ يَهُوذَا

(أي أثناء هربه من شاول – ويعتبر من أجمل المزامير التي كتبها داود و نصليه ثلاث مرات فى الأجبية في صلوات باكر والساعة السادسة وفي صلاة نصف الليل)

يَا اللهُ إِلهِي أَنْتَ..... إِلَيْكَ أُبَكِّرُ.......

عَطِشَتْ إِلَيْكَ نَفْسِي يَشْتَاقُ إِلَيْكَ جَسَدِي فِي أَرْضٍ نَاشِفَةٍ وَيَابِسَةٍ بِلاَ مَاءٍ

لِكَيْ أُبْصِرَ قُوَّتَكَ وَمَجْدَكَ كَمَا قَدْ رَأَيْتُكَ فِي قُدْسِكَ.

الكلام يوحي أن الرب كان يظهر لداود بصورة أو أخرى وإن كانت هذه الرؤى لم تسجل فى الكتاب المقدس

لأَنَّ رَحْمَتَكَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَيَاةِ. شَفَتَايَ تُسَبِّحَانِكَ.

هكَذَا أُبَارِكُكَ فِي حَيَاتِي. بِاسْمِكَ أَرْفَعُ يَدَيَّ.

كَمَا مِنْ شَحْمٍ وَدَسَمٍ تَشْبَعُ نَفْسِي وَبِشَفَتَيْ الابْتِهَاجِ يُسَبِّحُكَ فَمِي.
إِذَا ذَكَرْتُكَ عَلَى فِرَاشِي فِي السُّهْدِ (السهر) أَلْهَجُ بِكَ
لأَنَّكَ كُنْتَ عَوْناً لِي وَبِظِلِّ جَنَاحَيْكَ أَبْتَهِجُ.
اِلْتَصَقَتْ نَفْسِي بِكَ. يَمِينُكَ تَعْضُدُنِي.

توصف النفس البشرية بالعروس التى يطيب لها الالتصاق العريس وهو تشبيه متكرر فى الكتاب المقدس خاصة فى سفر النشيد يقربنا به الرب من فهم محبته كماً وكيفاً .

أَمَّا الَّذِينَ هُمْ لِلتَّهْلُكَةِ يَطْلُبُونَ نَفْسِي فَيَدْخُلُونَ فِي أَسَافِلِ الأَرْضِ.
يُدْفَعُونَ إِلَى يَدَيِ لسَّيْفِ. يَكُونُونَ نَصِيباً لِبَنَاتِ آوَى.
أَمَّا الْمَلِكُ فَيَفْرَحُ بِاللهِ. يَفْتَخِرُ كُلُّ مَنْ يَحْلِفُ بِهِ. لأَنَّ أَفْوَاهَ الْمُتَكَلِّمِينَ بِالْكَذِبِ تُسَدُّ.

(يتكلم داود عن نفسه كملك باعتبار ما سيكون ويؤكد أنه لا يفرح بالجاه والسلطان بل فرحه الوحيد هو بالرب لا سواه)

موت شاول ويوناثان في المعركة

يخبرنا الأصحاح الأخير من سفر صموئيل الأول عن المعركة بين جيش الفلسطينيين بقيادة أخيش وجيش إسرائيل بقيادة شاول . تلك المعركة التى كانت نتيجتها محسومة مقدماً لصالح أخيش ، ولو خيروا داود لتمنى من كل قلبه أن ينتصر شاول حتى لو ظل هو هارباً مشرداً ويستمر شاول ملكاً ومن بعده يوناثان ورغم هذه المشاعر النبيلة إلا أن شاول كان قد ملأ مكيال الغضب الإلهي واستنفذ كل المراحم الواسعة فحق عليه القضاء ، وكما هو متوقع كانت هزيمة الإسرائيليين ساحقة وأصيب شاول بسهم فأيقن انه ميت لا محالة فترجى حامل سلاحه أن يعجل بموته بضربة من سيفه فيقصر آلامه قبل أن يأسره الأعداء وينكلوا به أما الغلام فرفض خائفاً فما كان من شاول إلا أن انتحر وتلاه حامل سلاحه أيضاً . وحسب التقليد اليهودي كان حامل سلاحه في ذلك الوقت هو دواغ الأدومي الذي كان قد قتل أخيمالك الكاهن ومعه ٨٤ آخرين من كهنة مدينة نوب قبل عشر سنوات.

والأقسى من هذا أن يوناثان – الصديق الذي قلما يجود به الزمان – قد قُتِل فى نفس المعركة و قُتِل معه ابنان آخران لشاول ، وأخذ الأعداء أجسادهم ليمثلوا بها

وسمروها على الأسوار إلا أن أهالي مدينة يابيش جلعاد ذهبوا واستعادوها ودفنوها بإكرام يليق بالملك السابق وصاموا سبعة أيام حزناً عليه وهكذا رد أهل يابيش جلعاد الجميل لشاول الذى كان قد أنقذهم من يد ناحاش العمونى حين أراد أن يستعبدهم ويخلع العين اليمنى لكل رجل منهم ليكون ذلك عارا لهم .

ويلخص سفر أخبار الأيام الأول القصة فى كلمات موجزة معبرة

" فَمَاتَ شَاوُلُ بِخِيَانَتِهِ الَّتِي بِهَا خَانَ الرَّبَّ مِنْ أَجْلِ كَلاَمِ الرَّبِّ الَّذِي لَمْ يَحْفَظْهُ. وَأَيْضاً لأَجْلِ طَلَبِهِ إِلَى الْجَانِّ لِلسُّؤَالِ وَلَمْ يَسْأَلْ مِنَ الرَّبِّ، فَأَمَاتَهُ وَحَوَّلَ الْمَمْلَكَةَ إِلَى دَاوُدَ بْنِ يَسَّى." (١ أخ ١٠ :١٣ – ١٤)

رجل عماليقي يدعي كذباً أمام داود أنه هو الذى قتل شاول

وَكَانَ بَعْدَ مَوْتِ شَاوُلَ وَرُجُوعِ دَاوُدَ مِنْ مُضَارَبَةِ (حرب) **الْعَمَالِقَةِ أَنَّ دَاوُدَ أَقَامَ فِي صِقْلَغَ يَوْمَيْنِ . وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ إِذَا بِرَجُلٍ أَتَى مِنَ الْمَحَلَّةِ** (المعسكر) **مِنْ عِنْدِ شَاوُلَ وَثِيَابُهُ مُمَزَّقَةٌ وَعَلَى رَأْسِهِ تُرَابٌ. فَلَمَّا جَاءَ إِلَى دَاوُدَ خَرَّ إِلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ.**

+ فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: «مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ؟»

- فَقَالَ لَهُ: «مِنْ مَحَلَّةِ إِسْرَائِيلَ نَجَوْتُ».

+ فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: «كَيْفَ كَانَ الأَمْرُ؟ أَخْبِرْنِي».

- فَقَالَ: «إِنَّ الشَّعْبَ قَدْ هَرَبَ مِنَ الْقِتَالِ، وَسَقَطَ أَيْضاً كَثِيرُونَ مِنَ الشَّعْبِ وَمَاتُوا، وَمَاتَ شَاوُلُ وَيُونَاثَانُ ابْنُهُ أَيْضاً».

+ فَقَالَ دَاوُدُ لِلْغُلاَمِ الَّذِي أَخْبَرَهُ: «كَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ شَاوُلُ وَيُونَاثَانُ ابْنُهُ؟»

- فَقَالَ الْغُلاَمُ الَّذِي أَخْبَرَهُ: «اتَّفَقَ أَنِّي كُنْتُ فِي جَبَلِ جِلْبُوعَ وَإِذَا شَاوُلُ يَتَوَكَّأُ عَلَى رُمْحِهِ، وَإِذَا بِالْمَرْكَبَاتِ وَالْفُرْسَانِ يَشُدُّونَ وَرَاءَهُ (يطاردونه) **فَالْتَفَتَ إِلَى وَرَائِهِ فَرَآنِي وَدَعَانِي**

- فَقُلْتُ: هَئَنَذَا.

*** فَقَالَ** (شاول) **لِي: مَنْ أَنْتَ؟**

- فَقُلْتُ لَهُ: عَمَالِيقِيٌّ أَنَا.

* **فَقَالَ** (شاول) **لِي: قِفْ عَلَيَّ وَاقْتُلْنِي لأَنَّهُ قَدِ اعْتَرَانِيَ الدُّوَارُ لأَنَّ كُلَّ نَفْسِي بَعْدُ فِيَّ.**

فَوَقَفْتُ عَلَيْهِ وَقَتَلْتُهُ لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّهُ لاَ يَعِيشُ بَعْدَ سُقُوطِهِ، وَأَخَذْتُ الإِكْلِيلَ الَّذِي عَلَى رَأْسِهِ وَالسِّوَارَ الَّذِي عَلَى ذِرَاعِهِ وَأَتَيْتُ بِهِمَا إِلَى سَيِّدِي هَهُنَا». فَأَمْسَكَ دَاوُدُ ثِيَابَهُ وَمَزَّقَهَا وَكَذَا جَمِيعُ الرِّجَالِ الَّذِينَ مَعَهُ. وَنَدَبُوا وَبَكُوا وَصَامُوا إِلَى الْمَسَاءِ عَلَى شَاوُلَ وَعَلَى يُونَاثَانَ ابْنِهِ وَعَلَى شَعْبِ الرَّبِّ وَعَلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُمْ سَقَطُوا بِالسَّيْفِ.

+ ثُمَّ قَالَ دَاوُدُ لِلْغُلاَمِ الَّذِي أَخْبَرَهُ: «مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟»

- فَقَالَ: «أَنَا ابْنُ رَجُلٍ غَرِيبٍ عَمَالِيقِيٌّ».

+ فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: «كَيْفَ لَمْ تَخَفْ أَنْ تَمُدَّ يَدَكَ لِتُهْلِكَ مَسِيحَ الرَّبِّ؟»

ثُمَّ دَعَا دَاوُدُ وَاحِداً مِنَ الْغِلْمَانِ وَقَالَ: «تَقَدَّمْ. أَوْقِعْ بِهِ (اقتله) **». فَضَرَبَهُ فَمَاتَ.**

+ فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: «دَمُكَ عَلَى رَأْسِكَ لأَنَّ فَمَكَ شَهِدَ عَلَيْكَ قَائِلاً: أَنَا قَتَلْتُ مَسِيحَ الرَّبِّ». (٢صم ٢: ١- ١٦)

انهزم جيش إسرائيل ومات الكثيرون منه ، ومات شاول منتحراً ، ولما رأى هذا الرجل جثته وعلي رأسه التاج الملكي وذراعه مزين بالحلي الملكية وجد فيها فرصة سانحة كي يكسب رضا وعطف الملك الجديد المنتظر ، وخيل له المنطق البشري أن يذهب ليبشر داود بخبر مقتل شاول و يوناثان . فأخذ تاج الملك ليثبت صدقه ، ولكي يجعل لنفسه مكانة خاصة عند داود ادعى كذباً انه هو الذي قام بقتل شاول ، ولم يعلم هذا الساذج أن هذا الخبر كان من أسوأ الأخبار التي سمعها داود في حياته ، وأن داود - لو كان يريد- لقتل شاول بنفسه منذ زمن ، وأن الكذبة التي أراد أن يتربح منها كانت هي حكم الإعدام الذي أصدره على نفسه .

وَرَثَا دَاوُدُ بِهَذِهِ الْمَرْثَاةِ شَاوُلَ وَيُونَاثَانَ ابْنَهُ،

وَقَالَ أَنْ يَتَعَلَّمَ بَنُو يَهُوذَا «نَشِيدَ الْقَوْسِ».

هُوَذَا ذَلِكَ مَكْتُوبٌ فِي «سِفْرِ يَاشَرَ»: (سفر تاريخي وليس من الأسفار المقدسة)

«**الظَّبْيُ** (الغزال وهو تشبيه للمدح) **يَا إِسْرَائِيلُ مَقْتُولٌ عَلَى شَوَامِخِكَ** (يقصد الجبال العالية).

كَيْفَ سَقَطَ الْجَبَابِرَةُ !

لاَ تُخْبِرُوا فِي جَتَّ. لاَ تُبَشِّرُوا فِي أَسْوَاقِ أَشْقَلُونَ (مدينتين فلسطينيتين) ،

لِئَلاَّ تَفْرَحَ بَنَاتُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، لِئَلاَّ تَشْمَتَ بَنَاتُ الْغُلْفِ.

يَا جِبَالَ جِلْبُوعَ (موقع المعركة) **لاَ يَكُنْ طَلٌّ وَلاَ مَطَرٌ عَلَيْكُنَّ وَلاَ حُقُولُ تَقْدِمَاتٍ** (يقصد القمح)

لأَنَّهُ هُنَاكَ طُرِحَ مِجَنُّ (درع) **الْجَبَابِرَةِ، مِجَنُّ شَاوُلَ بِلاَ مَسْحٍ بِالدُّهْنِ.** (الزيت المقدس)

مِنْ دَمِ الْقَتْلَى مِنْ شَحْمِ الْجَبَابِرَةِ لَمْ تَرْجِعْ قَوْسُ يُونَاثَانَ إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَيْفُ شَاوُلَ لَمْ يَرْجِعْ خَائِباً. (فى الحروب السابقة كانت أسلحة شاول ويوناثان هي المنتصرة دائماً)

شَاوُلُ وَيُونَاثَانُ الْمَحْبُوبَانِ وَالْحُلْوَانِ فِي حَيَاتِهِمَا لَمْ يَفْتَرِقَا فِي مَوْتِهِمَا.

أَخَفُّ مِنَ النُّسُورِ (فى السرعة) **وَأَشَدُّ مِنَ الأُسُودِ** (فى القوة) .

يَا بَنَاتِ إِسْرَائِيلَ، ابْكِينَ شَاوُلَ الَّذِي أَلْبَسَكُنَّ قِرْمِزاً (قماش أحمر فاخر) **بِالتَّنَعُّمِ،**

وَجَعَلَ حُلِيَّ الذَّهَبِ عَلَى مَلاَبِسِكُنَّ.

كَيْفَ سَقَطَ الْجَبَابِرَةُ فِي وَسَطِ الْحَرْبِ!

يُونَاثَانُ عَلَى شَوَامِخِكَ مَقْتُولٌ. قَدْ تَضَايَقْتُ عَلَيْكَ يَا أَخِي يُونَاثَانُ. كُنْتَ حُلْواً لِي جِدّاً. مَحَبَّتُكَ لِي أَعْجَبُ مِنْ مَحَبَّةِ النِّسَاءِ.

كَيْفَ سَقَطَ الْجَبَابِرَةُ وَبَادَتْ آلاَتُ الْحَرْبِ !». (٢صم ١: ١٧-٢٧)

من شدة تأثره وحزنه ، وبمشاعر تقطر صدقاً ، انسابت هذه القصيدة الشعرية الرائعة من فم داود مختلطة بدموعه وهو يرثي صديق العمر يوناثان ، والملك شاول . وجعل داود أبناء سبطه يحفظونه كنشيد قومي لاهتمامه أن تظل ذكرى يوناثان وشاول خالدة.

غني عن الذكر طبعاً أن ملوك ذلك الزمان - بل وفى الحاضر أيضاً- كانوا يبذلون كل ما في وسعهم كى يمحوا كل ذكر لأسلافهم ، لا سيما إذا كانوا فى عداوة ومطاردة كما فى حالة داود ، ويظن من يقرأ هذه القصيدة أن شاول كان الأب

العطوف الحنون الذي يحتوي داود وكل الشعب بمحبته ، أما الحقيقة فكانت عكس ذلك تماماً ورغم ذلك لم تكن كلمات داود نفاقاً ولا مداهنة ، ولمذا ينافق وقد مات كلاهما ولم تعد هناك شبهة مداهنة .

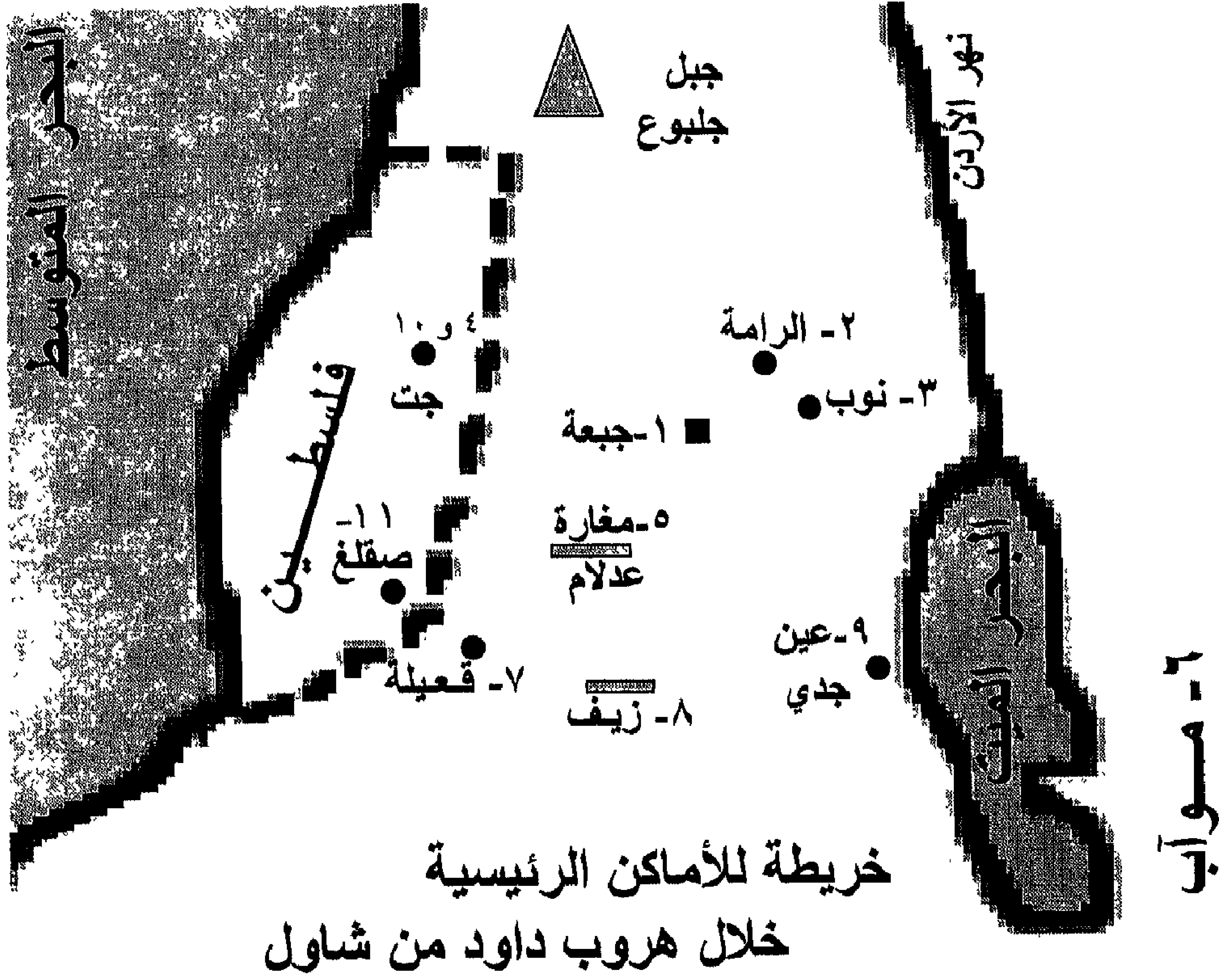
وفى الوقت الذي كان فيه الكثير من حاشية شاول قد استغلوا موته ليذموه ويذكروا كل مساوئه التي كانوا يخشون ذكرها أثناء حياته ، كان الرثاء الصادق والحزن النبيل من فم من كان شاول يظن أنه العدو اللدود الذي سعى عشر سنوات كاملة ليتخلص منه دون جدوى . حقاً إن المحبة لا تسقط أبداً ... حتى الموت لا يقضي عليها .

التسبيح خلال هذه المرحلة من حياة داود

رحلة معاناة طويلة وقاسية تلك التى اجتازها داود أثناء مطاردات شاول له . وبعد التسبيح الهادئ الرومانسي بين أحضان الطبيعة فى فجر حياته تأتي التجارب الشرسة بقسوتها فيعلو صوت التسبيح من النفس ذات الإيمان الحقيقي ويخفت صوت التسبيح من النفس ذات الإيمان الزائف . والأسوأ أنه قد يتحول إلى تذمر بل وتجديف أحياناً.

أما داود فقد نجح فى هذه المرحلة بتفوق باهر وكتب أجمل المزامير وهو تائه بين الكهوف والمغائر لأننا نعلم أن صوت التسبيح وسط الضيق يشق الطريق إلى عنان السماء ، ويقتحم القلوب الفظة القاسية ، وهذا هو عين ما حدث من الفتية الثلاثة الذين سبحوا الله من وسط الأتون فانتزعوا من نبوخذ نصر الاعتراف أنه ليس إله آخر تحت السماء ينجي هكذا . وكان بولس وسيلا فى السجن الداخلي بمدينة فيليبي ملطخين بالدماء بعد ضربهما بالعصي ولكن صوت تسبيحهما الصادق المتهلل سمعه السجان والمساجين وسمعته السماء فتزلزل السجن وانفكت القيود والأهم من ذلك أن السجان صرخ سائلاً عن طريق الخلاص ووجده .

ولا شك أن هذه التجارب والضيقات قد ألقت ظلالها على أسلوب التسبيح وألفاظه : فالله هو الملجأ وقت الضيق وهو نور خلاصه وحصن حياته وعليه يتكل وهو ترسه ودرعه ومجنه وهو الذي ينجيه من فخ الصياد ويسقط عن يمينه ألوف وعن يساره ربوات ... إلخ إلخ من التعبيرات والألفاظ التى تعبر عن ثقته ويقينه فى مصدر قوته وعزائه .



خريطة للأماكن الرئيسية
خلال هروب داود من شاول

هرب داود من شاول مرارا خلال فترة عشر سنوات وتبدأ رحلة الهروب من :

١ـ جبعة : العاصمة حيث حاول شاول قتل داود بالرمح .

٢ـ الرامة : حيث لجأ إلى صموئيل ولاحقه شاول ولكن روح التسبيح أنقذت داود من يد شاول .

٣ـ نوب : مدينة الكهنة حيث خدع داود أخيمالك وتسبب فى هلاكه مع سائر الكهنة .

٤ـ جت: حيث لجأ إلى ملكها أخيش الفلسطيني ، وعرفه أهلها فخشى من انتقامهم فتظاهر بالجنون وهرب .

٥ـ مغارة عدلام: فى أرض يهوذا حيث تجمع معه ٤٠٠ رجل يناصرونه .

٦ـ موآب : مسقط رأس راعوث جدة داود . ذهب بوالديه هناك خوفاً من بطش شاول

٧ـ قعيلة : المدينة التى أنقذ داود أهلها ولكن الرب أخبره أنهم لن يحفظوا جميله وسيسلمونه إلى شاول .

٨ـ برية زيف: حيث فتن أهلها على وجود داود بها ، فحاصر شاول المنطقة وكاد يفتك به لولا حدوث هجوم مباغت من الفلسطينيين اضطر شاول إلى فك الحصار .

٩ـ برية عين جدي : حيث هرب إليها داود وهناك طارده شاول ودخل المغارة دون أن يعرف أن داود ورجاله داخلها ورفض داود أن يؤذيه ولكنه قطع طرف ثوبه ليثبت له محبته.

١٠ ـ جت: حيث ذهب داود ثانية إليها مع ٦٠٠ من أتباعه وتحالف مع أخيش ملكها .

١١ـ صقلغ : وهى المدينة الصغيرة التى أقام بها داود خلال فترة هروبه فى فلسطين .

أما فى الشمال فنجدجبل جلبوع حيث دارت المعركة التى قتل فيها الفلسطينيون كلاً من شاول وابنه يوناثان.

المرحلة الثالثة من حياة داود

تسبيح المذبح

رأينا فيما سبق كيف تتلمذ داود أولا على يدي الطبيعة الجميلة ، ثم ارتفع درجة أخرى ليختبر التسبيح وسط التجارب والضيقات والمشاكل، ونجده اليوم يصعد إلى الدرجة الثالثة وهي تسبيح المذبح أو تسبيح العبادة أو التسبيح أمام تابوت العهد وفى هذه المرحلة سنشهد كيف عاش داود أعمق درجات الحب الإلهي .

داود يُتَوج ملكاً فى مدينة حبرون أكبر مدن سبط يهوذا

+ وَكَانَ بَعْدَ ذلِكَ أَنَّ دَاوُدَ سَأَلَ الرَّبَّ: «أَأَصْعَدُ إِلَى إِحْدَى مُدُنِ يَهُوذَا؟»

╬ فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «اصْعَدْ».

+ فَقَالَ دَاوُدُ: «إِلَى أَيْنَ أَصْعَدُ؟»

╬ فَقَالَ: «إِلَى حَبْرُونَ».

فَصَعِدَ دَاوُدُ إِلَى هُنَاكَ هُوَ وَامْرَأَتَاهُ أَخِينُوعَمُ الْيَزْرَعِيلِيَّةُ وَأَبِيجَايِلُ امْرَأَةُ نَابَالَ الْكَرْمَلِيِّ. وَأَصْعَدَ دَاوُدُ رِجَالَهُ الَّذِينَ مَعَهُ كُلَّ وَاحِدٍ وَبَيْتَهُ وَسَكَنُوا فِي مُدُنِ حَبْرُونَ. وَأَتَى رِجَالُ يَهُوذَا وَمَسَحُوا هُنَاكَ دَاوُدَ مَلِكاً عَلَى بَيْتِ يَهُوذَا. (٢صم ٢: ١-٤)

كعادة داود خلال الفترة الأخيرة لم يكن يتخذ قراراً دون أن يستشير الرب أولاً من خلال أفود الكاهن أبياثار وهكذا جاءه تأكيد الرب أن يترك مدينة صقلغ الفلسطينية ويذهب إلى مدينة حبرون أكبر مدن سبط يهوذا حيث أعلنوه ملكاً على يهوذا وهو فى الثلاثين من عمره أي بعد ١٥ عاماً من مسح صموئيل له ، جاء أخيراً أوان تتميم الوعد.حقاً إن الرب وإن تأنى فإنه يستجيب ويصنع كل شئ حسناً فى وقته .

بعد رحلة طويلة من الضيقات والتجارب أعد الله داود خلالها ، حتى تحول الصبي الصغير من راعي غنم إلى رجل محنك تدرب طويلاً فى مدرسة الألم التي يتحتم أن يجتاز مراحلها المختلفة حتى يتأهل للدرجات الأعلى . فإن كنت مثله عضواً في مدرسة الألم فأبشر لأنك قد تكون على وشك التأهل لما هو أعظم . ولا تظن أبداً أن السنوات قد طالت أو أن الله قد نسيك فهو لم ينسَ داود خلال هربه ولا يوسف خلال

سجنه بل إنه لم ينسَ شعبه طوال أربع قرون من العبودية في مصر فاطمئن لأن لكل شيء تحت السماء وقتاً. فقط انتظر الرب ولا تفقد الرجاء.

داود يكافئ أهل يابيش جلعاد لأنهم أكرموا أجساد شاول وبنيه

وَأَخْبَرُوا دَاوُدَ: «إِنَّ رِجَالَ يَابِيشَ جِلْعَادَ هُمُ الَّذِينَ دَفَنُوا شَاوُلَ». فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلاً إِلَى أَهْلِ يَابِيشَ جِلْعَادَ يَقُولُ لَهُمْ: «مُبَارَكُونَ أَنْتُمْ مِنَ الرَّبِّ إِذْ قَدْ فَعَلْتُمْ هَذَا الْمَعْرُوفَ بِسَيِّدِكُمْ شَاوُلَ فَدَفَنْتُمُوهُ. وَالآنَ لِيَصْنَعِ الرَّبُّ مَعَكُمْ إِحْسَاناً وَحَقّاً، وَأَنَا أَيْضاً أَفْعَلُ مَعَكُمْ هَذَا الْخَيْرَ لأَنَّكُمْ فَعَلْتُمْ هَذَا الأَمْرَ. وَالآنَ فَلْتَتَشَدَّدْ أَيْدِيكُمْ وَكُونُوا ذَوِي بَأْسٍ، لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ سَيِّدُكُمْ شَاوُلُ، وَإِيَّايَ مَسَحَ بَيْتُ يَهُوذَا مَلِكاً عَلَيْهِمْ». (٢صم ٢: ٤ - ٧)

وكما هو متوقع من شخص بنبل وشهامة داود فقد كافأ أهل يابيش لأنهم دفنوا شاول ويوناثان بإكرام يليق بالملك وابنه .

ويخبرنا باقي الأصحاح عن أبنير رئيس جيش شاول وهو فى نفس الوقت ابن عمه وكان قد نجا من الموت فى المعركة الخاسرة ، فبذل كل جهده ليحافظ على عرش شاول فأخذ ابنه إيشبوشث ونصبه ملكا على إسرائيل (أي باقي الأسباط ما عدا سبط يهوذا) متجاهلاً داود ، ومهدداً بنشوب حرب أهلية بين أتباع الملكين وهو ما حدث بالفعل خلال فترة وجيزة وسقط خلالها الكثير من القتلى بالذات من جيش أبنير ، وقد حاول عسائيل (ابن صروية أخت داود وأخو يوآب) بعد المعركة أن يقضي على أبنير أيضاً إلا أن الأخير كان أقوى منه وأكثر خبرة فقتله أثناء دفاعه عن نفسه . ثم اتفق الطرفان على الهدنة بين الجيشين حقناً للدماء .

موقف داود يزداد قوة ، وأبنير ينحاز لداود ولكن يوآب يغتاله غدراً

وَكَانَتِ الْحَرْبُ طَوِيلَةً بَيْنَ بَيْتِ شَاوُلَ وَبَيْتِ دَاوُدَ، وَكَانَ دَاوُدُ يَذْهَبُ يَتَقَوَّى وَبَيْتُ شَاوُلَ يَذْهَبُ يَضْعُفُ. (٢صم ٣: ١)

كما هو متوقع كانت بركة الرب مع داود مما جعل ملكه يثبت و محبة الشعب له تتزايد على حساب إيشبوشث بن شاول ، الذي كان ملكاً ضعيفاً يصعب استمراره فى الحكم لولا مساندة أبنير رئيس الجيش له .

ولكن سرعان ما دبت الخلافات بينهما لأن أبنير تزوج من جارية اسمها رصفة كانت زوجة لشاول الملك مما أغضب إيشبوشث بشدة إذ اعتبر أن هذا التصرف ربما يكون مقدمة للمطالبة بالعرش ، وهنا قرر أبنير أن يتخلى عن إيشبوشث ، فذهب أبنير إلى داود فى حبرون وتعاهد معه أن يناصره حتى يجعله يملك على كل إسرائيل ، فاشترط داود أن يعيد إليه زوجته ميكال بنت شاول كإثبات لجدية الاتفاق ، وفي نفس الوقت لحبه لزوجته الأولى التي دفع مهرها مائتي فلسطيني بدلا من المائة الذين طلبهم شاول ، والتي ساعدته على الهروب من مطاردة شاول أبيها . فاستجاب له أبنير وسعى لدى إيشبوشث فطلق ميكال من زوجها وأعادها لداود ، ثم أخذ أبنير يقوم بالدعاية لداود وسط الأسباط - بما فيهم سبط بنيامين مسقط رأس شاول - موضحاً لهم أن داود أحق بالمُلك .

وعاد أبنير لداود فى حبرون ليضع معه الترتيبات النهائية لخطة التتويج فأحسن داود إكرامه واتفق معه ثم ودعه و صرفه بسلام . إلا أن يوآب رئيس جيش داود لم ينسَ أبداً أن أبنير هو الذي قتل أخاه عسائيل فغدر به دون علم داود ، إذ اقترب منه كأنه يريد أن يهمس فى أذنه ببضع كلمات وطعنه فى بطنه فأرداه قتيلاً .

وقد استاء داود جداً لقتل أبنير بهذه الطريقة الخسيسة ، لأن أبنير قتل عسائيل فى الحرب دفاعاً عن نفسه بعد ما حاول أن يتفادى العراك ، أما يوآب فقد اغتال أبنير غدراً وهو خارج من مقابلة داود مما يتنافى مع أبسط قواعد الشرف العسكري الواجب مراعاتها مع قائد أتى إلى داود ليمد جسور الصداقة والولاء وكان على وشك تتويج داود ملكاً على كل إسرائيل والآن بعد هذه الفعلة الحمقاء من سيصدق أن داود برئ من دم أبنير ؟ ومن يضمن عدم تجدد الحرب الأهلية بين إسرائيل ويهوذا مرة أخرى ؟ لذا فقد حزن داود من كل قلبه على مقتل هذا القائد المحنك وفعل كل ما في وسعه ليثبت للجميع أنه برئ من دم أبنير فصام حتى المساء ولبث المسوح ورثى أبنير وصب جام غضبه على يوآب وبيته .

وواضح أن داود كان ضعيفاً أمام يوآب الذي يمثل مركز قوة خطيراً لم يستطع داود السيطرة عليه - ربما لكونه ابن أخته – وعلاقات العمل مع الأقارب كثيراً ما يشوبها

الحرج الذي يمنع القائد من اتخاذ القرار السليم ، أو لأن يوآب رئيس الجيش ويستطيع تدبير انقلاب بسهولة ، فكانت المحصلة استمرار يوآب دون أي عقاب . وهكذا افتقر داود إلى الحسم والحزم الواجب أن يتحلى بهما من يتولى السلطة .

اغتيال إيشبوشث

وفى إسرائيل كانت الأغلبية لا تصدق أن داود بريء وأنه ما زال يحب شاول وبيته، وأنه بنبل أخلاقه لا يؤمن أن الغاية تبرر الوسيلة ، فلجأ خائنان من قادة إيشبوشث الملك ومن نفس سبطه إلى اغتياله أثناء نومه وذهبا برأسه إلى داود لعله يكافئهما، فكافأهما فعلاً بما يستحقه الخونة من عقاب وكان مصيرهما الموت مثل ذاك الذي ادعى أنه هو قاتل شاول قبل سبع سنوات .

وهكذا سقط إيشبوشث بعد شاول وأبنير ولم يكن لداود يد فى مقتل أي منهم رغم أن كثيرين ظنوا أن داود هو المدبر أو المنفذ ولكنه كان بالفعل بريئاً من دمائهم بل وعاقب قتلة شاول وابنه إيشبوشث غير أنه لم يجرؤ على معاقبة يوآب قاتل أبنير .

تتويج داود ملكاً على إسرائيل كلها

وَجَاءَ جَمِيعُ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ إِلَى دَاوُدَ إِلَى حَبْرُونَ قَائِلِينَ: «هُوَذَا عَظْمُكَ وَلَحْمُكَ نَحْنُ. مُنْذُ أَمْسِ وَمَا قَبْلَهُ، حِينَ كَانَ شَاوُلُ مَلِكاً عَلَيْنَا، قَدْ كُنْتَ أَنْتَ تُخْرِجُ وَتُدْخِلُ إِسْرَائِيلَ. وَقَدْ قَالَ لَكَ الرَّبُّ: أَنْتَ تَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنْتَ تَكُونُ رَئِيساً عَلَى إِسْرَائِيلَ». وَجَاءَ جَمِيعُ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ إِلَى الْمَلِكِ إِلَى حَبْرُونَ، فَقَطَعَ الْمَلِكُ دَاوُدُ مَعَهُمْ عَهْداً فِي حَبْرُونَ أَمَامَ الرَّبِّ. وَمَسَحُوا دَاوُدَ مَلِكاً عَلَى إِسْرَائِيلَ.

كَانَ دَاوُدُ ابْنَ ثَلاَثِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. فِي حَبْرُونَ مَلَكَ عَلَى يَهُوذَا سَبْعَ سِنِينٍ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ. وَفِي أُورُشَلِيمَ مَلَكَ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ سَنَةً عَلَى جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا. (٢صم ٥: ١- ٥)

أخيراً تحقق الأمل وتم توحيد المملكة بكل أسباطها وتتويج داود ملكاً على كل إسرائيل دون حرب أهلية ودون أن تتلوث يداه بدماء شعبه ، بل وتم التتويج بمبادرة وطلب شيوخ إسرائيل أنفسهم . وقد مسحوا داود ملكاً للمرة الثالثة ، كانت المرة

الأولى سراً على يد صموئيل فى بيت لحم والثانية بعدها بخمسة عشر عاماً ملكاً على سبط يهوذا فقط وعمره ثلاثون عاماً - نفس سن بدء خدمة رب المجد - والثالثة بعدها بسبع سنوات ونصف ملكاً على كل إسرائيل .

وقد ظل ملكاً لمدة أربعين عاماً من بعد تتويجه على يهوذا ، وهو رقم الكمال رمزاً لكمال ملكوت ابن داود ....آه يا ابن داود متى يأتي اليوم الذي يتوحد فيه العالم كله تحت سلطان ملكوتك ويعترف الجميع بك ملكاً عليهم إلى الأبد .

تعدد زوجات داود

وَأَخَذَ دَاوُدُ أَيْضاً سَرَارِيَ وَنِسَاءً مِنْ أُورُشَلِيمَ بَعْدَ مَجِيئِهِ مِنْ حَبْرُونَ، فَوُلِدَ أَيْضاً لِدَاوُدَ بَنُونَ وَبَنَاتٌ. (٢صم ٥ : ١٣- ١٤)

في تلك الفترة أخذ داود لنفسه زوجات وسَراري (جمع سُرِّيَة وهى الجارية التي يتزوجها سيدها) وقد تزوج داود ثماني زوجات هن ميكال بنت شاول قبل سنوات الهروب ثم أبيجايل و أخينوعم أثناء هروبه من شاول ثم معكة وحجيث وأبيطال وعجلة وأخيراً بثشبع .

وبالطبع لم يكن هذا الأمر حسب مشيئة الله الذي سبق وحذر من خطورة التعدد. ففى سفر التثنية ذكر الله الشروط الواجب توافرها في الملك **"وَلا يُكَثِّرْ لهُ نِسَاءً لِئَلا يَزِيغَ قَلبُهُ."** (تث ١٧ :١٤–٢٠) أي أن تعدد الزوجات كان مسموحاً في ذلك العهد - كاستثناء وليس كقاعدة - وبشرط ألا يساء استخدامه . وكان الملوك يستفيدون سياسياً من علاقات المصاهرة مع القبائل والشعوب المحيطة بهم لضمان الولاء ولتفادي الحروب معهم .

وقد كانت هذه هي إحدى سقطات داود التي عانى بسببها كثيراً فكثرت الخلافات والأطماع والغيرة بين الأخوة ، وتمادى سليمان ابنه فى تعدد الزوجات من بعده وكان الكثير منهن وثنيات حتى أنه مال وراء آلهة الأمم فانقسمت المملكة بعده .

والحقيقة أن تعدد الزوجات أمر ضد الفطرة الطبيعية ، فقد خلق الله آدم وحواء – رجلاً واحداً لامرأة واحدة – ولا توجد امرأة واحدة فى العالم تسعد أن ترى زوجها يتزوج عليها أياً كانت المبررات ، وإن كان الرب قد سمح قديماً بذلك لشعب لم ينضج

روحيا بعد، إلا أنه منع التعدد صراحة قائلاً "**وَلَكِنْ مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ ذَكَراً وَأُنْثَى خَلَقَهُمَا اللَّهُ. مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونُ الاِثْنَانِ جَسَداً وَاحِداً. إِذاً لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ.**" (مر ١٠ : ٦-٨)

البحث عن عاصمة جديدة للملكة

وكان لا بد لداود من البحث عن عاصمة جديدة لمملكته تتوسط الدولة بدلاً من حبرون ، فوقع الاختيار على مدينة أورشليم لأن موقعها فى وسط المملكة وفى نفس الوقت فهي محاطة بجبال تجعلها موقعاً حصيناً يصعب على الأعداء غزوه .

وكان سكان أورشليم فى ذلك الوقت أقلية من سبطي يهوذا وبنيامين وأغلبية من اليبوسيين وهم من نسل كنعان بن حام بن نوح ، وحاول داود التفاوض مع اليبوسيين كي يعطوه المدينة ولكن المفاوضات باءت بالفشل فطلب داود من قادة جيشه الاستيلاء على المدينة ، وكانت المدينة حصينة جداً يصعب اقتحامها بسبب موقعها وأسوارها الحصينة حتى أن أهلها تندروا عليه انه لو تركوا العميان والعرج فقط للدفاع عنها لما استطاع غزوها، فوعد داود أن القائد الذي يتمكن من غزو المدينة سيجعله قائداً عاماً للجيش كله ، فكانت هذه المكافأة من نصيب يوآب القائد المحنك الذي يخبرنا التاريخ أنه دخل المدينة الحصينة من خلال قناة مياه تحت الأرض كان اليبوسيون قد حفروها لتوصيل المياه من نبع خارج المدينة .

وهكذا أصبحت أورشليم عاصمة إسرائيل ، وسميت بعدة أسماء فهي مدينة داود أو الحصن وهي أيضا صهيون .

وتباينت ردود أفعال الملوك المحيطين بإسرائيل فأرسل ملك صور الكثير من الأخشاب والنجارين ليبنوا لداود بيتاً فخماً فى أورشليم من خشب الأرز الفاخر .

وكان داود كلما دخل هذا القصر الفخم يتذكر الليالي الطويلة التي قضاها هاربا من وجه شاول من مغارة على غابة إلى كهوف الصحراء إلى أرض الفلسطينيين رحلة طويلة من الشقاء لم يجد فيها سقفاً يأمن تحت ظله ، والآن ها هو الرب يجعل جيرانه يهدونه قصراً فاخراً من أثمن أخشاب لبنان .

أما الفلسطينيون فقد اغتاظوا أن حليف الأمس صار ملكاً لأعدائهم لتبدأ جولة جديدة من الحروب سنقرأ عنها فى الفقرة القادمة.

داود ينتصر فى جولتين جديدتين من الحرب مع الفلسطينيين

وَسَمِعَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ أَنَّهُمْ قَدْ مَسَحُوا دَاوُدَ مَلِكاً عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَصَعِدَ جَمِيعُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ لِيُفَتِّشُوا عَلَى دَاوُدَ. وَلَمَّا سَمِعَ دَاوُدُ نَزَلَ إِلَى الْحِصْنِ (فى أورشليم) . **وَجَاءَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ وَانْتَشَرُوا فِي وَادِي الرَّفَائِيِّينَ** (أحد الأودية القريبة من أورشليم) .

+ وَسَأَلَ دَاوُدُ مِنَ الرَّبِّ: «**أَأَصْعَدُ إِلَى الْفِلِسْطِينِيِّينَ؟ أَتَدْفَعُهُمْ لِيَدِي؟**»

╬ فَقَالَ الرَّبُّ لِدَاوُدَ: «**اصْعَدْ لأَنِّي دَفْعاً أَدْفَعُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ لِيَدِكَ**».

فَجَاءَ دَاوُدُ إِلَى بَعْلِ فَرَاصِيمَ وَضَرَبَهُمْ دَاوُدُ هُنَاكَ، وَقَالَ: «قَدِ اقْتَحَمَ الرَّبُّ أَعْدَائِي أَمَامِي كَاقْتِحَامِ الْمِيَاهِ». لِذلِكَ دَعَى اسْمَ ذلِكَ الْمَوْضِعِ «بَعْلَ فَرَاصِيمَ». (أي إله الاقتحام) **وَتَرَكُوا هُنَاكَ أَصْنَامَهُمْ فَنَزَعَهَا دَاوُدُ وَرِجَالُهُ.**(كانوا يصطحبون أصنامهم لتحرز لهم النصر)

ثُمَّ عَادَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ فَصَعِدُوا أَيْضاً وَانْتَشَرُوا فِي وَادِي الرَّفَائِيِّينَ. (حرب ثانية)

+ **فَسَأَلَ دَاوُدُ مِنَ الرَّبِّ**

╬ **فَقَالَ: «لاَ تَصْعَدْ، بَلْ دُرْ مِنْ وَرَائِهِمْ وَهَلُمَّ عَلَيْهِمْ مُقَابِلَ أَشْجَارِ الْبُكَا** (نوع من الأشجار يفرز عصارة كالدموع) . **وَعِنْدَمَا تَسْمَعُ صَوْتَ خَطَوَاتٍ فِي رُؤُوسِ أَشْجَارِ الْبُكَا حِينَئِذٍ احْتَرِصْ** (كن حريصاً)، **لأَنَّهُ إِذْ ذَاكَ يَخْرُجُ الرَّبُّ أَمَامَكَ لِضَرْبِ مَحَلَّةِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ». فَفَعَلَ دَاوُدُ كَذلِكَ كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ، وَضَرَبَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ مِنْ جَبْعَ إِلَى مَدْخَلِ جَازَرَ.** (٢صم ٥ : ١٧- ٢٥)

المواجهات الحربية بين إسرائيل وفلسطين تشبه سلسلة متعددة الحلقات قد نستطيع أن نرصد بدايتها - أيام شمشون- ولكن لا نرى لها نهاية حتى يومنا هذا ، ولتكرار المصادمات وتعددها يتوه القارئ بينها ، و قد تأرجحت علاقة داود بالفلسطينيين عبر مراحل حياته التي بدأها بسحق جليات باسم رب الجنود ، ثم كقائد فى جيش شاول وانتصر عليهم مراراً ، ثم قتل مائتين منهم ليكونوا مهراً لميكال ابنة شاول ، ثم انقلبت الآية وبدأ يحاول التحالف معهم فلجأ إلى ملكهم أخيش مرتين – أثناء هروبه من

شاول - المرة الأولى شعر أنهم سيفتكون به لأنه قتل جليات فتَصَنَّع الجنون وهرب والمرة الثانية أقام وسطهم وطلب أن يشاركهم فى الحرب ضد إسرائيل ! ولكن الرب نجاه من هذه الورطة .

وقد هدأت الحروب بين الدولتين أثناء السنوات السبعة التى ملك فيها داود على يهوذا أما عندما توحدت المملكة كلها تحت قيادته فقد خاف الفلسطينيون من قوة هذا الملك فقرروا محاربته للقضاء عليه قبل أن تزداد قوته أكثر فأكثر .

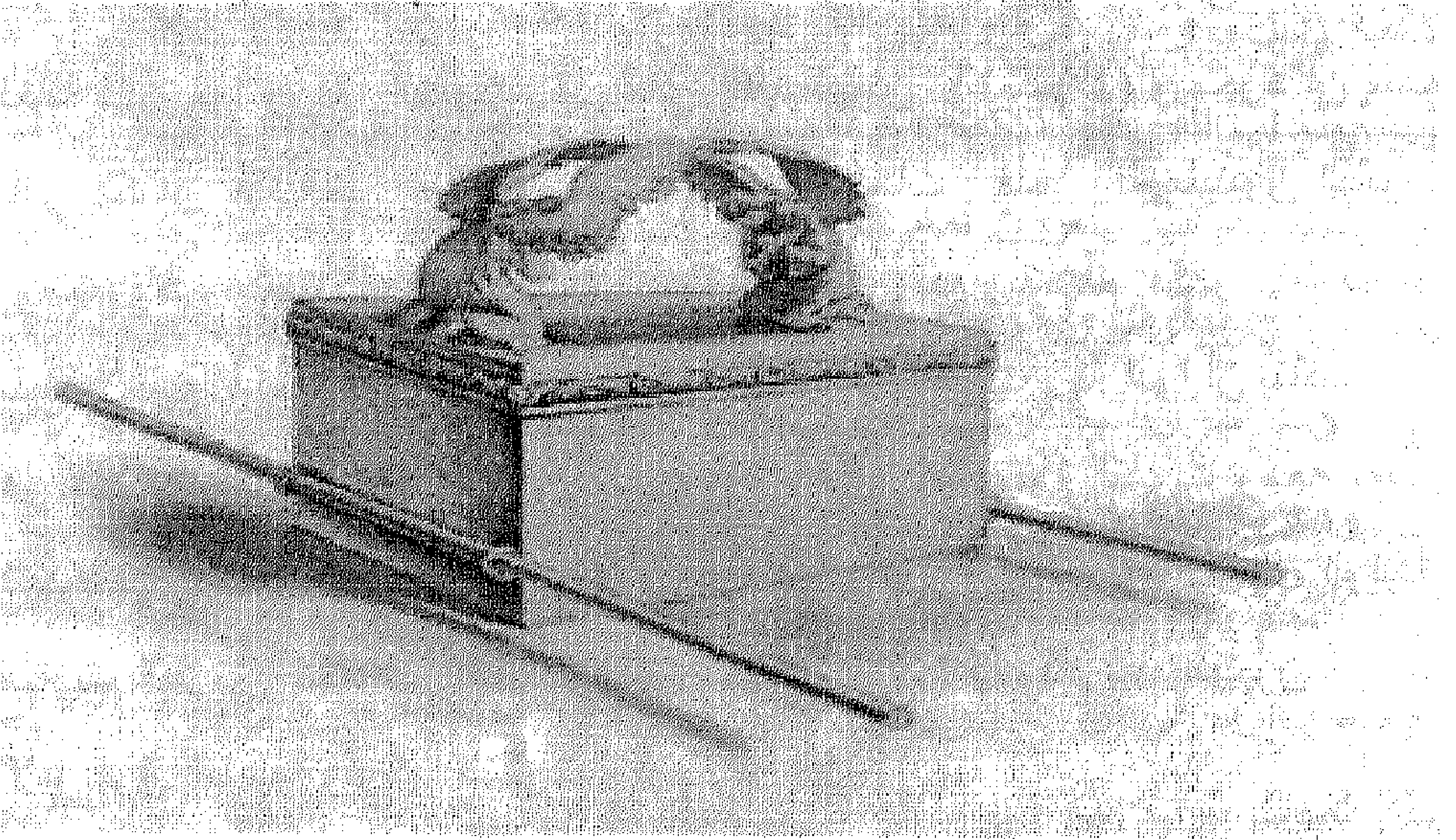
والآن ها هي الحرب تشتعل في مواجهة جديدة بعد نصرهم السابق على شاول الملك ولكن هذه المرة لم يكن الرب غائباً عن المعركة لأن شاول فى المرة السابقة كان قد بلغ قمة عصيانه باللجوء إلى الجان وتحضير الأرواح .

أما الآن فالقائد هو داود المحبوب الذي يلجأ إلى الأفود ليسأل الرب أولاً قبل الشروع فى اتخاذ أي خطوة ، ولذا فقد انتصر فى الجولة الأولى ثم نزل الرب بنفسه فى المرة الثانية وأعطى داود علامة ليتيقن من حضوره ، وهى سماع صوت خطوات فوق رؤوس الأشجار، وبالطبع لا نحتاج أن نسأل عن المنتصر عندما يكون الرب بجلاله وعزته فى صف أحد الفريقين، سواء كانت المعركة بين داود القزم والمارد جليات منذ ربع قرن مضى، أو بين جيشين متكافئين الآن . وهكذا كان النصر الساحق من نصيب داود فى المرتين ، وهكذا تكون الانتصارات الحقيقية فى حياتنا عندما يكون الرب معنا .

نقل تابوت العهد

+ <u>لمحة تاريخية عن تابوت العهد :</u> كان لتابوت العهد قداسة عظيمة جداً لدى الشعب، وحتى ندرك الموضوع على حقيقته نحتاج أن نرجع قليلاً عبر التاريخ حتى نعرف بعض المعلومات عن التابوت.

التابوت هو صندوق صنعه موسى بأمر الرب سنة ١٥٠٠ ق.م. تقريباً ، أي قبل هذه الأحداث بحوالي ٥٠٠ سنة . ويبلغ طوله ١٢٥ سم ، وكل من عرضه وارتفاعه ٧٥سم . وكان مصنوعاً من خشب السنط ومبطن بصفائح ذهب نقي من داخل ومن خارج، ويحيط به أكليل من ذهب . وفوق كل من طرفي الغطاء تمثال ذهبي صغير لملاك (من رتبة الكاروبيم) يظلل الغطاء بجناحيه. وعلى كل من جانبي التابوت حلقتان من ذهب تستخدم لحمل التابوت عن طريق وضع عصوين من خلالها، لأن لمس التابوت ممنوع بتاتاً ويجب حمله على أكتاف الكهنة فقط.



وكانت جميع الطقوس الخاصة بالعناية بالتابوت ونقله تحاط بقداسة وهيبة عظيمة جداً جداً لأنه يمثل الحضور الإلهي وأي خطأ أو تهاون فى هذه الطقوس يستوجب أقصى عقوبة حتى أن آلافاً من الرجال ماتوا فى قرية بيتشمس لأنهم نظروا إلى التابوت (١صم ٦) ، وكان التابوت يحوي لوحي العهد المكتوب عليهما الوصايا العشر بإصبع الله، ووعاء صغير (قسط) به بعض من المَّن الذي أطعم بني إسرائيل

٤٠ سنة فى البرية، وعصا هارون التي أثمرت بعد أن تنازع معه بنو قورح حق الكهنوت .

وكان التابوت محفوظاً فى قدس أقداس خيمة الاجتماع وأثناء رحلة اليهود في برية سيناء في طريق خروجهم من مصر كان التابوت يُحمل على أكتاف الكهنة أمام الشعب، ويتقدم أمامه عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً. وكانوا إذا حملوا التابوت يقولون " **قم يا رب فلتتبدد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك** " وإذا وضعوا التابوت يقولون أيضاً " **ارجع يا رب إلى ربوات ألوف إسرائيل** " . (عدد ١٠ : ٣٥ ـ ٣٦)

وعندما عبر الشعب نهر الأردن أيام يشوع حمل الكهنة التابوت أمامهم فانشق النهر ووقفت المياه المنحدرة من فوق وعبر الشعب على اليابسة . (يش ٣) وفى آخر أيام عالي الكاهن وفى إحدى المعارك بين إسرائيل وفلسطين أخذوا التابوت وحملوه أمام الجيش لعل الرب ينصرهم ولكن الحالة الروحية للشعب والجيش كانت سيئة للغاية فانهزموا ووقع التابوت في أيدي الفلسطينيين (١صم ٤) وبمجرد أن سمع عالي الكاهن هذا الخبر المفزع سقط عن كرسيه ومات . فأخذ الفلسطينيون التابوت ووضعوه فى معبد الإله الوثني داجون فإذا بهذا الوثن يقع ويتحطم فكانوا ينقلونه من مدينة لأخرى فتنزل بهم الأمراض عقاباً على سرقة التابوت . فأرادوا أن يتأكدوا هل هى مجرد صدفة أم أن هذا التابوت به قوة خفية. فوضعوا التابوت ومعه بعض التقدمات الذهبية على عربة تجرها بقرتان مرضعتان قريبتان من العجول الوليدة، فسارت البقرتان تجاه إسرائيل تاركتين العجول الوليدة فأدرك الفلسطينيون أن هذا الأمر فوق الطبيعة وتركوا التابوت ليعود لإسرائيل.

في ذلك الحين كان داود طفلا يسمع عن هذا التابوت العجيب الذي يدافع عن نفسه ضد الأعداء ويجبرهم على الاستسلام لرغبته وينتصر على غريزة الأمومة لدي الحيوان .

ذهبت العربة التي عليها التابوت أولاً إلى قرية على الحدود تدعى بيت شمس ففرح أهلها ولكهم تصرفوا بحماقة إذ فتحوا التابوت للفرجة على محتوياته وكان هذا الأمر

ممنوعاً منعاً باتاً فمات منهم الكثيرون .... فخافوا جداً مما حدث وأرسلوا التابوت إلى قرية صغيرة تدعى يعاريم بمنزل رجل يدعى أبيناداب وظل هناك طوال حكم شاول فلما استتب الحكم لداود وهدأت حدة المعارك قليلاً بدأ داود يسعى إلى تنفيذ الحلم الذي طالما داعب خياله طويلاً لعله يكرم به الرب الذي أتى به من مرعى الغنم وأجلسه على العرش ليرعى شعب الله ، وكانت الخطوة الأولى في هذا الحلم هي نقل التابوت إلى أورشليم . أما الخطوة الثانية فهي بناء هيكل عظيم يليق برب الجنود إله إسرائيل .

داود يستعد لإحضار تابوت العهد من بيت أبيناداب إلى أورشليم

وَجَمَعَ دَاوُدُ أَيْضاً جَمِيعَ الْمُنْتَخَبِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، ثَلاَثِينَ أَلْفاً. وَقَامَ دَاوُدُ وَذَهَبَ هُوَ وَجَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِي مَعَهُ مِنْ بَعَلَةِ يَهُوذَا لِيُصْعِدُوا مِنْ هُنَاكَ تَابُوتَ اللَّهِ الَّذِي يُدْعَى عَلَيْهِ بِاسْمِ رَبِّ الْجُنُودِ الْجَالِسِ عَلَى الْكَرُوبِيمِ (رتبة من الملائكة) .

فَأَرْكَبُوا تَابُوتَ اللَّهِ عَلَى عَجَلَةٍ (عربة) **جَدِيدَةٍ، وَحَمَلُوهُ مِنْ بَيْتِ أَبِينَادَابَ الَّذِي فِي الأَكَمَةِ** (التل). **وَكَانَ عُزَّةُ وَأَخِيُو ابْنَا أَبِينَادَابَ يَسُوقَانِ الْعَجَلَةَ الْجَدِيدَةَ فَأَخَذُوهَا مِنْ بَيْتِ أَبِينَادَابَ الَّذِي فِي الأَكَمَةِ مَعَ تَابُوتِ اللَّهِ. وَكَانَ أَخِيُو يَسِيرُ أَمَامَ التَّابُوتِ وَدَاوُدُ وَكُلُّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ يَلْعَبُونَ أَمَامَ الرَّبِّ بِكُلِّ أَنْوَاعِ الآلاَتِ مِنْ خَشَبِ السَّرْوِ بِالْعِيدَانِ وَبِالرَّبَابِ وَبِالدُّفُوفِ وَبِالْجُنُوكِ وَبِالصُّنُوجِ. وَلَمَّا انْتَهُوا إِلَى بَيْدَرِ نَاخُونَ مَدَّ عُزَّةُ يَدَهُ إِلَى تَابُوتِ اللَّهِ وَأَمْسَكَهُ، لأَنَّ الثِّيرَانَ انْشَمَصَتْ** (تعثرت). **فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى عُزَّةَ وَضَرَبَهُ اللَّهُ هُنَاكَ لأَجْلِ غَفَلِهِ، فَمَاتَ هُنَاكَ لَدَى تَابُوتِ اللَّهِ. فَاغْتَاظَ دَاوُدُ لأَنَّ الرَّبَّ اقْتَحَمَ عُزَّةَ اقْتِحَاماً، وَسَمَّى ذَلِكَ الْمَوْضِعَ «فَارِصَ عُزَّةَ» إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. وَخَافَ دَاوُدُ مِنَ الرَّبِّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَقَالَ: «كَيْفَ يَأْتِي إِلَيَّ تَابُوتُ الرَّبِّ؟» وَلَمْ يَشَأْ دَاوُدُ أَنْ يَنْقُلَ تَابُوتَ الرَّبِّ إِلَيْهِ إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ، فَمَالَ بِهِ دَاوُدُ إِلَى بَيْتِ عُوبِيدَ أَدُومَ الْجَتِّيِّ.**

(٢صم ٦: ١-١٠)

أعد داود موكباً عظيماً فخيماً قوامه ثلاثون ألف رجل من أعظم رجال إسرائيل بعضهم يعزف وبعضهم يرتل فى مسيرة تسبيح ضخمة لنقل التابوت من منزل أبيناداب إلى أورشليم. بعد أن ظل التابوت هناك أكثر من عشرين عاماً ، زفة ضخمة جداً بها أفضل رجال فى المملكة كلهم يشاركون بحماس احتفالاً بهذا الحدث النادر

ويستمدون القوة الروحية من قائدهم وملكهم ، وفى غمرة هذا الاحتفال الهائل نسوا أو تناسوا الطقوس الخاصة بحمل التابوت وبدلاً من حمله بالعصي على أكتاف الكهنة حملوه على عربة تجرها الثيران . وربما إعتبروا أن هذا مزيد من التكريم للتابوت كما فعل الفلسطينيون لأنهم لا يعرفون الناموس، أما بالنسبة لليهود فكان هذا الموقف يعبر عن إهمال الناموس والاستهانة به .

وكان الموكب يتحرك في زفة رائعة وألحان الموسيقى تضفي عليها مزيداً من البهجة والفرح إلى أن وقع المحظور،إذ تعثرت الثيران بسبب وعورة الطريق واهتز التابوت فخاف عُزَّة على التابوت لئلا يقع فمد يده بحركة تلقائية ليسنده ، وكانت هذه هي آخر حركة يقوم بها عزة في حياته إذ سقط في الحال صريـــــــعاً ! .

ونوقف العزف على الفور وتحولت صيحات الفرح والهتاف إلى بكاء ونواح؛ فالشعب لم يفهم كيف يجازي الرب عُزَّة بالموت؟ وهو بكل حسن نية يدافع عن التابوت الذي ظل يراه فى منزله منذ طفولته حتى يوم خروجه فى هذا الموكب الفخم.

لماذا تعامل الله مع عُزَّة بهذه الصرامة ؟

سؤال لم يعرف داود ولا باقي الشعب إجابة محددة له ، ولا ندعي نحن أننا سنعطي إجابة قاطعة ولكن لا بد من شرح الكثير من النقاط حتى نناقش هذا السؤال الذي لا يتعلق بموقف حدث منذ ثلاثين قرناً بقدر ما يتعلق بمواقف متكررة تحدث معنا كثيراً ونكاد نتهم الله فيها بالقسوة أو إساءة التصرف (حاشا لله).

أولا : **"يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ لأَنْ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيراً** (مرشداً) ؟ " (رو ١١ :٣٣- ٣٤) هذا هو المبدأ الأول عندما نتأمل فى مثل هذه المواقف ، لا تقل في نفسك أني لا بد أن أفهم إرادة الله وحكمته ، فإن لم أفهمها يكون الرب ظالماً قاسياً أو أن هذا العالم يُدار بطريقة عشوائية . بل باتضاع وانسحاق ننسكب أمام الرب قائلين له : "يا رب سواء فهمنا أم لا فنحن لا نشك فى عدلك وبرك وصلاحك ، نثق أنك تصنع الكل حسناً في وقته وتجعل الأبدية في قلوبنا و نوقن أننا وإن لم نفهم الآن

فسنفهم فيما بعد ، وإن لم يكن في هذا الدهر فسنفهم في الأبدية ، لا تسمح يا رب أن يتعطل فرحنا بك وعشرتنا معك بسبب قصور فهمنا عن إدراك مقاصدك الإلهية "

ثانياً : نحن لا نعرف الكثير عن ماضي عُزَّة ولا نعرف ما هو مصيره الأبدي ؟.

* ربمـــــا كان عُزَّة قديساً تربى على مخافة الله وتوقير التابوت ولم يخبره أحد عن طريقة حمل التابوت و كيف أن الله يمنع لمسه تماماً فلما أخطأ بلمس التابوت أماته الله ونقله إلى أبدية سعيدة - ليس عقاباً له- لأن الحياة الأرضية ليست مكافأة، والأبدية في حضن الله ليست عقاباً ، ولكن موته كان إنذاراً عنيفاً للشعب الذي تناسى حتمية حفظ الناموس والطقوس .

ولأن الموت هو العقوبة القصوى في كل القوانين المدنية ، فإننا عادة ما نعتبر أن هذا هو الوضع نفسه بالنسبة للمعاملات الإلهية . ولكن هذا الفكر بعيد عن الصواب ، فما أكثر القديسين الذين كانت شهوة قلبهم أن يتركوا هذا العالم ولا يريدون الإقامة فيه إلا لتتميم الخدمة التي ائتمنهم الرب عليها ، وكانت أعظم مكافأة لهم هي عطية الموت .

* و ربمـــــا كان عُزَّة شريراً استنفذ كل سبل المراحم الإلهية عبر سنين طويلة لم يستجب فيها لصوت الرب رغم وجود تابوت العهد في منزله فكان الموت بهذه الصورة عقوبة لا مكافأة . وهو في هذا يشبه حُفْني وفينحاس ابني عالي الكاهن ، أو حنانيا وسفيرة وهيرودس الملك في سفر أعمال الرسل .

ورغم أننا لا نجزم بصدق أي من الاحتمالين ، إلا أن ما نجزم به حقاً هو أن الرسالة المطلوبة قد وصلت واضحة لكل من حضر هذا المشهد المهيب ، بل ولكل من يقرأ عنه حتى هذا اليوم : " لا تتهاون في التعامل مع المقدسات ... لا بغفلة ولا بتهاون ولا بحسن نية ولا بأي عذر آخر – بالذات تلك الخاصة بالتعامل مع التابوت الذي يمثل حضور الذات الإلهية". ولعل هذا التحذير يصل لكل من يتعامل مع جسد الرب ودمه في سر التناول بشيء من التهاون أو الاستخفاف فيتعظ مما حدث لعُزَّة في العهد القديم ، بل ومما حدث لأهل كورنثوس في العهد الجديد . الذين أنذرهم بولس الرسول بهذه الكلمات : **" إِذاً أَيُّ مَنْ أَكَلَ هَذَا الْخُبْزَ أَوْ شَرِبَ كَأْسَ الرَّبِّ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَكُونُ مُجْرِماً فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ. وَلَكِنْ لِيَمْتَحِنِ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ وَهَكَذَا**

يَأْكُلُ مِنَ الْخُبْزِ وَيَشْرَبُ مِنَ الْكَأْسِ. لأَنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْنُونَةً لِنَفْسِهِ غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ. مِنْ أَجْلِ هَذَا فِيكُمْ كَثِيرُونَ ضُعَفَاءُ وَمَرْضَى وَكَثِيرُونَ يَرْقُدُونَ. " (١كو ١١: ٢٧ – ٣٠)

تأمل روحي طقوس العبادة : تدور قصة عُزَّة باختصار حول شخص أهمل أحد الطقوس الشكلية فكان عقابه صارماً . والطقس كلمة يونانية الأصل معناها نظام وترتيب ومن البديهي أن يهتم الله أن تكون العبادة منظمة وهكذا يعلمنا بولس الرسول " **لأَنَّ اللهَ لَيْسَ إِلَهَ تَشْوِيشٍ بَلْ إِلَهُ سَلاَمٍ ...... وَلْيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ بِلِيَاقَةٍ وَبِحَسَبِ تَرْتِيبٍ**" (١كو ١٤ : ٣٣ و ٤٠)

وتُستَمَد الطقوس من ثلاثة مصادر :

+ :أولها الكتاب المقدس ، فهو المرجع الرئيسي لنا جميعاً.

+ وثاني المصادر هو التسليم الشفوي من السيد المسيح إلى الرسل كما هو واضح فى قول بولس الرسول "**لأَنَّنِي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضاً: إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا أَخَذَ خُبْزاً وَشَكَرَ ......**" (١كو١١: ٢٣) وقول يوحنا الحبيب لتلاميذه "**إِذْ كَانَ لِي كَثِيرٌ لأَكْتُبَ إِلَيْكُمْ، لَمْ أُرِدْ أَنْ يَكُونَ بِوَرَقٍ وَحِبْرٍ، لأَنِّي أَرْجُو أَنْ آتِيَ إِلَيْكُمْ وَأَتَكَلَّمَ فَماً لِفَمٍ، لِكَيْ يَكُونَ فَرَحُنَا كَامِلاً.** " (٢يو ١٢)

+ أما ثالث المصادر فهو قوانين الآباء الرسل (الدسقولية) و المجامع المسكونية.

- ويشترط فى كل هذه الطقوس ألا تتعارض مع الكتاب المقدس لئلا ينطبق عليها توبيخ الرب يسوع للفريسيين " **وَأَنْتُمْ أَيْضاً لِمَاذَا تَتَعَدَّوْنَ وَصِيَّةَ اللَّهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ؟**" (مت١٥ :٣) فقد كانت إحدى تقاليدهم الخاطئة تشجع الناس على عدم الإنفاق على الوالدين وإعطاء هذا المال لتقديم قرابين فى الهيكل .

داود يحضر تابوت العهد من بيت عوبيد إلى أورشليم

وَبَقِيَ تَابُوتُ الرَّبِّ فِي بَيْتِ عُوبِيدَ أَدُومَ الْجَتِّيِّ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ.

وَبَارَكَ الرَّبُّ عُوبِيدَ أَدُومَ وَكُلَّ بَيْتِهِ.   فَأُخْبِرَ الْمَلِكُ دَاوُدُ: «قَدْ بَارَكَ الرَّبُّ بَيْتَ عُوبِيدَ أَدُومَ وَكُلَّ مَا لَهُ بِسَبَبِ تَابُوتِ اللَّهِ». (٢ صم ٦ : ١١-١٢)

كان رد الفعل تجاه موت عُـزَّة هو الخوف من التابوت الذي قد يجلب الموت لمن يتعامل معه ولكن الخطأ لم يكن فى التابوت بل في إساءة التعامل معه ، وما حدث في بيت عوبيد أثبت هذا، فقد بورك هذا البيت خلال ثلاثة أشهر بسبب وجود التابوت فيه

وَعَمِلَ دَاوُدُ لِنَفْسِهِ بُيُوتاً فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ، وَأَعَدَّ مَكَاناً لِتَابُوتِ اللَّهِ وَنَصَبَ لَهُ خَيْمَةً. حِينَئِذٍ قَالَ دَاوُدُ: «لَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يَحْمِلَ تَابُوتَ اللَّهِ إِلاَّ لِلاَّوِيِّينَ، لأَنَّ الرَّبَّ إِنَّمَا اخْتَارَهُمْ لِحَمْلِ تَابُوتِ اللَّهِ وَلِخِدْمَتِهِ إِلَى الأَبَدِ». وَجَمَعَ دَاوُدُ كُلَّ إِسْرَائِيلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ لأَجْلِ إِصْعَادِ تَابُوتِ الرَّبِّ إِلَى مَكَانِهِ الَّذِي أَعَدَّهُ لَهُ. فَجَمَعَ دَاوُدُ بَنِي هَارُونَ وَاللاَّوِيِّينَ.

وَقَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ رُؤُوسُ آبَاءِ اللاَّوِيِّينَ، فَتَقَدَّسُوا أَنْتُمْ وَإِخْوَتُكُمْ وَأَصْعِدُوا تَابُوتَ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ إِلَى حَيْثُ أَعْدَدْتُ لَهُ. لأَنَّهُ إِذْ لَمْ تَكُونُوا فِي الْمَرَّةِ الأُولَى، اقْتَحَمَنَا الرَّبُّ إِلَهُنَا (سمح بموت عزة)، **لأَنَّنَا لَمْ نَسْأَلْهُ حَسَبَ الْمَرْسُوم** (الطقوس التي رسمها الله) **فَتَقَدَّسَ الْكَهَنَةُ وَاللاَّوِيُّونَ لِيُصْعِدُوا تَابُوتَ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ. وَحَمَلَ بَنُو اللاَّوِيِّينَ تَابُوتَ اللَّهِ كَمَا أَمَرَ مُوسَى حَسَبَ كَلاَمِ الرَّبِّ بِالْعِصِيِّ عَلَى أَكْتَافِهِمْ.**



وَأَمَرَ دَاوُدُ رُؤَسَاءَ اللاَّوِيِّينَ أَنْ يُوقِفُوا إِخْوَتَهُمُ الْمُغَنِّينَ بِآلاَتِ غِنَاءٍ، بِعِيدَانٍ وَرَبَابٍ وَصُنُوجٍ، مُسَمِّعِينَ بِرَفْعِ الصَّوْتِ بِفَرَحٍ. وَكَانَ دَاوُدُ وَشُيُوخُ إِسْرَائِيلَ وَرُؤَسَاءُ الأُلُوفِ هُمُ الَّذِينَ ذَهَبُوا لإِصْعَادِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ، مِنْ بَيْتِ عُوبِيدَ أَدُومَ بِفَرَحٍ. وَلَمَّا أَعَانَ اللهُ اللاَّوِيِّينَ حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ ذَبَحُوا سَبْعَةَ عُجُولٍ وَسَبْعَةَ كِبَاشٍ.

وَكَانَ كُلَّمَا خَطَا حَامِلُو تَابُوتِ الرَّبِّ سِتَّ خَطَوَاتٍ يَذْبَحُ ثَوْراً وَعِجْلاً مَعْلُوفاً. وَكَانَ دَاوُدُ يَرْقُصُ بِكُلِّ قُوَّتِهِ أَمَامَ الرَّبِّ. وَكَانَ دَاوُدُ مُتَنَطِّقاً بِأَفُودٍ مِنْ كَتَّانٍ. فَكَانَ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ يُصْعِدُونَ تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ بِهُتَافٍ، وَبِصَوْتِ الأَصْوَارِ وَالأَبْوَاقِ وَالصُّنُوجِ يُصَوِّتُونَ بِالرَّبَابِ وَالْعِيدَانِ. (أجزاء من ٢ صم ٦ و ١ أخ ١٥)

تشجع داود أن يعيد التابوت إلى أورشليم فى موكب أكثر فخامة من الموكب الأول، ولكن حسب الطقوس التي حددها الناموس ، فحمل الكهنة التابوت ، وتم تقديم ذبائح بلا عدد ، فكانوا كل ست خطوات يقدمون ذبيحة ! ... تخيلوا أن كل كيلومتر من مسيرة هذه الزفة الطويلة يذبحون ٢٠٠ ثور و ٢٠٠ عجل! ، حقا إن المحب الصادق يغدق بلا حساب لأنه يود لو أعطى كل ما عنده بل يود أن يهب نفسه لمن يحب.

ولا شك أن كثيرين تكلموا سراً أو جهراً قائلين " لماذا هذا الإتلاف ؟ أما كان الفقراء أولى بكل هذه الأموال؟ أليس هناك أولويات يجب أن يراعيها هذا الملك المبذر؟ ولكن داود لم يعطهم أذنه لأنه كان فى أقدس لحظات العشق الإلهي التي عاش يحلم بها .

واحتاجت السيطرة على كل هذا العدد الضخم من العازفين والمرتلين جهداً جباراً من داود حتى تخرج فى نظام وترتيب ودقة على أكمل وجه ، وتهلل داود جداً أثناء العزف والتسبيح متحركاً بين أفراد الجوقة الموسيقية مشاركاً إياهم بكل خلية فى جسده ، نسى تماماً التاج والصولجان ، وفضل أن يكون إمام المرتلين أو المايسترو الذي يقود ثلاثين ألفاً فى تناغم يليق بتسبيح الله – يشير لهؤلاء ثم أولئك ويتمايل بجسمه مع اللحن حتى أنه كان كمن يرقص أمام التابوت بكل قوة وحماس .

ومن يتابع أي عمل موسيقي غنائي ضخم يدرك حجم الجهد الذي يبذله المايسترو للسيطرة على كل هذا العدد كي تتناغم أصواتهم وآلاتهم ، حتى أن الجهد البدني والذهني الذي بذله فى هذا اليوم كان أكبر مما بذله فى حروب كثيرة .

وكانت حرارة التسبيح الصادقة التي تنبعث من قلب داود المحب مثل التيار الكهربي الذي ينتشر بسرعة وقوة فى نفوس الشعب ، فالقائد الحار الصادق يبعث الحماس والحمية فى قلوب الشعب . وفي المقابل نجد أن المرنم الفاتر أو الذي يؤدي باحتراف المطربين دون أن يعيش الكلمات التي يسبح بها الرب فإنه يفقد المصداقية لدى الشعب

ولا نملك إلا أن نسأل أنفسنا : إذا كان داود يفرح كل هذا الفرح لنقل تابوت العهد إلى مدينته فكم وكم ينبغي أن نفرح نحن بأخذ جسد السيد المسيح ودمه داخلنا ؟ ليت الرب يفتح عيوننا فندرك النعمة التي نحن فيها مقيمون ولا نستهين بطول أناة الرب وإمهاله.

هذه الزفة الضخمة المهيبة لم يكن لها مثيل فى العهد القديم كله فهى تمثل حضور الله ودخوله إلى أورشليم - مدينة داود - ويقابلها فى العهد الجديد زفة دخول رب المجد بنفسه إلى أورشليم يوم أحد الشعانين عندما هتف له الشعب أوصنا يا ابن داود ويقابلها فى المستقبل الزفة العظيمة فى أورشليم السماوية

" بَعْدَ هذَا نَظَرْتُ وَإِذَا جَمْعٌ كَثِيرٌ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّهُ، مِنْ كُلِّ الأُمَمِ وَالْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ وَالأَلْسِنَةِ، وَاقِفُونَ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الْحَمَلِ، مُتَسَرْبِلِينَ بِثِيَابٍ بِيضٍ وَفِي أَيْدِيهِمْ سَعَفُ النَّخْلِ وَهُمْ يَصْرُخُونَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلِينَ: «الْخَلاَصُ لإِلهِنَا الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْحَمَلِ». (رؤ ٧: ٩ – ١١)

ورغم أننا حُرمنا من مشاهدة الزفتين الأوليين إلا أننا نتمتع في كل قداس بحضور رب المجد يسوع المسيح على المذبح بجسده ودمه . ولنا رجاء عظيم أننا سنشارك فى الزفة الأهم وهى تلك المذكورة فى سفر الرؤيا .

<u>تأمل روحى</u> <u>حياة التسبيح</u> كل أنواع التسبيح لا بد أن تشتمل على ثلاثة عناصر رئيسية وهى التسبيح والذبيحة والكتاب المقدس ، وفي هذا الموكب التاريخي كان داود هو قائد التسبيح ، والذبائح بدأت دموية وانتهت بالخبز والخمر . وأخيراً وكان هناك البوق الذي يشير دوماً إلى الكتاب المقدس كلمة الله . ونفس التأمل ينطبق أيضاً على كل قداس وكل صلاة تقدمها الكنيسة.

<u>تأمل روحي</u> <u>داود يرقص !:</u> أظن أن كلمة يرقص أعثرت وما زالت تعثر الكثيرين ممن يرون فيها امتهاناً لقداسة الموقف، أو يأخذها البعض حجة للرقص المبتذل.

وقد تفسر كلمة الرقص على أنها نوع من الحركات الطقسية التى تعودوا أن تصاحب الألحان الروحية . أو هي الحركات العنيفة التي يؤديها مايسترو أي فرقة موسيقية ضخمة ، والكلمة العبرية نفسها ذكرت في إنجيل لوقا عندما ذهبت السيدة العذراء لزيارة أليصابات فقالت لها **"فَهُوَذَا حِينَ صَارَ صَوْتُ سَلاَمِكِ فِي أُذُنَيَّ ارْتَكَضَ** (رقص) **الْجَنِينُ بِابْتِهَاجٍ فِي بَطْنِي"** (لو ١ :٤٤)

وقد فرح الله بداود الذي كان سعيداً بتكريم التابوت من كل قلبه ، ويعبر عن فرحه بكل وجدانه ، ولم يعبأ برأي الناس في الملك الوقور الذي يرقص بحماس الأطفال ، ولكنه بكل صدق وتواضع يتصرف كأنه مازال راعي الغنم البسيط ، تغيرت فيه الكثير من المظاهر أما الداخل فظل به بساطة الأطفال ونقاؤهم وهو ما يؤهله لدخول الملكوت.

<u>قصة من تاريخ الكنيسة :</u> يذكرني موقف داود بقصة ذلك الراهب الذي كان يعمل فى البدء كبهلوان يسلي الناس برقصه ، وفيما بعد عرف الرب وقرر أن يكرس حياته للرهبنة . ولكنه شعر أنه غريب فى الدير لا يستطيع أن يشارك الرهبان تسبيحهم فانتظر حتى خلت الكنيسة تماما ووقف مصلياً أمام أيقونة السيدة العذراء وقال : أنت يا قدوس تعلم ضعفي وفقر مواهبي، ولكن من القليل الذي أجيده اسمح لي أن أعطيك بكل سخاء . وبدأ يرقص ويقوم بحركاته الأكروباتية بكل حماس ونشاط ، وكان أحد الرهبان يتلصص النظر إليه ويتأفف من هذا الموقف الذي رأى فيه امتهانا لكرامة الدير ولكن قبل أن يمضي في الإدانة كان العرق الغزير يتصبب من جبين الراهب وهو يقفز أمام الأيقونة ، فمدت السيدة العذراء يدها الحانية من الأيقونة ومسحت العرق عن جبينه في مشهد جعل الراهب المتلصص يدرك عظمة هذا الرجل الذي نظر الله إلى قلبه وليس إلى عينيه .

وما زلنا حتى الآن نختلف كثيراً فى مثل هذه الأمور التي تتعلق بأشكال العبادة وطقوسها ولا ندرك أنه من الطبيعي أن نختلف فى الشكل بشرط أن نتفق في المضمون. فالألحان والآلات الموسيقية مثلاً تختلف وتتغير من زمن لآخر ومن مكان لآخر حتى فى نفس الكنيسة وما بين الآلات النحاسية أو الوترية والكهربية أو حتى إيقاع الطبول ، تختلف الشعوب حسب ثقافاتها وحضاراتها . ولا يصح لأي منها

أن يدعي أن طريقته هي الوحيدة المقبولة أمام الله . فالله يسر بكل من يعبده بصدق وتلقائية دون ابتذال ودون تصنع ، وهذه كلها أمور تحتاج إلى حكمة حتى لا ندين الآخرين ظلماً فيديننا الله .

وصول التابوت إلى الخيمة

وَأَدْخَلُوا تَابُوتَ اللَّهِ وَأَثْبَتُوهُ فِي وَسَطِ الْخَيْمَةِ الَّتِي نَصَبَهَا لَهُ دَاوُدُ، وَقَرَّبُوا مُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ أَمَامَ اللَّهِ. وَلَمَّا انْتَهَى دَاوُدُ مِنْ إِصْعَادِ الْمُحْرَقَاتِ وَذَبَائِحِ السَّلاَمَةِ بَارَكَ الشَّعْبَ بِاسْمِ الرَّبِّ. وَقَسَمَ عَلَى كُلِّ آلِ إِسْرَائِيلَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ، رَغِيفَ خُبْزٍ وَكَأْسَ خَمْرٍ وَقُرْصَ زَبِيبٍ. وَجَعَلَ أَمَامَ تَابُوتِ الرَّبِّ مِنَ اللاَّوِيِّينَ خُدَّاماً وَلأَجْلِ التَّذْكِيرِ وَالشُّكْرِ وَتَسْبِيحِ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ . (١ أخ ١٦ : ١-٤)

وصل الموكب بسلام حتى استقر بكل وقار في خيمة الاجتماع التي كان داود قد أعدها لاستقبال التابوت ، وبعد كل الذبائح الدموية والمحرقات التي قدمت خلال الموكب كان هناك عطية خاصة لكل فرد من الشعب عبارة عن **خبـــز و خمـــر** ، في إشارة واضحة أن كل هذه الذبائح ما هي إلا مقدمة لذبيحة الخبز والخمر اللذين هما جسد الرب ودمه في سر الإفخارستيا . وهو الموقف الذي حدث مثله قبل ألف عام عندما تقابل إبراهيم أبو الآباء مع ملكي صادق كاهن الله العلي في قصة قصيرة الكلمات وعميقة المعاني .

تسبحة داود عند وصول التابوت إلى الخيمة

حِينَئِذٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَوَّلاً جَعَلَ دَاوُدُ يَحْمَدُ الرَّبَّ بِيَدِ آسَافَ وَإِخْوَتِهِ:

«احْمَدُوا الرَّبَّ. ادْعُوا بِاسْمِهِ. أَخْبِرُوا فِي الشُّعُوبِ بِأَعْمَالِهِ.

غَنُّوا لَهُ. تَرَنَّمُوا لَهُ. تَحَادَثُوا بِكُلِّ عَجَائِبِهِ.

افْتَخِرُوا بِاسْمِ قُدْسِهِ. تَفْرَحُ قُلُوبُ الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الرَّبَّ.

اطْلُبُوا الرَّبَّ وَعِزَّهُ. الْتَمِسُوا وَجْهَهُ دَائِماً.

اذْكُرُوا عَجَائِبَهُ الَّتِي صَنَعَ. آيَاتِهِ وَأَحْكَامَ فَمِهِ.

يَا ذُرِّيَّةَ إِسْرَائِيلَ عَبْدِهِ وَبَنِي يَعْقُوبَ مُخْتَارِيهِ. هُوَ الرَّبُّ إِلَهُنَا فِي كُلِّ الأَرْضِ أَحْكَامُهُ.

اذْكُرُوا إِلَى الأَبَدِ عَهْدَهُ، الْكَلِمَةَ الَّتِي أَوْصَى بِهَا إِلَى أَلْفِ جِيلٍ.

الَّذِي قَطَعَهُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ. وَقَسَمَهُ لإِسْحَاقَ.

قَدْ أَقَامَهُ لِيَعْقُوبَ فَرِيضَةً وَلإِسْرَائِيلَ عَهْداً أَبَدِيّاً.

قَائِلاً: لَكَ أُعْطِي أَرْضَ كَنْعَانَ حَبْلَ مِيرَاثِكُمْ.

حِينَ كُنْتُمْ عَدَداً قَلِيلاً ، قَلِيلِينَ جِدّاً وَغُرَبَاءَ فِيهَا.

وَذَهَبُوا مِنْ أُمَّةٍ إِلَى أُمَّةٍ وَمِنْ مَمْلَكَةٍ إِلَى شَعْبٍ آخَرَ.

لَمْ يَدَعْ أَحَداً يَظْلِمُهُمْ بَلْ وَبَّخَ مِنْ أَجْلِهِمْ مُلُوكاً.

لاَ تَمَسُّوا مُسَحَائِي وَلاَ تُؤْذُوا أَنْبِيَائِي.

«غَنُّوا لِلرَّبِّ يَا كُلَّ الأَرْضِ. بَشِّرُوا مِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ بِخَلاَصِهِ.

حَدِّثُوا فِي الأُمَمِ بِمَجْدِهِ وَفِي كُلِّ الشُّعُوبِ بِعَجَائِبِهِ.

لأَنَّ الرَّبَّ عَظِيمٌ وَمُفْتَخَرٌ جِدّاً. وَهُوَ مَرْهُوبٌ فَوْقَ جَمِيعِ الآلِهَةِ.

لأَنَّ كُلَّ آلِهَةِ الأُمَمِ أَصْنَامٌ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَقَدْ صَنَعَ السَّمَاوَاتِ.

الْجَلاَلُ وَالْبَهَاءُ أَمَامَهُ. الْعِزَّةُ وَالْبَهْجَةُ فِي مَكَانِهِ.

هَبُوا الرَّبَّ يَا عَشَائِرَ الشُّعُوبِ هَبُوا الرَّبَّ مَجْداً وَعِزَّةً.

هَبُوا الرَّبَّ مَجْدَ اسْمِهِ. احْمِلُوا هَدَايَا وَتَعَالُوا إِلَى أَمَامِهِ. اسْجُدُوا لِلرَّبِّ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ. ارْتَعِدُوا أَمَامَهُ يَا جَمِيعَ الأَرْضِ. تَثَبَّتَتِ الْمَسْكُونَةُ أَيْضاً. لاَ تَتَزَعْزَعُ.

لِتَفْرَحِ السَّمَاوَاتُ وَتَبْتَهِجِ الأَرْضُ وَيَقُولُوا فِي الأُمَمِ الرَّبُّ قَدْ مَلَكَ.

لِيَعِجَّ الْبَحْرُ وَمِلْؤُهُ ، وَلْتَبْتَهِجِ الْبَرِّيَّةُ وَكُلُّ مَا فِيهَا.

حِينَئِذٍ تَتَرَنَّمُ أَشْجَارُ الْوَعْرِ أَمَامَ الرَّبِّ لأَنَّهُ جَاءَ لِيَدِينَ الأَرْضَ.

احْمَدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ صَالِحٌ لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ.

وَقُولُوا: خَلِّصْنَا يَا إِلَهَ خَلاَصِنَا، وَاجْمَعْنَا وَأَنْقِذْنَا مِنَ الأُمَمِ لِنَحْمَدَ اسْمَ قُدْسِكَ، وَنَتَفَاخَرَ بِتَسْبِيحَتِكَ. مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ مِنَ الأَزَلِ وَإِلَى الأَبَدِ».

فَقَالَ كُلُّ الشَّعْبِ: «آمِينَ» وَسَبَّحُوا الرَّبَّ.

ثُمَّ انْطَلَقَ كُلُّ الشَّعْبِ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى بَيْتِهِ، وَرَجَعَ دَاوُدُ لِيُبَارِكَ بَيْتَهُ. (من ١ أخ ١٦)

كان عدو الخير يرى كل هذا المجد والتسبيح للرب الإله وهو يتلمظ غيظاً فأخذ يُعد العدة ليكيل لداود لطمة قوية ينتقم بها لنفسه و يشمت بها في داود وبيته فلنقرأ الفقرة القادمة معاً لنرى ماذا فعل إبليس .

المشادة بين ميكال وداود

وَلَمَّا دَخَلَ تَابُوتُ الرَّبِّ مَدِينَةَ دَاوُدَ (أورشليم) ، **أَشْرَفَتْ مِيكَالُ بِنْتُ شَاوُلَ مِنَ الْكُوَّةِ** (الشباك) **وَرَأَتِ الْمَلِكَ دَاوُدَ يَطْفُرُ** (يقفز) **وَيَرْقُصُ أَمَامَ الرَّبِّ، فَاحْتَقَرَتْهُ فِي قَلْبِهَا.**
وَرَجَعَ دَاوُدُ لِيُبَارِكَ بَيْتَهُ. فَخَرَجَتْ مِيكَالُ بِنْتُ شَاوُلَ لاِسْتِقْبَالِ دَاوُدَ،
وَقَالَتْ: «مَا كَانَ أَكْرَمَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ الْيَوْمَ (منتهى السخرية) **حَيْثُ تَكَشَّفَ الْيَوْمَ فِي أَعْيُنِ إِمَاءِ** (جواري) **عَبِيدِهِ كَمَا يَتَكَشَّفُ أَحَدُ السُّفَهَاءِ!** (التافهين) »
فَقَالَ دَاوُدُ لِمِيكَالَ: «إِنَّمَا أَمَامَ الرَّبِّ الَّذِي اخْتَارَنِي دُونَ أَبِيكِ وَدُونَ كُلِّ بَيْتِهِ لِيُقِيمَنِي رَئِيساً عَلَى شَعْبِ الرَّبِّ إِسْرَائِيلَ، فَلَعِبْتُ أَمَامَ الرَّبِّ. وَإِنِّي أَتَصَاغَرُ دُونَ ذَلِكَ (أتواضع أكثر) **وَأَكُونُ وَضِيعاً فِي عَيْنَيْ نَفْسِي. وَأَمَّا عِنْدَ الإِمَاءِ الَّتِي ذَكَرْتِ فَأَتَمَجَّدُ»**
وَلَمْ يَكُنْ لِمِيكَالَ بِنْتِ شَاوُلَ وَلَدٌ إِلَى يَوْمِ مَوْتِهَا. (٢صم ٦: ١٦ و ٢٠-٢٣)

عاد داود بعد يوم طويل مبتهجاً متهللاً ترن في أذنيه نغمات التسبيح فرحاً بإكمال المهمة بنجاح ولكنه فى نفس الوقت منهك القوى يبحث عن الراحة في بيته ، وحبذا لو كانت مصحوبة بكلمة تشجيع أو مديح من زوجته الأولى المحبوبة ميكال التي مَهَرَها بمائتي فلسطيني، والتي أنقذت حياته يوم ساعدته على الهروب من الشباك قبل أن يأتي جنود شاول للفتك به ولذا أصر على استردادها بعد أن زوجها شاول لغيره .

ولكن ميكال لم يكن يعنيها كثيراً ما في هذا اليوم من تسبيح وإكرام للرب، ولما شاهدت الموكب من الشباك لم تتوقف عيناها طويلاً عند التابوت لكن ما شد انتباهها أنها رأت داود يرقص أمام التابوت فاحتقرته فى قلبها ، لم تفهم تواضعه أمام الرب بل أذهلها أنه لم يحترم مكانته كملك وقور. فشارك فى العزف بل والرقص وقارنت بينه وبين أبيها ذي القامة الفارعة والشخصية القوية والمظهر الخلاب الوقور .

ولا يستطيع شخص بعيد عن حياة التسبيح أن يدرك أو يستسيغ تصرفات شخص مثل داود يَسبّح باستمتاع فى بحر المحبة الإلهية ، فما كان منها إلا أن أطلقت لسانها في

أسوأ توقيت و بأسخف تعليق تقوله امرأة لزوجها سواء كان هذا الزوج ملكاً يسجد أمامه عظماء المملكة أو حتى شحاذ متسول، جملة واحدة قالتها في بضع ثوان كانت كسهم نافذ اخترق كرامته وكانت أقسى من الرماح التى أمطره بها شاول أبوها ، حتى أن النفس السمحة التي غفرت لشاول حماقاته المتكررة لم تستطع مسامحة ميكال .

ميكال أحبت داود قاهر جليات وانبهرت به، وكانت محبتها تبدو كبيرة ولكنها خلت من البعد الروحي الذي يضمن لها الاستمرار، ولهذا احتقرت داود الذي يسبح الرب بكل قوته ولم تعلم أن التسبيح هو سر قوته الذي به قتل جليات ووصل إلى العرش .

وكم تحزن النفس وهي ترى زيجة تتحطم بعد عِشرة طالت أم قصرت ، زيجة كان يبدو أنها ناجحة ، زيجة كان الحب عنصراً قوياً فى إتمامها ، ولكن كيفية هذا الحب وليست كميته هي التى تبشر باستمرارها أو تنذر بفنائها . لأن العالم مليء بأنواع مختلفة من الحب، معظمها مغشوش . وبهذا الحب المريض تُبنى بيوت كثيرة على الرمال فتنهار مع أعاصير الحياة ولا يبقى منها سوى أطلال ، لتكون عبرة لمن يشرع فى بداية حياة زوجية جديدة دون البحث عن شريك الحياة الذي يؤسس معه بيتاً مبنياً على الصخر .

ويخبرنا الكتاب المقدس أن ميكال لم تنجب إلى يوم موتها ، وربما كانت هذه عقوبة مستحقة من الله ، و يحتمل أن يكون داود هو الذي عاقبها فأخذ قراراً متعجلاً ألا يعرفها كزوجة فيما بعد، وفى هذه الحالة نتمنى لو كان داود أطول بالاً فيؤجل قراراته لبضع ساعات متذكراً أن ميكال هي الإناء النسائي الأضعف . ولكن للأسف كان قراره فورياً فقرر ألا يدخل إليها أبداً ولم ينجب منها. وكانت المرأة التي لا تنجب تفقد الرجاء أن يأتي منها المخلص فتعتبر محتقرة ملعونة .

<u>تأمل روحي بين حكمة أبيجايل وحماقة ميكال :</u>

كانت كلمات أبيجايل الحكيمة بَرَدا وسلاماً نزلت منذ سنوات على نفس داود المتأججة فحولت ثورته سلاماً فى الوقت المناســب بالضبـط فاسـتحـقت أن تنتقل من كونها زوجة لرجل أحمق إلى زوجة لداود الملك .

أما كلمات ميكال فقد حولت سلام داود إلى ثورة وقد أساءت اختيار التوقيت إلى أقصى درجة، فالملك عاد متهللاً ليبارك بيته بعد ما بارك الشعب فبادرته بكلمات كانت كلهيب السياط بل أقسى ، فجرح السوط يندمل بعد حين أما جروح هذه الكلمات فغالباً ما يكون العمر أقصر من الزمن اللازم لشفائها .

قارئي الحبيب أرجوك أن تفكر ملياً قبل أن تتفوه ببنت شفة ، فالكلمة التي لم تنطقها قد تستطيع أن تقولها بعد حين، أما الكلمة التي خرجت من فمك فهيهات أن تستعيدها حتى لو اعتذرت لصاحبها طويلاً ، وهي قد تكون رصاصة تقتل بها سهواً أو عمداً أعز أحبائك . وإذا كان للتكلم وقت وللسكوت وقت كما يخبرنا سليمان الحكيم إلا أن المرات التى نندم فيها على الكلام أكثر كثيراً من التي نندم فيها على الصمت .

تأمل روحي تواضع داود : مع كل هذه الانتصارات والنجاحات المتوالية التى نقلت داود من راع للغنم إلى ملك متوج ينتصر على الشعوب المحيطة به كان من السهل أن يجد الكبرياء سبيلاً إلى قلبه ولكنه فهم التواضع على حقيقته ولخص مفهومه لميكال أثناء المشادة بينهما عندما قال لها : **وَإِنِّي أَتَصَاغَرُ دُونَ ذَلِكَ** (أتواضع) **وَأَكُونُ وَضِيعاً فِي عَيْنَيْ نَفْسِي. وَأَمَّا عِنْدَ الإِمَاءِ الَّتِي ذَكَرْتِ فَأَتَمَجَّدُ** ، بما يعني أن الذي يتضع أمام نفسه وأمام الله فهذا يتمجد أمام الناس .

وكان داود يعلم أن مسئولية هذا الشعب تقع على كتفيه وفى نفس الوقت يشعر فى قرارة نفسه أنه خاطئ غير كفء وغير مستحق، ولكنه لا يستطيع التهرب من المسئولية فيستنجد بالقدير أن يعينه من أجل هذه الرعية فيصرخ بمثل هذه الصلاة :

" **يَا اللهُ أَنْتَ عَرَفْتَ حَمَاقَتِي وَذُنُوبِي عَنْكَ لَمْ تَخْفَ. لاَ يَخْزَ** (يخجل) **بِي مُنْتَظِرُوكَ** (الشعب) **يَا سَيِّدُ رَبَّ الْجُنُودِ. لاَ يَخْجَلْ بِي مُلْتَمِسُوكَ يَا إِلَهَ إِسْرَائِيلَ.**" (مز ٦٩ :٥-٦)

وهذا الشعور يلازم كل قائد يعرف ضعفه وعجزه ولكنه فى نفس الوقت يطلب القوة من القدير لكي لا تُحرَم الرعية من البركة الروحية بسببه وهذا المعنى بالضبط هو ما يقوله الكاهن فى القداس "اذكر يا رب ضعفي أنا المسكين، واغفر لى خطاياي الكثيرة ، وحيث كثر الإثم فلتكثر هناك نعمتك ، ومن أجل خطاياي خاصة ، ونجاسات قلبي لا تمنع شعبك من نعمة روحك القدوس. "

الْمَزْمُورُ الثَّلاَثُونَ مَزْمُورٌ أُغْنِيَةُ تَدْشِينِ الْبَيْتِ. لِدَاوُدَ

أُعَظِّمُكَ يَا رَبُّ لأَنَّكَ نَشَلْتَنِي وَلَمْ تُشْمِتْ بِي أَعْدَائِي. يَا رَبُّ إِلَهِي اسْتَغَثْتُ بِكَ فَشَفَيْتَنِي.

يَا رَبُّ أَصْعَدْتَ مِنَ الْهَاوِيَةِ نَفْسِي. أَحْيَيْتَنِي مِنْ بَيْنِ الْهَابِطِينَ فِي الْجُبِّ.

رَنِّمُوا لِلرَّبِّ يَا أَتْقِيَاءَهُ وَاحْمَدُوا ذِكْرَ قُدْسِهِ. لأَنَّ لِلَحْظَةٍ غَضَبَهُ. حَيَاةٌ فِي رِضَاهُ.

عِنْدَ الْمَسَاءِ يَبِيتُ الْبُكَاءُ وَفِي الصَّبَاحِ تَرَنُّمٌ .

وَأَنَا قُلْتُ فِي طُمَأْنِينَتِي: [لاَ أَتَزَعْزَعُ إِلَى الأَبَدِ].

يَا رَبُّ بِرِضَاكَ ثَبَّتَّ لِجَبَلِي عِزّاً. حَجَبْتَ وَجْهَكَ فَصِرْتُ مُرْتَاعاً.

إِلَيْكَ يَا رَبُّ أَصْرُخُ وَإِلَى السَّيِّدِ أَتَضَرَّعُ.

مَا الْفَائِدَةُ مِنْ دَمِي إِذَا نَزَلْتُ إِلَى الْحُفْرَةِ؟ هَلْ يَحْمَدُكَ التُّرَابُ؟ هَلْ يُخْبِرُ بِحَقِّكَ ؟

اسْتَمِعْ يَا رَبُّ وَارْحَمْنِي. يَا رَبُّ كُنْ مُعِيناً لِي.

حَوَّلْتَ نَوْحِي إِلَى رَقْصٍ لِي. حَلَلْتَ مِسْحِي وَمَنْطَقْتَنِي فَرَحاً

لِكَيْ تَتَرَنَّمَ لَكَ رُوحِي وَلاَ تَسْكُتَ. يَا رَبُّ إِلَهِي إِلَى الأَبَدِ أَحْمَدُكَ.

داود يسعى لبناء هيكل الرب ويستشير ناثان النبي

وَكَانَ لَمَّا سَكَنَ الْمَلِكُ فِي بَيْتِهِ وَأَرَاحَهُ الرَّبُّ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِهِ أَنَّ الْمَلِكَ قَالَ لِنَاثَانَ النَّبِيِّ: «انْظُرْ. إِنِّي سَاكِنٌ فِي بَيْتٍ مِنْ أَرْزٍ، وَتَابُوتُ اللَّهِ سَاكِنٌ دَاخِلَ الشُّقَقِ». (قماش تشقق بسبب الحرارة والرطوبة)

فَقَالَ نَاثَانُ لِلْمَلِكِ: «اذْهَبِ افْعَلْ كُلَّ مَا بِقَلْبِكَ، لأَنَّ الرَّبَّ مَعَكَ». (٢صم ٧ : ١-٣)

رغم أن داود كان ملكاً ونبياً إلا أنه كان له دائما مرشد أو أب روحي يلجأ إليه لاستشارته من ربيع صباه حتى خريف شيخوخته ، و كان أول مرشد هو صموئيل النبي فلما تنيح قام بالمهمة النبيان جاد وناثان والآن يظهر ناثان للمرة الأولى .

وقد حرص الله بعد انقضاء عصر القضاة أن يرسل الأنبياء دائماً لإرشاد الملوك وقيادة الشعب روحياً وإن كان معظم الملوك قد اصطدموا مع الأنبياء واضطهدوهم .

وكانت هذه الفترة هي إحدى الفترات القليلة التي عاشت فيها البلاد في هدوء وسلام.

وبدأ داود يشعر أنه لا يليق أبداً أن ينام الملك في قصر فخم من خشب الأرز الغالي

بينما تابوت الرب ملك الملوك يستقر فى خيمة الاجتماع ، وهي خيمة مظهرها الخارجي بسيط جدا لأنها مصنوعة من أقمشة تشققت من حرارة الشمس وجلود بعض الحيوانات .

ونقل داود لناثان النبي رغبته أن يبني للرب بيتاً يليق بقداسته ، فرد عليه ناثان بتلقائية أن هذه رغبة مباركة وعليه أن يمضي في تنفيذها . وهذا الشعور المقدس الذي ملأ قلب داود كان هو السر وراء كتابة هذا المزمور الذي نصليه فى مزامير صلاة النوم وكان اليهود يصلونه أثناء صعودهم إلى أورشليم ولذا يعتبر أحد ترانيم المصاعد

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّانِي وَالثَّلاَثُونَ - تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ

اُذْكُرْ يَا رَبُّ دَاوُدَ كُلَّ ذُلِّهِ. *(ليس ذل الخطية بل لأنه ينام فى قصر والرب فى خيمة)* ***كَيْفَ حَلَفَ لِلرَّبِّ نَذَرَ لِعَزِيزِ يَعْقُوبَ: [لاَ أَدْخُلُ خَيْمَةَ بَيْتِي. لاَ أَصْعَدُ عَلَى سَرِيرِ فِرَاشِي. لاَ أُعْطِي وَسَناً لِعَيْنَيَّ وَلاَ نَوْماً لأَجْفَانِي أَوْ أَجِدَ مَقَاماً لِلرَّبِّ مَسْكَناً لِعَزِيزِ يَعْقُوبَ].*** *(اقسمت الا ارتاح إلا بعد أن أريح الرب وافرحه . ورغم أن داود قد قدم الكثير فى موكب التابوت إلا أنه يشعر دوماً أن ما قدمه أقل كثيراً مما يريد أن يقدمه)* ***هُوَذَا قَدْ سَمِعْنَا بِهِ فِي أَفْرَاتَةَ. وَجَدْنَاهُ فِي حُقُولِ الْوَعْرِ. لِنَدْخُلْ إِلَى مَسَاكِنِهِ. لِنَسْجُدْ عِنْدَ مَوْطِئِ قَدَمَيْهِ.*** *(أفراتا هى المنطقة التي تقع بها بيت لحم – مسقط رأس داود – والوعر هو الغابات التي كان يهرب فيها من مطاردة شاول، أي انني فى كل ما سبق من عمري وأنا أفرح بتسبيحك ، سواء كنت راعياً للغنم أو هارباً مطارداً من شاول أو ملكاً على أكبر عروش المنطقة فلن أكف أبداً عن تسبيحك.)*

قُمْ يَا رَبُّ إِلَى رَاحَتِكَ أَنْتَ وَتَابُوتُ عِزِّكَ. كَهَنَتُكَ يَلْبَسُونَ الْبِرَّ وَأَتْقِيَاؤُكَ يَهْتِفُونَ.

(وهو الهتاف الذي كان يهتف به الشعب أيام موسى عندما كانوا يرتحلون فيتحرك التابوت أولاً ويهتفون له بما يعني أن الرب يقوم ليقود الشعب في طريقهم إلى دخول أرض الموعد – أو بالمعنى الروحي دخول الملكوت الأبدي)

مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِكَ لاَ تَرُدَّ وَجْهَ مَسِيحِكَ. *(من أجل ضعفي لا ترفض أن أبني لك بيتاً)*

أَقْسَمَ الرَّبُّ لِدَاوُدَ بِالْحَقِّ وَلاَ يَرْجِعُ عَنْهُ: [مِنْ ثَمَرَةِ بَطْنِكَ أَجْعَلُ عَلَى كُرْسِيِّكَ. إِنْ حَفِظَ بَنُوكَ عَهْدِي وَشَهَادَاتِي الَّتِي أُعَلِّمُهُمْ إِيَّاهَا فَبَنُوهُمْ أَيْضاً إِلَى الأَبَدِ يَجْلِسُونَ عَلَى

كُرْسِيَّكَ]. *(ويرد الرب فى استجابة فورية تفيض بالحب بوعد أعظم مما طلبه داود ، فكل من يتعلم التسبيح ويحفظ عهود الرب سيجلس على عرش فى الملكوت)*

لأَنَّ الرَّبَّ قَدِ اخْتَارَ صِهْيَوْنَ. اشْتَهَاهَا مَسْكَناً لَهُ: [هَذِهِ هِيَ رَاحَتِي إِلَى الأَبَدِ. *(القلب المُسَبح)* ***هَهُنَا أَسْكُنُ لأَنِّي اشْتَهَيْتُهَا. طَعَامَهَا أُبَارِكُ بَرَكَةً. مَسَاكِينَهَا أُشْبِعُ خُبْزاً. كَهَنَتَهَا أُلْبِسُ خَلاَصاً وَأَتْقِيَاؤُهَا يَهْتِفُونَ هُتَافاً. هُنَاكَ أُنْبِتُ قَرْناً لِدَاوُدَ. رَتَّبْتُ سِرَاجاً لِمَسِيحِي. أَعْدَاءَهُ أُلْبِسُ خِزْياً وَعَلَيْهِ يُزْهِرُ إِكْلِيلُهُ].***

هذا الجزء الأخير من المزمور كله نبوات عن المسيح الذي أشبع الجموع بالخمس خبزات، ورتب كهنوت العهد الجديد الذي يعطي الخلاص للشعب من خلال الأسرار، أما قرن داود فهو رمز الخلاص – حيث كان المذبح به قرون يلجأ إليها القاتل الذي يرتكب جريمة قتل غير عمد، أو المتهم البريء طلباً للحماية ؛ فلا يتعرض للأذى . لذا فقرن الخلاص الذي ننجو إذا تمسكنا به هو السيد المسيـــــح مخلصنا وفادينا .

أما السراج الذي ينير الطريق قبل مجيء السيد المسيح فهو يوحنا المعمدان وقد أكد يوحنا الحبيب هذا المعنى فى إنجيله." **كَانَ هُوَ السِّرَاجَ الْمُوقَدَ الْمُنِيرَ وَأَنْتُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَبْتَهِجُوا بِنُورِهِ سَاعَةً."** (يو ٥ : ٣٥)

الرب يكلم ناثان النبي ويرشده لما يجب أن يقوله لداود

وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ كَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى نَاثَانَ:

╬ **«اذْهَبْ وَقُلْ لِعَبْدِي دَاوُدَ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: أَأَنْتَ تَبْنِي لِي بَيْتاً لِسُكْنَايَ؟**

لأَنِّي لَمْ أَسْكُنْ فِي بَيْتٍ مُنْذُ يَوْمَ أَصْعَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ، (عبر ٥٠٠ سنة تقريباً) **بَلْ كُنْتُ أَسِيرُ فِي خَيْمَةٍ وَفِي مَسْكَنٍ.**

فِي كُلِّ مَا سِرْتُ مَعَ جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، هَلْ قُلْتُ لأَحَدِ قُضَاةِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَمَرْتُهُمْ أَنْ يَرْعُوا شَعْبِي إِسْرَائِيلَ (جدعون أو شمشون مثلا) **: لِمَاذَا لَمْ تَبْنُوا لِي بَيْتاً مِنَ الأَرْزِ؟** (٢صم٧ : ٤-٧)

أمضى داود ليلة رائعة لم يغمض له فيها جفن ، فقد حصل على موافقة مبدئية من ناثان النبي على بناء الهيكل . والمال متوافر والرغبة متوقدة والحماس ملتهب ، كل شيء سيمضي بخطى سريعة . وأخذ الملك يتخيل ماذا سيكون شكل الهيكل من الداخل

ومن الخارج ولم تكن ساعات الليل كله كافية لتشبع شهوته المقدسة بكافة تفاصيلها .
ومن ناحية أخرى عاد ناثان إلى بيته شاكراً الإله العظيم القدوس لأنه أنعم على شعبه بملك له هذه الرغبات المقدسة وليس مثل شاول الذي احتقر صموئيل وقتل الكهنة .
ولم يشك ناثان للحظة واحدة أن الرب قد يكون له رأي مختلف .
ولكن فى هذه الليلة كلم الرب ناثان النبي ليصحح مشورته ويخبر داود أن الرب له رأي آخر . وقد وقف المفسرون طويلاً أمام هذه الفقرة واختلفوا فى معناها.
فمنهم من رأى أن الرب قد استاء من رغبة داود ووجد فيها نوعاً من الكبرياء والاستعلاء فسارع بالحديث إلى ناثان النبي حتى يمنعه ويرده إلى تواضعه .
ومنهم من رأى أن الرب قد سُر جداً بهذه الرغبة المقدسة التي لمس فيها تواضع هذا القلب وصدقه. كفرح أب يرى ابنه الصغير يفتح حصالته ويخرج منها جنيهات قليلة كي يبني بها قصراً لأبيه. فيكون رد الأب الصالح أنه لم يأتِ بعد الوقت المناسب كي يرد الأبناء جميل الأب . لأنهم ما زالوا فى احتياج أن يقدم هو لهم المزيد والمزيد .
ويؤكد الله على أنه لم يرغب أبداً فى بناء هيكل له بدليل أنه لم يطلب هذا الطلب من القادة الذين سبقوه فى عصر القضاة ونحن نميل للأخذ بهذا الرأي لأن روح الكبرياء لا يبدو لها أي أثر في حوار داود .
تأمل روحي مفهوم الخيمة : كان الله حريصاً على أن يوضع تابوت العهد فى خيمة بسيطة وليس في هيكل فخيم، فالخيمة لها غرض قديم فى التدبير الإلهي منذ أيام إبراهيم وبنيه ، لكي يدرك الشعب أن كل ما على الأرض ما هو إلا مجرد خيمة يسهل فكها وخلعها فى أي وقت ؛ الثروة والمال ليست إلا خيمة ، الجسد نفسه مجرد خيمة سنخلعها متى حان وقت الانحلال ، بيوتنا ومدننا مجرد خيمة ستزول فى لحظات ، بل إن الكرة الأرضية بكل حضاراتها هي مجرد خيمة سيأتي عليها أوان تذوب فيه عناصرها وتتحلل . لذا يقول بولس
الرسول : **"لأَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ نُقِضَ بَيْتُ خَيْمَتِنَا الأَرْضِيُّ، فَلَنَا فِي السَّمَاوَاتِ بِنَاءٌ مِنَ اللهِ، بَيْتٌ غَيْرُ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، أَبَدِيٌّ."** (٢كو٥ :١)

ولكـن مـسكن الله الحقيقـي لـيس فـى خيمـة ولا مـسكن ولا فـى مبنـى مـن أي نـوع لأن عرشـه الحقيقـي هنـاك فـي الـسماء ومـا الأرض إلا مـوطئ لقدميـه ، والمـسكن الوحيـد الذي يفرح به هنا على الأرض هو القلب الطاهر النقي المستعد لاستقباله .

ورغم أن الله لا يحتاج ولا يخطط أن يكون له هيكل مشيد إلا أن يُقَدّر هذه المشاعر المقدسة التي يفيض بها قلب داود وسيعطي شرف بنـاء الهيكل لابنه سليمان . كـأب لا يحتاج الهدية التي يقترحها الأبناء له ولكنه يرحب بها ويقبلها تقديراً لمحبة أبنائه .

وقد أدرك إسطفانوس هذه الحقيقة واستشهد بها وهو يشرح لليهود خطة التدبير الإلـهي في عظته الأخيرة قبل رجمه مباشرة .فقال:

«وَأَمَّا خَيْمَةُ الشَّهَادَةِ فَكَانَتْ مَعَ آبَائِنَا فِي الْبَرِّيَّةِ كَمَا أَمَرَ الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى (الله) **أَنْ يَعْمَلَهَا عَلَى الْمِثَالِ الَّذِي كَانَ قَدْ رَآهُ ، الَّتِي أَدْخَلَهَا أَيْضاً آبَاؤُنَا إِذْ تَخَلَّفُوا عَلَيْهَا** (اعتنوا بها على التوالي) **مَعَ يَشُوعَ فِي مُلْكِ الأُمَمِ الَّذِينَ طَرَدَهُمُ اللهُ مِنْ وَجْهِ آبَائِنَا إِلَى أَيَّامِ دَاوُدَ الَّذِي وَجَدَ نِعْمَةً أَمَامَ اللهِ وَالْتَمَسَ أَنْ يَجِدَ مَسْكَناً لإِلَهِ يَعْقُوبَ.** (طلب داود أن يبني الهيكل) **وَلَكِنَّ سُلَيْمَانَ بَنَى لَهُ بَيْتاً. لَكِنَّ الْعَلِيَّ** (الله) **لاَ يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلَ مَصْنُوعَةٍ بِالأَيَادِي كَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ: السَّمَاءُ كُرْسِيٌّ لِي وَالأَرْضُ مَوْطِئٌ لِقَدَمَيَّ. أَيَّ بَيْتٍ تَبْنُونَ لِي يَقُولُ الرَّبُّ وَأَيٌّ هُوَ مَكَانُ رَاحَتِي؟ أَلَيْسَتْ يَدِي صَنَعَتْ هَذِهِ الأَشْيَاءَ كُلَّهَا؟** (أع ٧ : ٤٤- ٥٠)

الرب يعد داود بالمزيد من البركات

وَالآنَ فَهَكَذَا تَقُولُ لِعَبْدِي دَاوُدَ: هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: أَنَا أَخَذْتُكَ مِنَ الْمَرْبَضِ (مكان الجلوس) **مِنْ وَرَاءِ الْغَنَمِ لِتَكُونَ رَئِيساً عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ. وَكُنْتُ مَعَكَ حَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ، وَقَرَضْتُ** (أهلكت) **جَمِيعَ أَعْدَائِكَ مِنْ أَمَامِكَ، وَعَمِلْتُ لَكَ اسْماً عَظِيماً كَاسْمِ الْعُظَمَاءِ الَّذِينَ فِي الأَرْضِ.** (جعلتك مشهوراً) **وَعَيَّنْتُ مَكَاناً لِشَعْبِي إِسْرَائِيلَ وَغَرَسْتُهُ، فَسَكَنَ فِي مَكَانِهِ،**(أعطيته هذه الأرض) **وَلاَ يَضْطَرِبُ بَعْدُ وَلاَ يَعُودُ بَنُو الإِثْمِ يُذَلِّلُونَهُ كَمَا فِي الأَوَّلِ وَمُنْذُ يَوْمَ أَقَمْتُ فِيهِ قُضَاةً عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ. وَقَدْ أَرَحْتُكَ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِكَ.**

وَالرَّبُّ يُخْبِرُكَ أَنَّ الرَّبَّ يَصْنَعُ لَكَ بَيْتاً. (أنا الذي أعد لك بيتاً أبدياً فى السماء)

مَتَى كَمِلَتْ أَيَّامُكَ وَاضْطَجَعْتَ مَعَ آبَائِكَ (بعد وفاتك) **أُقِيمُ بَعْدَكَ نَسْلَكَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ وَأُثَبِّتُ مَمْلَكَتَهُ.** (سليمان) **هُوَ يَبْنِي بَيْتاً لاِسْمِي، وَأَنَا أُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى الأَبَدِ.** (حرفيا سليمان ولكنه ملك مؤقت وليس أبدياً ، لذا فالمعنى يشير إلى مُلك السيد المسيح) **أَنَا أَكُونُ لَهُ أَباً وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْناً** (ابن داود هو ابن الله). **إِنْ تَعَوَّجَ أُؤَدِّبْهُ بِقَضِيبِ النَّاسِ وَبِضَرَبَاتِ بَنِي آدَمَ. وَلَكِنَّ رَحْمَتِي لاَ تُنْزَعُ مِنْهُ كَمَا نَزَعْتُهَا مِنْ شَاوُلَ الَّذِي أَزَلْتُهُ مِنْ أَمَامِكَ.**(هنا الكلام عن سليمان وليس عن السيد المسيح) **وَيَأْمَنُ بَيْتُكَ وَمَمْلَكَتُكَ إِلَى الأَبَدِ أَمَامَكَ. كُرْسِيُّكَ يَكُونُ ثَابِتاً إِلَى الأَبَدِ** (ملكوت المسيح) ». **فَحَسَبَ جَمِيعِ هَذَا الْكَلاَمِ وَحَسَبَ كُلِّ هَذِهِ الرُّؤْيَا كَذَلِكَ كَلَّمَ نَاثَانُ دَاوُدَ.** (٢صم٧ :٨-١٧)

وكانت كلمات الرب على لسان ناثان واضحة ، تحمل الرفض أو بمعنى أدق التأجيل. ولكنها كانت مغلفة برقة وعذوبة وباقة من البركات والوعود الكفيلة بمنع الإحباط عن داود.

لماذا رفض الرب أن يمنح داود شرف بناء الهيكل ؟

فرح داود كثيراً بوعود الرب وشكره عليها كثيراً،ولكنه بالقطع تساءل لماذا يا ربي؟ وألح على الرب مراراً ليشرح له حكمته فى التأجيل. ولم يحصل على إجابة سريعة، وإن كان الرب قد أوضح له أحد الأسباب قبيل نهاية حياته ، لأن الرب رأى أن شرحها لداود فى هذه المرحلة المبكرة سيكون له آثار سلبية فأجل شرح السبب حتى يحين الوقت المناسب . وهو الأمر الذي يحكيه داود فى أواخر أيامه فيقول :

وَوَقَفَ دَاوُدُ الْمَلِكُ وَقَالَ: إِسْمَعُونِي يَا إِخْوَتِي وَشَعْبِي. كَانَ فِي قَلْبِي أَنْ أَبْنِيَ بَيْتَ قَرَارٍ (استقرار) **لِتَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ وَلِمَوْطِئِ قَدَمَيْ إِلَهِنَا، وَقَدْ هَيَّأْتُ لِلْبِنَاءِ. وَلَكِنَّ اللَّهَ قَالَ لِي: "لاَ تَبْنِ بَيْتاً لاِسْمِي لأَنَّكَ أَنْتَ رَجُلُ حُرُوبٍ وَقَدْ سَفَكْتَ دَماً."**(١أخ ٢٨:٢-٣)

إذاً فالحرمان من هذا الشرف به أيضاً نوع من العتاب والعقاب . لأن اليدين اللتين تلوثتا بدماء بريئة فى حروب لم يأمر بها الرب لا يصح أن تنالا هذا الشرف .

والحقيقة أن بعض الحروب كانت ضد إرادة الله خاصة التى قام بها فى صقلغ وقت هربه من شاول حيث كان يبيد قرى بأكملها ويدعي كذبا أمام أخيش أنه كان يهاجم قرى إسرائيل .

ولكن فى النهاية فقد امتدح الرب هذه الرغبة المقدسة التى سيطرت على قلب داود ويظهر هذا من حديث سليمان ابنه بعد سنين طويلة إذ يخبرنا قائلاً

" وَكَانَ فِي قَلْبِ دَاوُدَ أَبِي أَنْ يَبْنِيَ بَيْتاً لاِسْمِ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ فَقَالَ الرَّبُّ لِدَاوُدَ أَبِي: مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ كَانَ فِي قَلْبِكَ أَنْ تَبْنِيَ بَيْتاً لاسْمِي قَدْ أَحْسَنْتَ بِكَوْنِ ذَلِكَ فِي قَلْبِكَ. إِلاَّ أَنَّكَ أَنْتَ لاَ تَبْنِي الْبَيْتَ بَلِ ابْنُكَ الْخَارِجُ مِنْ صُلْبِكَ هُوَ يَبْنِي الْبَيْتَ لاِسْمِي."(٢أخ٦ :٧-٩)

داود يفتح قلبه أمام الله

فَدَخَلَ الْمَلِكُ دَاوُدُ وَجَلَسَ أَمَامَ الرَّبِّ (أي فى داخل الخيمة حيث يرى التابوت)

وَقَالَ: «مَنْ أَنَا يَا سَيِّدِي الرَّبَّ، وَمَا هُوَ بَيْتِي حَتَّى أَوْصَلْتَنِي إِلَى هَهُنَا؟

(أنا كنت مجرد نكرة بين أخوتي وبيت أبي بيت متواضع جداً في سبط يهوذا)

وَقَلَّ هَذَا أَيْضاً فِي عَيْنَيْكَ يَا سَيِّدِي الرَّبَّ فَتَكَلَّمْتَ أَيْضاً مِنْ جِهَةِ بَيْتِ عَبْدِكَ إِلَى زَمَانٍ طَوِيلٍ. (ولم تكتفِ بكل هذا بل تعدني بالمزيد : خلقتني وفديتني وتعد لي الأبدية)

وَهَذِهِ عَادَةُ الإِنْسَانِ يَا سَيِّدِي الرَّبَّ.(الإنسان مهما أعطي الله يجد أنه يأخذ أضعاف ما يعطي) **وَبِمَاذَا يَعُودُ دَاوُدُ يُكَلِّمُكَ وَأَنْتَ قَدْ عَرَفْتَ عَبْدَكَ يَا سَيِّدِي الرَّبَّ؟ فَمِنْ أَجْلِ كَلِمَتِكَ وَحَسَبَ قَلْبِكَ فَعَلْتَ هَذِهِ الْعَظَائِمَ كُلَّهَا لِتُعَرِّفَ عَبْدَكَ. لِذَلِكَ قَدْ عَظُمْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ الإِلَهُ، لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُكَ وَلَيْسَ إِلَهٌ غَيْرَكَ حَسَبَ كُلِّ مَا سَمِعْنَاهُ بِآذَانِنَا .** (واضح أن داود دخل هنا إلى عمق التسبيح)

وَأَيَّةُ أُمَّةٍ عَلَى الأَرْضِ مِثْلُ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ الَّذِي سَارَ اللَّهُ لِيَفْتَدِيَهُ لِنَفْسِهِ شَعْباً،

(امتلأ داود بالروح فيبدو وكأنه قد فهم خطة الفداء وأن الرب بنفسه سيفدي شعبه)

وَيَجْعَلَ لَهُ اسْماً، وَيَعْمَلَ لَكُمُ الْعَظَائِمَ وَالتَّخَاوِيفَ لأَرْضِكَ أَمَامَ شَعْبِكَ الَّذِي افْتَدَيْتَهُ لِنَفْسِكَ مِنْ مِصْرَ مِنَ الشُّعُوبِ وَآلِهَتِهِمْ. وَثَبَّتَّ شَعْبَكَ إِسْرَائِيلَ شَعْباً لِنَفْسِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَأَنْتَ يَا رَبُّ صِرْتَ لَهُمْ إِلَهاً. وَالآنَ أَيُّهَا الرَّبُّ الإِلَهُ أَقِمْ إِلَى الأَبَدِ الْكَلاَمَ الَّذِي تَكَلَّمْتَ بِهِ عَنْ عَبْدِكَ وَعَنْ بَيْتِهِ، وَافْعَلْ كَمَا نَطَقْتَ. (هنا يبدو تمسك داود بوعد الله)

وَلْيَتَعَظَّمِ اسْمُكَ إِلَى الأَبَدِ، فَيُقَالَ: رَبُّ الْجُنُودِ إِلَهٌ عَلَى إِسْرَائِيلَ. وَلْيَكُنْ بَيْتُ عَبْدِكَ دَاوُدَ ثَابِتاً أَمَامَكَ. لأَنَّكَ أَنْتَ يَا رَبَّ الْجُنُودِ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ قَدْ أَعْلَنْتَ لِعَبْدِكَ قَائِلاً إِنِّي أَبْنِي لَكَ بَيْتاً. لِذَلِكَ وَجَدَ عَبْدُكَ فِي قَلْبِهِ أَنْ يُصَلِّيَ لَكَ هَذِهِ الصَّلاَةَ.

(لأنك تعدنا بالملكوت يا رب فنحن لا نستطيع أن نكف عن الصلاة والتسبيح)

وَالآنَ يَا سَيِّدِي الرَّبُّ أَنْتَ هُوَ اللَّهُ وَكَلاَمُكَ هُوَ حَقٌّ، وَقَدْ كَلَّمْتَ عَبْدَكَ بِهَذَا الْخَيْرِ. فَالآنَ ارْتَضِ وَبَارِكْ بَيْتَ عَبْدِكَ لِيَكُونَ إِلَى الأَبَدِ أَمَامَكَ، لأَنَّكَ أَنْتَ يَا سَيِّدِي الرَّبُّ قَدْ تَكَلَّمْتَ. فَلْيُبَارَكْ بَيْتُ عَبْدِكَ بِبَرَكَتِكَ إِلَى الأَبَدِ». (سأعيش حتى المنتهى فى انتظار تحقيق وعودك) (٢صم٧ :١٨-٢٩)

سلسلة جديدة من الحروب :

حقق داود بعد ذلك عدة انتصارات على الفلسطينيين والموآبيين والأراميين والأدوميين وكان القاسم المشترك فى هذه الحروب هو ما ذكره الوحي المقدس" **وَكَانَ الرَّبُّ يُخَلِّصُ دَاوُدَ حَيْثُمَا تَوَجَّهَ. وَكَانَ دَاوُدُ يُجْرِي قَضَاءً وَعَدْلاً لِكُلِّ شَعْبِهِ** " (٢صم٨ :١٤ - ١٥) أي أن فضل القوة يعود أولاً وأخيراً لله وليس لداود ولا ليوآب.

أما بالنسبة للعمونيين فقد كان ناحاش ملكهم صديقاً لداود ، نظراً لعداء كليهما لشاول .

وبعد موت ناحاش أرسل داود إلى ابنه حانون وفدا للتعزية. إلا أن حانون أساء التصرف واتهمهم بالتجسس فأهان الوفد بحماقة شديدة ومزق ملابسهم وحلق نصف لحية كل منهم فنشبت الحرب بين البلدين وانتصر جيش داود كالعادة .

الوفاء ليوناثان في شخص ابنه مفيبوشث

وَكَانَ لِيُونَاثَانَ بْنِ شَاوُلَ ابْنٌ مَضْرُوبُ الرِّجْلَيْنِ، كَانَ ابْنَ خَمْسِ سِنِينٍ عِنْدَ مَجِيءِ خَبَرِ شَاوُلَ وَيُونَاثَانَ مِنْ يَزْرَعِيلَ (خبر موتهما فى الحرب) ، **فَحَمَلَتْهُ مُرَبِّيَتُهُ وَهَرَبَتْ. وَلَمَّا كَانَتْ مُسْرِعَةً لِتَهْرُبَ وَقَعَ وَصَارَ أَعْرَجَ. وَاسْمُهُ مَفِيبُوشَثُ** (٢صم ٤:٤)

+ **وَقَالَ دَاوُدُ: «هَلْ يُوجَدُ بَعْدُ أَحَدٌ قَدْ بَقِيَ مِنْ بَيْتِ شَاوُلَ فَأَصْنَعَ مَعَهُ مَعْرُوفاً مِنْ أَجْلِ يُونَاثَانَ؟»** ، **وَكَانَ لِبَيْتِ شَاوُلَ عَبْدٌ اسْمُهُ صِيبَا، فَاسْتَدْعُوهُ إِلَى دَاوُدَ،**

+ **وَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: «أَأَنْتَ صِيبَا؟»**

▫ **فَقَالَ: «عَبْدُكَ».**

+ **فَقَالَ الْمَلِكُ: «أَلاَ يُوجَدُ بَعْدُ أَحَدٌ لِبَيْتِ شَاوُلَ فَأَصْنَعَ مَعَهُ إِحْسَانَ اللَّهِ؟»**

▫ **فَقَالَ صِيبَا لِلْمَلِكِ: «بَعْدُ ابْنٌ لِيُونَاثَانَ أَعْرَجُ الرِّجْلَيْنِ».**

+ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: «أَيْنَ هُوَ؟»

▫ فَقَالَ صِيبَا لِلْمَلِكِ: «هُوَذَا هُوَ فِي بَيْتِ مَاكِيرَ بْنِ عَمِّيئِيلَ فِي لُودَبَارَ»

فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ دَاوُدُ وَأَخَذَهُ مِنْ بَيْتِ مَاكِيرَ بْنِ عَمِّيئِيلَ مِنْ لُودَبَارَ.

فَجَاءَ مَفِيبُوشَثُ بْنُ يُونَاثَانَ بْنِ شَاوُلَ إِلَى دَاوُدَ وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَسَجَدَ.

+ فَقَالَ دَاوُدُ: «يَا مَفِيبُوشَثُ».

فَقَالَ: «هَئَنَذَا عَبْدُكَ».

+ فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: «لاَ تَخَفْ. فَإِنِّي لأَعْمَلَنَّ مَعَكَ مَعْرُوفاً مِنْ أَجْلِ يُونَاثَانَ أَبِيكَ، وَأَرُدُّ لَكَ كُلَّ حُقُولِ شَاوُلَ أَبِيكَ، وَأَنْتَ تَأْكُلُ خُبْزاً عَلَى مَائِدَتِي دَائِماً».

فَسَجَدَ وَقَالَ: «مَنْ هُوَ عَبْدُكَ حَتَّى تَلْتَفِتَ إِلَى كَلْبٍ مَيِّتٍ مِثْلِي؟».

+ وَدَعَا الْمَلِكُ صِيبَا غُلاَمَ شَاوُلَ وَقَالَ لَهُ: «كُلُّ مَا كَانَ لِشَاوُلَ وَلِكُلِّ بَيْتِهِ قَدْ دَفَعْتُهُ لاِبْنِ سَيِّدِكَ. فَتَشْتَغِلُ لَهُ فِي الأَرْضِ أَنْتَ وَبَنُوكَ وَعَبِيدُكَ، وَتَسْتَغِلُّ لِيَكُونَ لاِبْنِ سَيِّدِكَ خُبْزٌ لِيَأْكُلَ. وَمَفِيبُوشَثُ ابْنُ سَيِّدِكَ يَأْكُلُ دَائِماً خُبْزاً عَلَى مَائِدَتِي».

فَسَكَنَ مَفِيبُوشَثُ فِي أُورُشَلِيمَ لأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ دَائِماً عَلَى مَائِدَةِ الْمَلِكِ. وَكَانَ أَعْرَجَ مِنْ رِجْلَيْهِ كِلْتَيْهِمَا. (٢صم٩ : ١- ١٠و ١٣)

تعب الكثيرون فى شرح معنى كلمة " النعمة" و احتاروا في وضع تعريف واضح لها ولكننا عندما نتأمل قصة داود مع مفيبوشث سندرك المعنى العملي للنعمة .

لم يكن لمفيبوشث أي مزايا تجعله محبوباً أو مكرماً . لم يكن له موقع جذاب في الحياة الاجتماعية أوالسياسية ، عاش طفولة بائسة إذ فقد أباه يوناثان و جدّه شاول في يوم واحد إثر موتهما فى الحرب وكان فى الخامسة من عمره حينذاك، وزاد على ذلك سقوطه من مربيته أثناء هربها فصار أعرج الرجلين ، وظل حفيد الملك السابق ينعم بشيء من الرعاية لمدة سبع سنوات أثناء حكم إيشبوشث عمه ومن ورائه أبنير قائد الجيش ولكن للأسف فقد قُـتلا غدراً وسقط بيت شاول . ولم يعد لمفيبوشث أي سند في هذه الحياة ، وفقد أملاك أسرته - رغم كونه الوريث الوحيد لعرش شاول - وتباعد عنه القريب قبل الغريب ، ولا عجب فالاقتراب منه ربما يعتبر مساندة لأسرة الملك

السابق أو تحريض على قلب نظام الحكم .... إلى آخر تلك التهم السياسية التي يخشى الناس أن تلفق لهم ظلماً .

لذا آثر الجميع السلامة وابتعدوا عنه ، وانزوى الشاب فى منطقة جلعاد التى تبعد عشرات الأميال عن أورشليم ، وكم كان يتمنى أن يظل هناك منسياً لأنه طالما سمع في طفولته من يحذره من انتقام داود المرتقب .

وهناك في بلدة تسمى لودبار تزوج مفيبوشث وأنجب . وكان عمره حوالي خمسة وعشرين عاماً عندما فاجأه عبده صيبا أن داود الملك يبحث عنه ، فتزاحمت الهواجس والكوابيس عليه لأن داود حتماً يبحث عمن بقي من أسرة شاول لكي ينتقم منه جزاءً عادلاً عن كل الذل الذي تجرعه خلال عشر سنوات من المطاردة وفي نفس الوقت يؤَمّن كرسيه بالتخلص من آخر ورثة عرش شاول ، ولهذا ذهب مفيبوشث للمثول أمام شاول مرتجفاً مرتعداً وقد سهر ليلته يعد فيها دفاعه عن نفسه لعله يستطيع أن يسترحم داود كي يُبْـقي على حياته .

دخل مفيبوشث على داود وسجد أمامه سجود الاحترام والتوقير ليؤكد له صدق نواياه، وفى اللحظة التي استعد فيها ليسمع عريضة الاتهام خرجت كلمات داود معزية مشجعة مطمئنة ، وأكد له أنه استدعاه كي يرد له أملاكه و يعطيه حق الإقامة فى أورشليم والجلوس على مائدة الملك يومياً كأنه واحد من أفراد أسرته ، ولم يستطع مفيبوشث أن يصدق أذنيه ولا أن يحبس دموع الفرح فبادر بالسجود ثانية أمام داود ونسى تماما كلمات الدفاع التي سهر يجهزها وقال بكل صدق :

«مَنْ هُوَ عَبْدُكَ حَتَّى تَلْتَفِتَ إِلَى كَلْبٍ مَيِّتٍ مِثْلِي؟»».

ورنت هذه الكلمات في أذني داود رنيناً استدعى ذكريات الماضي فها هو حفيد شاول يخاطبه الآن بنفس الكلمات التى سبق أن قالها لشاول على باب المغارة منذ ربع قرن وهو يمسك بيده دليل صدقه ومحبته - طرف الجبة المقطوع - لعل وعسى أن يكف شاول عن مطاردته ولكن محاولاته كانت تذهب أدراج الرياح مرة تلو الأخرى .

ولكن داود لم يكن كشاول فقد أكد له أنه سيعيد له كل أملاكه المفقودة وأنه سعيد أن يضم إلى حضنه ابن يوناثان المحبوب ولعله قص عليه قصص العهود الثلاثة التي

قطعها مع والده ، وكيف أنقذ يوناثان حياته أكثر من مرة ولعله أنشد أمامه نشيد القوس الذي رثى فيه شاول ويوناثان ، وبالقطع كان ذاك اليوم يوم ميلاد جديد لهذا الرجل مفيبوشث .

تأمل روحي   ابن داود يبحث عن كل مفيبوشث

كثيرون مثل مفيبوشث يهربون من الله ويعتقدون أن الله إذا ما بحث عنهم فسيفعل ذلك لينتقم منهم ، وقد ملأ إبليس آذانهم بروايات عن الإله المنتقم الجبار فصاروا يختبئون في أبعد مكان من وجهه ، وبينما هم في تلك الحال يجدون ابن داود نازلاً من السماء باحثا عنهم وينادي كل منهم باسمه داعياً إياه - لا ليأكل من مائدته فقط - بل بالأحرى ليأكل من جسده ويشرب من دمه !! ويرد لهم كل المفقود من ممتلكاتهم – تماماً كما حدث مع الابن الضال - ولشدة كرم صاحب الدعوة يظن الكثيرون أنها وهم أو رمز. ولكونها مجاناً بلا مقابل يحتقرها البعض ويجعلونها فى آخر اهتماماتهم .

هل تتخيل أن مفيبوشث كان يمكنه أن يرفض دعوة داود أو يـَتـَمَنـّع أو يؤجل ؟

بالقطع لا ، أما نحن فنفعل كل هذا وأكثر ... سامحنا يا رب واغفر لنا ضعفنا وجهلنا .

يقول القديس مقاريوس متأملا هذا الحب المدهش " الرب مثل ملك وجد طفلة فقيرة ترتدي خرقا بالية ،فلم يشمئز منها بل أخذها وغسلها من قذارتها وزينها بملابس جميلة مبهجة ثم أجلسها على مائدته.. لقد وجد الرب النفس مجروحة ومضروبة فداوى جراحها وأزال عنها عار الخطية وألبسها الملابس الملوكية السماوية المجيدة ووضع تاجاً على رأسها وجعلها شريكة فى المائدة الملوكية للفرح والبهجة"

والآن لنتأمل معاً هذه الآية التى ختم بها الوحي حديثه عن حب داود

"كَانَ يَأْكُلُ دَائِماً عَلَى مَائِدَةِ الْمَلِكِ. وَكَانَ أَعْرَجَ مِنْ رِجْلَيْهِ كِلْتَيْهِمَا."

تأمل ما تعلنه هذه الكلمات : فوق المائدة ننعم بشبع كامل من يدي الملك وأسفل المائدة نخفي عجزاً كاملاً فى كلتا الرجلين .

نعم فالله يستر ضعفنا ويجلسنا على مائدته ليطعمنا من جسده ومن دمه.

والآن لم نعد فى حاجة لشرح معنى كلمة النعمة ، تلك العطية المجانية التي نحن بها مُخَلّصون والتي تأتي بالعاجز الأعرج المنسي لتجعله ابنا ووارثاً للملكوت الأبدي .

التسبيح خلال هذه المرحلة من حياة داود

تعتبر هذه المرحلة من حياة داود أكثر مراحل تسبيح المحبة الخالصة لا لينقذه من ضيق ولا طمعاً في مكافأة ولكنه يناجي الله مناجاة العروس المُتَيّمة بحب عريسها السماوي . وكانت معظم كلمات التسبيح عبارة عن أبيات من الغَزَل صادرة من قلب لا يستطيع أن يكتم ما في صدره من حب صادق فيفيض بها لسانه في تلقائية وعذوبة.

وهذه النماذج من تسبيح داود عند نقل التابوت تبرز لنا طبيعة هذا الحب :

إحْمَدُوا الرَّبَّ. ادْعُوا بِاسْمِهِ. أَخْبِرُوا فِي الشُّعُوبِ بِأَعْمَالِهِ.

غَنُّوا لَهُ. تَرَنَّمُوا لَهُ. تَحَادَثُوا بِكُلِّ عَجَائِبِهِ. افْتَخِرُوا بِاسْمِ قُدْسِهِ.

تَفْرَحُ قُلُوبُ الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الرَّبَّ. اطْلُبُوا الرَّبَّ وَعِزَّهُ. الْتَمِسُوا وَجْهَهُ دَائِماً.

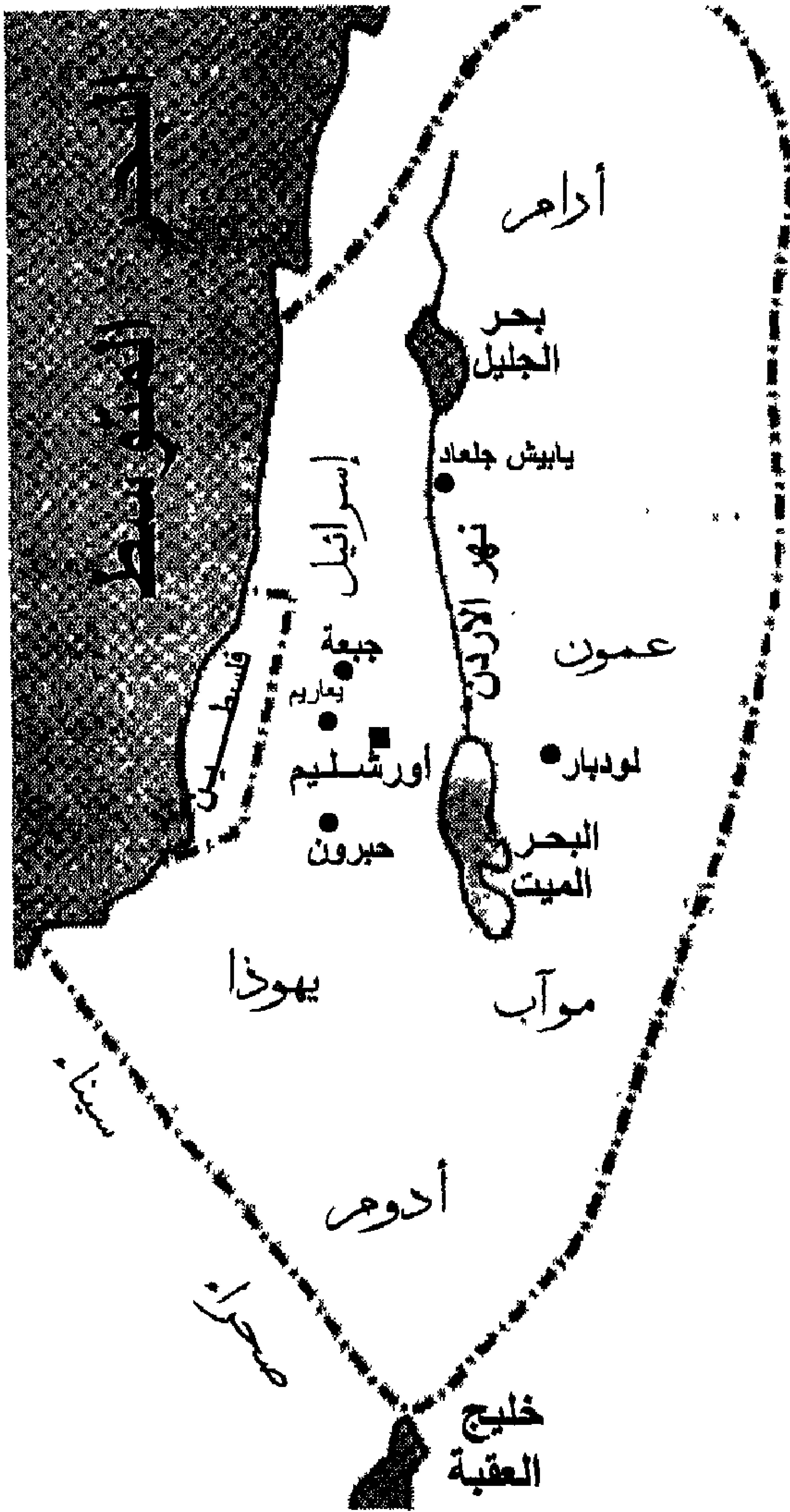
غَنُّوا لِلرَّبِّ يَا كُلَّ الأَرْضِ. بَشِّرُوا مِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ بِخَلاَصِهِ.

حَدِّثُوا فِي الأُمَمِ بِمَجْدِهِ وَفِي كُلِّ الشُّعُوبِ بِعَجَائِبِهِ.

الْجَلاَلُ وَالْبَهَاءُ أَمَامَهُ. الْعِزَّةُ وَالْبَهْجَةُ فِي مَكَانِهِ.

لِتَفْرَحِ السَّمَاوَاتُ وَتَبْتَهِجِ الأَرْضُ وَيَقُولُوا فِي الأُمَمِ الرَّبُّ قَدْ مَلَكَ.

هذا النمط من التسبيح يفيض بالفرح والبهجة ويود المرنم أن يشرك معه كل الأمم بل وكل الخليقة حتى ينهلوا معه من نبع الحب الإلهي .



خريطة توضح الأماكن الهامة خلال هذه الفترة من حياة داود

خلال هذه الفترة تُوِّج داود ملكاً على سبط يهوذا فى حبرون بينما كان إيشبوشث ملكاً على سائر أسباط إسرائيل فى الشمال وبعد مقتل إيشبوشث وتوحيد المملكة أصبحت أورشليم هى العاصمة الجديدة التي أحضر إليها تابوت العهد من قرية يعاريم في الغرب وأتى بمفيبوشث من لودبار شرق البحر الميت ، وفى الشمال نجد يابيش جلعاد التى دفن أهلها شاول الملك ونرى أراضى أرام وعمون وموآب وأدوم التى انتصر داود على شعوبها.

المرحلة الرابعة من حياة داود

تسبيح التوبة

تدرج داود عبر مراحل التسبيح الثلاث السابقة : التسبيح مع الخليقة والتسبيح وسط التجارب وتسبيح المذبح . واجتاز داود كل مرحلة تلو الأخرى بتفوق باهر يتوقع معه القارئ أن يكون تسبيح المذبح هو المحطة الأخيرة فى حياة داود وأن تستمر معه حتى يستكملها فى السماء مع جوقة الملائكة .

ولو حدث ذلك لكانت حياة داود نموذجا للقديسين فقط . ولما وجد الخطاة لهم مكاناً ولا قدوة ، ولكن خطية داود البشعة ثم توبته الصادقة وعودته إلى حياة التسبيح بقوة أعظم ، كل هذا جعل من حياة داود ملحمة ضخمة يجد فيها كل شخص أروع قدوة صالحاً كان أم طالحاً

سقطة داود مع بثشبع

وَكَانَ عِنْدَ تَمَامِ السَّنَةِ فِي وَقْتِ خُرُوجِ الْمُلُوكِ (بداية الربيع) **أَنَّ دَاوُدَ أَرْسَلَ يُوآبَ وَعَبِيدَهُ مَعَهُ وَجَمِيعَ إِسْرَائِيلَ، فَأَخْرَبُوا بَنِي عَمُّونَ وَحَاصَرُوا رَبَّةَ** (مدينة عمَّان حالياً) . **وَأَمَّا دَاوُدُ فَأَقَامَ فِي أُورُشَلِيمَ. وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ.**
وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةَ الْمَنْظَرِ جِدًّا. فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَأَلَ عَنِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: «أَلَيْسَتْ هذِهِ بَثْشَبَعَ بِنْتَ أَلِيعَامَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ؟» (٢صم ١١ : ١-٣)

مضت سنوات وسنوات واستتب الحكم لداود وتعدى عمره نصف قرن وبدأت علامات الزمن ترسم خطوطها على ملامح الفتى الأشقر الحلو العينين فأخذ المشيب يتوغل بين خصلات شعره وبعض التجاعيد شقت طريقها على قسمات وجهه ، ولكن هذه التغيرات أضفت عليه المزيد من هيبة ووقار الشيوخ .

ومن ناحية أخرى انتصر داود على معظم أعدائه ، وهدأت وطأة الحروب مع الفلسطينيين ، وصارت مملكته أقوى ممالك المنطقة ووضع داود أنظمة إدارية محكمة تضمن له استقرار البلاد وحسن إدارتها .



ومضى الشتاء وبدأ ربيع جديد ، تفتحت فيه الزهور واخضرت جبال أورشليم وفاحت فيها رائحة الورود العطرة ، ولكن ربيع الأرض كان للأسف خريف الحياة الروحية لداود . فقد مرت شهور لم يكتب فيها مزموراً واحداً ، ومرت أسابيع لم يقف فيها للصلاة والتسبيح ، ولم يشعر أن ثمة خطر يتهدده ، ويثق أن عشرته الروحية الطويلة مع الرب تُؤَمِّن له مناعة ضد الهفوات الصغيرة و بالأحرى ضد الخطايا الكبيرة .

وبدأت جولة جديدة من الحرب مع بني عمون وكنت أيضاً بداية جولة جديدة للحرب بين داود وإبليس ، وكان العرف السائد أن الملك يخرج مع الجيش لأن وجوده يبث في جنوده الحماس ، وانتظر الجميع ملكهم المحبوب كسابق عهده إلا أن داود هذه المرة خذلهم دون عذر واضح وبقى فى أورشليم ، مكتفياً بإرسال تابوت العهد معهم كتأكيد على وجود الله وسطهم . وبالطبع كان يوآب المنتصر دوماً على رأس الجيش.

أما داود فكان في قصره يهب لجسده أطول فترة من الراحة والاستجمام ، وزاد من متعة الجسد عدم وجود أي التزام روحي يفسد عليه لذة الكسل التي لم يجربها طوال خمسين عاماً عاشها في جهاد روحي وجهاد عملي .

فى ذلك اليوم المشئوم استمتع داود بوجبة غذاء دسم ذهب بعدها إلى سريره لنوم الظهيرة ، ولكن نومه طال كثيراً فلم يستيقظ إلا قبيل المساء . وصعد إلى السطح

يتمشى على مهل ويمتع حواسه بالربيع البديع ، ومع آخر ضوء للشمس الغاربة لمح داود امرأة جاره تستحم فى حديقة منزلها ، وكانت المرأة - كما يصفها الكتاب المقدس – جميلة جداً فاستقرت عيناه عليها ، ونزل الملك من سطح منزله ولكن صورتها لم تفارق مخيلته ؛ فسأل عبيده وعرف أنها زوجة أوريا الحثي وهو واحد من أفضل المحاربين في جيش إسرائيل ، وأنه الآن مع يوآب يحارب بني عمون .

فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلاً وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِهَا. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا. وَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ: «إِنِّي حُبْلَى».

(٢صم ١١ : ٤-٥)

حاول داود أن يتشاغل بشئونه قليلاً ولكن صورة المرأة لم تفارق خياله ، فكر أن يجالس هذه أو تلك من زوجاته أو سراريه (الجواري الزوجات) ولكن إبليس كان ملحاً في حثه على طلب هذه المرأة بالذات ، فأوعز له الشيطان أن يدعوها ليتسامر معها في جلسة صداقة بريئة ليتعرف على جارته الحسناء التي شغلته شئون المملكة عن مجالستها أبداً.

وأرسل داود بعضاً من الخدم يخبرون المرأة أن جلالة الملك يريد رؤيتها ، ولم تكن دهشتها أقل من دهشة الخدم ، فالطلب غريب لأن الوقت مساء والزوج فى الحرب ، ولكن من يستطيع أن يرفض للملك طلباً وهو المشهور بقداسته و عدله .

وفى كلمات مقتضبة يقص علينا الكتاب المقدس ما حدث باختصار شديد ....

فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِهَا. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا.

ويوضح الوحي أن المرأة كانت مطهرة من طمثها أي أنها لم تكن حبلى من زوجها.

وأمضى داود ليلة حالكة الظلمة لا يصدق فيها ما حدث منه .

وكانت غاية أمنياته ألا تحمل المرأة منه ، ولكنه لم يجسر بالطبع أن يطلب هذه الطلبة من الرب كما اعتاد في مشاكل الماضي ، لأنه أية شركة بين النور والظلمة ؟.

وتأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ، فها هي المرأة في خلال أسابيع قليلة ترسل له بأسوأ رسالة كان يخشى أن يسمعها .... بتشبع حامل ، وحامل منه ... لأن زوجها مسافر منذ فترة.

ولبسامحني القارئ إذا توقفت طويلاً في هذه المحطة من حياة داود ، فالدروس والعِبَر أكبر وأكثر من أن نمر عليها سريعاً .

أولاً : لا يوجد من هو أكبر من الخطأ كلنا بدون استثناء معرضون للوقوع في أشر الخطايا ، خاصة من يثق أنه في مأمن من هذه التجارب ،" **لأَنَّهَا طَرَحَتْ كَثِيرِينَ جَرْحَى وَكُلُّ قَتْلاَهَا أَقْوِيَاءُ.**" (ام ٧ : ٢٦) وبغض النظر عن سبب هذه الثقة يجب أن نظل حريصين حتى آخر نسمة في حياتنا لأن إبليس خصمنا كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه ، وهو لا يكل ولا يمل فإذا كان إبليس قد انهزم على يد داود في جولات متعددة إلا أنه وجد اليوم ثغرة ونجح في التسلل منها لتوجيه ضربة قاسية لداود .

وبالمناسبة نذكر أن اثنين من أبطال الإيمان وأبطال الحرب وهما شمشون وداود ، كل منهما قتل أسداً بيديه العاريتين ولم تستطع مخالبه أو أنيابه الحادة أن تنال منهما ، ولكن كليهما صرعته الشهوة بمخالبها الناعمة الرقيقة ! ، فحتى إن كنت يا عزيزي القارئ قد قتلت أسداً بيديك – وأظن أنك لم تفعل - فاحذر ممن هو أخطر من الأسد .

"**إذاً من يظن أنه قائمٌ، فلينظر أن لا يسقط** " (١كو١٠:١٢)

يا أحبائي فلنخف من أنفسنا على أنفسنا . فالخوف من السقوط حافز قوي والخوف من فقدان الملكوت حافز أقوى ، ولنتذكر قول الكتاب " **فَلْنَخَفْ، أَنَّهُ مَعَ بَقَاءِ وَعْدٍ بِالدُّخُولِ إِلَى رَاحَتِهِ** (الملكوت) ، **يُرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّهُ قَدْ خَابَ مِنْهُ** (فشل) " (عب١:٤)

ثانياً : الشيطان فـتّـال حبال تخيل أنك تستخدم حبلاً متيناً في عمل هام ؛ كأن يربط مركبتك الصغيرة بالسفينة الضخمة التى تجرها ، وهذا الحبل به ألف فتلة ، وهو العدد الذي يضمن ألا ينقطع الحبل ، وبعد أيام تآكلت بضع فتل من الحبل ، ولكنه ما زال يعمل بكفاءة ، وبعد فترة تآكلت مجموعة أخرى ورغم ذلك لم ينقطع الحبل ، وكل يوم تنقطع فتلة واحدة من الحبل ، ولكن هل غياب فتلة واحدة هو الذي سيؤثر على هذا الحبل السميك ؟ حتى يأتي يوم وينقطع الحبل وتتعرض المركبة الصغيرة للضياع وسط البحر الواسع ، ويتساءل الجمع ماذا حدث للحبل القوي ، كيف ولماذا انقطع في هذا اليوم بالذات ؟

أخي الحبيب إن حياتك الروحية بكل أشكالها وطقوسها تشكل حبلاً قوياً سميكاً يدرك إبليس أنك تأبى أن تتركه ينقطع ، ولكنك فى نفس الوقت لا تمانع أن تتنازل عن "فتلة" واحدة من حين لآخر. فهل نصحو ونتمسك بقياسات الجودة التي لا تتنازل عن الألف فتلة أم نكرر أخطاء الماضي ونتنازل عن فتلة تلو الأخرى حتى تقع الواقعة .

ثالثاً : من أخطأ داود أم بتشبع ؟ لا جدال أن داود أخطأ وخطيته أعظم ولا يستطيع أي مكابر أن يجد له عذراً . ولكن هل نبرئ بتشبع تماماً ... لا أستطيع ، فلا أدري لماذا كانت تستحم في هذا الموضع المكشوف ... هل هو سوء تصرف ساذج منها ، أم أنها تعمدت لفت نظر الملك أثناء غياب زوجها فى الحرب . قد تكون بريئة ونيتها طيبة ... ولكن كما يقولون فإن الطريق إلى جهنم مفروش بالنوايا الطيبة . والمرأة بالذات يجب أن تكون حذرة جداً لئلا تعثر الآخرين بقصد أو دون قصد فالنتيجة النهائية لا يُعتـدّ فيها بحقيقة القصد والنية .

كما يؤخذ على بتشبع أنها لم تحاول أن تمنع داود ، حقاً كان داود ملكاً ولكنه فى تلك اللحظة بالذات كان ذنباً يجب زجره وربما لو فعلت ذلك لغيرت مجرى التاريخ .

رابعاً : العقل الفارغ معمل للشيطان حتى لو كانت وعكة ما هي التى عطلت داود عن الخروج للحرب فأين كانت مزاميره وصلواته وهو يتمشى على السطح ويترك لعينيه حق اشتهاء امرأة جاره ؟ وهل كان إبليس ينجح فى تجربته لو كان فى موقعه الطبيعى على الجبهة فى الحرب أو حتى لو كان منشغلاً بأعمال إدارية فى المملكة ؟

خامساً : أكاذيب إبليس لتسهيل الخطيئة يصف الكتاب المقدس إبليس أنه كذاب وأبو الكذاب، وهو يكرر أكاذيبه يومياً عبر الأجيال حتى أضحى الكثيرون يعتبرونها من المُسـلّمات ، وها هي بعض من تلك الأكاذيب التي تفندها قصة داود – الرجل الذي تخطى الخمسين عاماً - خاصة إذا قارناها مع قصة يوسف الصديق العفيف الشاب الصغير الذي كان دون العشرين عندما تعرض لإغراء الخطية .

يقول إبليس للشاب : أنت شاب أعزب تعيش وحيداً بعيداً عن أهلك ووطنك إذاً فمن الطبيعي أن تقع فى النجاسة ولكنك عندما تتزوج ستتوقف عن الخطيئة وتتوب.

ويقول للمتزوج : زوجتك لا تشبع احتياجاتك وهي المسئولة عن أفكار الشر التي تراودك ... آه لو كان تعدد الزوجات مباحاً لما واجهت هذا الصراع .

ويقول للشيخ الكهل : ها أنت قد أمضيت عمرك متمسكاً بطهارتك وعفتك فماذا جنيت ؟.. ألا تجرب لذة الفاكهة المسروقة قبل أن يسرقك العمر ؟

وإبليس يعلم أن الخطايا الجنسية مدخل للكثيرين ، قد ينجح من خلاله في التسلل إلى نفوسهم ولذا لا يتورع عن مهاجمة الجميع بهذا السلاح الفتاك ، أطفال وشيوخ رجال ونساء رهبان وعلمانيين متزوجين وعزاب ... إلخ فإن نجح يصبح إبليس مثل العدو الذي احتل عاصمة الدولة المعادية ورفع رايته عليها ويأمر شعبها بالاستسلام التام .

سادسا : هل التجربة تحمي من الخطيئة ؟ : مر داود بتجارب طويلة وقاسية أثناء مطاردة شاول له ، ولكن في هذه كلها لم يسقط في خطيئة بتلك البشاعة ، وهذا ليس بغريب فالشخص المـُجـَرَّب يرفع عينيه دوماً إلى السماء لطلب المعونة ولا يخفضهما ليشتهي جارته الحسناء . وهو ما يلخصه معلمنا بطرس الرسول في رسالته الأولى :

" **فَإِنَّ مَنْ تَأَلَّمَ فِي الْجَسَدِ كُفَّ عَنِ الْخَطِيَّةِ**" (١بط ٤ : ١)

سابعاً : الوقوف على المنحدر لا تكاد حديقة أطفال أو ملاهي في العالم كله تخلو من تلك اللعبة (الزحليقة) التى تبدأ بأرض مستوية لمسافة قصيرة ثم تبدأ في الانحدار ، ومتى جلس الطفل في بداية المنحدر يجد نفسه مسلوب الإرادة خاضعاً لقوة أكبر منه تجذبه لأسفل بسرعة متزايدة ، ومتى بدأ فإنه لا يملك حرية التراجع حتى يصل إلى أسفل نقطة فيها .

هكذا كان داود حر الإرادة يملك بسهولة تصحيح مساره طالما هو واقف على الأرض المستوية ولكنه بمجرد تواجده على بداية المنحدر ينزلق سريعاً . ولا يهدأ إبليس إلى أن يشمت فيه ويراه مذلولاً متمرغاً في الوحل ، وكانت الأرض المستوية القريبة من المنحدر بالنسبة لداود هى تمشية تبدو بريئة على سطح القصر ، كانت هي **شبه الشر** الذي نهي عنه الكتاب . فلما رضي بها داود انزلق إلى منحدر انتهى به إلى هاوية عميقة موحلة استوجبت تأديباً لمدة عشرين عاماً.

ولذا فإننا إذ نتأمل سلسلة الخطايا التي وقع فيها داود نتعجب كيف أن تمشية على

السطح بدون صلاة ولا مزامير أدت إلى نظرة فشهوة فخطيئة زنا ثم خطة خبيثة فاشلة ثم خيانة وغدر بأوفى جنوده وفى النهاية .... جريمة قتل عمد مع سبق الإصرار والترصد! أخي الحبيب من أجل نفسك ومن أجل الرب الذي يحبك أتوسل إليك أن تحذر من الخطيئة الأولى : النظرة الأولى ، السيجارة الأولى ، الكأس الأولى .... إلخ . فكل منها قد يفتح باباً لا تستطيع إغلاقه . أو يكون الثعلب الصغير الذي يدخل من ثغرة فى السور فيفسد الكرم كله

ثامناً : لماذا سمح الله بذكر تلك الحادثة المشينة فى الكتاب المقدس؟

يحلو لكل من يشكك في صحة الكتاب المقدس أن يستشهد بهذه القصة بالذات ليدلل على رأيه خاصة إذا كان يعتقد أن الأنبياء معصومون من الخطأ . فيتهم اليهود أنهم قد أضافوا هذه القصة للكتاب المقدس !

ونحن بدورنا نستشهد بهذه القصة لندلل على صحة الكتاب وسلامته من التحريف ، فلو افترضنا جدلاً أن أحداً يجرؤ على التزوير فهل سيؤلف من عنده قصة تفضح الأنبياء الذين يفخر بهم ، أم بالعكس يحذف القصص المخجلة من الكتاب المقدس ؟

و الحقيقة أنه لا يوجد إنسان واحد بلا خطيئة ولو وُجِد هذا الإنسان لما احتاج الرب أن يتجسد أصلاً. آدم أكل من الشجرة ونوح سَكَـرَ وتَعَـرَّى وإبراهيم كذب على فرعون وأخفى أن سارة زوجته و إسحق وقع فى نفس الخطية ويعقوب خدع أباه وموسى قتل المصري وبطرس أنكر ....إلخ إلخ . الجميع زاغوا وفسدوا معاً .

والكتاب المقدس عندما يستعرض حياة هؤلاء القديسين العظماء فهو يسردها بكل ما فيها ، حلوها ومرها ، فترات القوة والازدهار وفترات الضعف والانحدار ، قد تكون سقطات هؤلاء القديسين مخجلة إلا أن الكتاب يذكرها بكل صراحة وصدق.

ولكن لماذا لا يدارى الله على أخطائهم ؟ لماذا يصر على تسليط الضوء عليها ؟

ألا يخشى من سقوط الصورة الجميلة والقدوة المثالية ؟ لماذا لم يستر الرب عليهم؟

الإجابة هى أن الرب يريد أن يبلغنا رسالة هامة ، وهى أن هؤلاء القديسين ليسوا من طبيعة أخرى مختلفة عنا ، بل هم مثلنا ، يسقطون فى الخطية ولكنهم يقومون سريعا مرة أخرى إلى حياة التوبة – التوبة التى تجعل الزنـــاة أطهاراً بتوليين – وهكذا ينال

كل من يدرس الكتاب تعزية عظيمة فلا يفقد الرجاء أبدا . فإذا وجد نفسه أو غيره يرزح تحت وطأة الخطايا البشعة فليعلم أنها لا تستعصي على نعمة الله القادرة أن تحول شاول إلى بولس وتحول موسى الأسود زعيم العصابة إلى قديس نتشفع به .

<u>تاسعاً : تصرفاتنا ليست صدفة</u> : ذكرنا هذا التأمل يوم رفض داود أن يقتل شاول فى المغارة وكان وقتها فى إحدى القمم الروحية ،أما اليوم فهو فى القاع. دعونا نقرأ التأمل لندرك أهميته سواء فى الاستفادة بالإيجابيات أو فى الحذر من السلبيات .

تصرف الإنسان في مثل تلك المواقف ليس وليد اللحظة عينها ، بل هو حصيلة أيام وليال طويلة يترك فيها نفسه لعمل الروح القدس فيملأ قلبه سلاماً ومحبة وطهارة أو يترك فيها القلب لعمل إبليس فيشحنه بغضاً وخصاماً ونجاسة ، فما يشغل فكرك الآن هو الذي سيحكم تصرفك غداً لذا يلخص لنا الكتاب هذا الأمر فى نصيحة مركزة **"أَخِيراً أَيُّهَا الإِخْوَةُ كُلُّ مَا هُوَ حَقٌّ ، كُلُّ مَا هُوَ جَلِيلٌ، كُلُّ مَا هُوَ عَادِلٌ، كُلُّ مَا هُوَ طَاهِرٌ، كُلُّ مَا هُوَ مُسِرٌّ، كُلُّ مَا صِيتُهُ حَسَنٌ - إِنْ كَانَتْ فَضِيلَةٌ وَإِنْ كَانَ مَدْحٌ، فَفِي هَذِهِ افْتَكِـــــــــــــــــرُوا."** (في ٤ : ٨)

ونحكي هذا المثال لكي نقرب التشبيه لأذهاننا . فكلنا يعلم كيف تندلع الحرائق فى الريف وتنتشر بسرعة ، لأنهم بسذاجة يخزنون الأعشاب الجافة فوق أسطح البيوت فإذا ما بدأ الحريق لأي سبب يستحيل السيطرة عليه ، لأن الوقود متوافر ومتروك منذ زمن من دون أن تمتد يد حكيمة لإبعاده قبل وقوع الكارثة . ومن الظلم إلقاء كل التهمة على من أشعل الشرارة الأولى وتبرئة كل الذين خزنوا الحطب لسنين طويلة .

هكذا أفكارك التي تستلم لها الآن بل وتخزنها فى عقلك باعتبارها ليست خطية ، ثق أنها هي الحطب الذي سيأتي يوم تشتعل فيه شرارة صغيرة فتفجر حريقاً مخيفاً.

<u>عاشراً السُلْطَة والتجربة :</u> كثيرون يشتهون السلطة والغنى ولا يدرون أن من يقتنيهما يتعرض للمزيد من التجارب فهل كان يمكن لداود راعي الغنم أن يأمر بتشبع فتأتي إلى منزله؟ هيهات . أما داود الملك فأوامره نافذة ومطاعة وهذا ما فتح له باب الخطية على مصراعيه فدخل وتورط وندم وتمنى أن يعود ذلك الراعي الفقير المجهول الطاهر القلب .

داود يحاول إخفاء الخطأ بإعادة أوريا إلى منزله :

فَأَرْسَلَ دَاوُدُ إِلَى يُوآبَ يَقُولُ: «أَرْسِلْ إِلَيَّ أُورِيَّا الْحِثِّيَّ». فَأَرْسَلَ يُوآبُ أُورِيَّا إِلَى دَاوُدَ. فَأَتَى أُورِيَّا إِلَيْهِ فَسَأَلَ دَاوُدُ عَنْ سَلاَمَةِ يُوآبَ وَسَلاَمَةِ الشَّعْبِ وَنَجَاحِ الْحَرْبِ.

+ وَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «انْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ وَاغْسِلْ رِجْلَيْكَ».

فَخَرَجَ أُورِيَّا مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ، وَخَرَجَتْ وَرَاءَهُ حِصَّةٌ (كمية من الطعام) مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ. وَنَامَ أُورِيَّا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمَلِكِ مَعَ جَمِيعِ عَبِيدِ سَيِّدِهِ وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَى بَيْتِهِ.

فَقَالُوا لِدَاوُدَ: «لَمْ يَنْزِلْ أُورِيَّا إِلَى بَيْتِهِ».

+ فَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «أَمَا جِئْتَ مِنَ السَّفَرِ؟ فَلِمَاذَا لَمْ تَنْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ؟»

◘ فَقَالَ أُورِيَّا لِدَاوُدَ: «إِنَّ التَّابُوتَ وَإِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا سَاكِنُونَ فِي الْخِيَامِ، وَسَيِّدِي يُوآبُ وَعَبِيدُ سَيِّدِي نَازِلُونَ عَلَى وَجْهِ الصَّحْرَاءِ، وَأَنَا آتِي إِلَى بَيْتِي لآكُلَ وَأَشْرَبَ وَأَضْطَجِعَ مَعَ امْرَأَتِي ! وَحَيَاتِكَ وَحَيَاةِ نَفْسِكَ لاَ أَفْعَلُ هذَا الأَمْرَ».

+ فَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «أَقِمْ هُنَا الْيَوْمَ أَيْضاً، وَغَداً أُطْلِقُكَ».

فَأَقَامَ أُورِيَّا فِي أُورُشَلِيمَ ذلِكَ الْيَوْمَ وَغَدَهُ. وَدَعَاهُ دَاوُدُ فَأَكَلَ أَمَامَهُ وَشَرِبَ وَأَسْكَرَهُ. وَخَرَجَ عِنْدَ الْمَسَاءِ لِيَضْطَجِعَ فِي مَضْجَعِهِ مَعَ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَإِلَى بَيْتِهِ لَمْ يَنْزِلْ.

(٢صم ١١: ٦- ١٣)

لا أجد على مر التاريخ مثالاً للنُبل والشرف العسكري مثل هذا الرجل المدعو أوريا فقد استكثر أن ينام فى مضجعه بينما تابوت الرب وقادته ورفاقه على الجبهة ولذا فشلت خطة داود الخبيثة ليلتين متتاليتين ، ولم يتصور أوريا أن هذه الأمانة ستكافأ بخيانة غادرة . وربما تعجب أوريا من دعوة الملك له ونصيحته المتكررة أن ينزل إلى بيته ولكن لا أتصور أنه قد فهم الغرض الخبيث الذي خطط له داود .

خطة داود لقتل أوريا :

وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ دَاوُدُ مَكْتُوباً إِلَى يُوآبَ وَأَرْسَلَهُ بِيَدِ أُورِيَّا. وَكَتَبَ فِي الْمَكْتُوبِ يَقُولُ: «اجْعَلُوا أُورِيَّا فِي وَجْهِ الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ، وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيُضْرَبَ وَيَمُوتَ». وَكَانَ فِي مُحَاصَرَةِ يُوآبَ الْمَدِينَةَ أَنَّهُ جَعَلَ أُورِيَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي عَلِمَ أَنَّ

رِجَالَ الْبَأْسِ (القوة) فِيهِ. فَخَرَجَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ وَحَارَبُوا يُوآبَ، فَسَقَطَ بَعْضُ الشَّعْبِ مِنْ عَبِيدِ دَاوُدَ، وَمَاتَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضاً.

فَأَرْسَلَ يُوآبُ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِجَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ. وَأَوْصَى الرَّسُولَ: «عِنْدَمَا تَفْرَغُ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَ الْمَلِكِ عَنْ جَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ، فَإِنِ اشْتَعَلَ غَضَبُ الْمَلِكِ، وَقَالَ لَكَ: لِمَاذَا دَنَوْتُمْ (اقتربتم) مِنَ الْمَدِينَةِ لِلْقِتَالِ؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ يَرْمُونَ مِنْ عَلَى السُّورِ؟ مَنْ قَتَلَ أَبِيمَالِكَ بْنَ يَرُبُّوشَثَ؟ (ابن جدعون الذي مات منذ أكثر من قرن لنفس السبب) أَلَمْ تَرْمِهِ امْرَأَةٌ بِقِطْعَةِ رَحًى (حجر ثقيل) مِنْ عَلَى السُّورِ فَمَاتَ فِي تَابَاصَ؟ لِمَاذَا دَنَوْتُمْ مِنَ السُّورِ؟ فَقُلْ: قَدْ مَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضاً».

فَذَهَبَ الرَّسُولُ وَدَخَلَ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِكُلِّ مَا أَرْسَلَهُ فِيهِ يُوآبُ.

وَقَالَ الرَّسُولُ لِدَاوُدَ: «قَدْ تَجَبَّرَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ وَخَرَجُوا إِلَيْنَا إِلَى الْحَقْلِ فَكُنَّا عَلَيْهِمْ (هجمنا عليهم) إِلَى مَدْخَلِ الْبَابِ. فَرَمَى الرُّمَاةُ عَبِيدَكَ مِنْ عَلَى السُّورِ، فَمَاتَ الْبَعْضُ مِنْ عَبِيدِ الْمَلِكِ، وَمَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضاً».

+ فَقَالَ دَاوُدُ لِلرَّسُولِ: « هَكَذَا تَقُولُ لِيُوآبَ: لاَ يَسُوْ فِي عَيْنَيْكَ هَذَا الأَمْرُ، لأَنَّ السَّيْفَ يَأْكُلُ هَذَا وَذَاكَ (لا تهتم) . شَدِّدْ قِتَالَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَأَخْرِبْهَا. وَشَدِّدْهُ (شـجـعـه) ».

فَلَمَّا سَمِعَتِ امْرَأَةُ أُورِيَّا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ أُورِيَّا رَجُلُهَا نَدَبَتْ بَعْلَهَا (بكت على زوجها) .

وَلَمَّا مَضَتِ الْمَنَاحَةُ أَرْسَلَ دَاوُدُ وَضَمَّهَا إِلَى بَيْتِهِ، وَصَارَتْ لَهُ امْرَأَةً وَوَلَدَتْ لَهُ ابْناً.

وَأَمَّا الأَمْرُ الَّذِي فَعَلَهُ دَاوُدُ فَقَبُحَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ. (٢صم ١١: ١٤- ٢٧)

ارتكب شاول كثيراً من المعاصي والشرور أثناء مطاردته لداود ، ولكنه إحقاقاً للحق لم ينحدر إلى هذا المستوى المتدني من الغدر والخيانة . مع أنه كان يستطيع أن يفعلها وقت كان داود جندياً بجيشه تحت رئاسة أبنير .

داود الذي عَرَّض حياته للخطر في فجر شبابه لكي ينقذ حملاً من بين أنياب أسد ودب ، اليوم يرسل واحداً من أخلص رعاياه إلى الموت بسيف الأعداء حتى لا ينفضح أمره ! كم أنت بشــــــــــعة أيتها الـخـطـيـئــة !

أما أوريا الجندي الشهم النبيل فقد حمل بنفسه حكم إعدامه وسلمه ليوآب الذي قرأه عدة مرات وهو يفرك عينيه غير مصدق أن رجل المزامير قد تعلم الغدر أخيراً ،

وانفرجت شفتاه عن ابتسامة ماكرة وهو يغمغم لنفسه قائلاً : "الآن لن يستطيع الملك أن يلومني ثانية على قتل أبنير، فما كتبه اليوم بخط يده أفظع مليون مرة مما فعلته طوال عمري ، سأحتفظ بهذه الرسالة حتى لا يستطيع مليكي العزيز أن يرفع عينيه فى وجهي ثانية"

ولم يدرك يوآب فى التو سبب الغدر ولكنه عندما عرف أن داود تزوج بثشبع وأنجب منها بعد أقل من تسعة شهور اتضحت أمامه القصة المخزية بكل بشاعتها.

أما داود الملك المنتصر دوماً فقد أغمض عينيه تماما عن تورط جيشه في الخطأ الساذج بالاقتراب من سور المدينة ، وحاول أن يتصنع الهدوء وهو يتعجل سماع الخبر المُرتَقَب ، فلما سمع أن أوريا مات تنفس الصعداء . وأمر الجندي أن يقول ليوآب انه قد خسر جولة واحدة فقط ولكنه يجب أن يكافح ليكسب المعركة النهائية .

و فى الآية الأخيرة فقط من هذا الإصحاح الحزين يُذكر اسم الرب فى كلمات مُقتَضَبَة مُفعَمَة بالأسى " **وَأَمَّا الأَمْرُ الَّذِي فَعَلَهُ دَاوُدُ فَقَبُحَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ.**"

ومضت شهور الحمل وداود يعاني أشد المعاناة فهولا يستطيع تحديد هويته ، هل هو مرنم إسرائيل وقائد فرق التسبيح أم هو الزاني القاتل ؟ كم يود أن يعود إليه سلامه المفقود الذي لم ينعم به طوال هذه الشهور التي نسي فيها النوم الهادئ وفقد تماماً بهجة التسبيح ، واشتاق كثيراً لداود القديم الذي كان يرنم ويرقص بكل حماس امام تابوت الرب ، ولكن كيف ؟

ووقف الأب طويلاً ينتظر عودة الابن الضال الذي صار يشتهي أن يأكل من خرنوب الخنازير، ولكن الابن هذ المرة منعته كرامته .

ولم يقف الأب مكتوف الأيدي فداود غالٍ جدا على قلب الله الحنون الذي رأى ابنه في الوحل ويحتاج إلى من يساعده حتى يأخذ قرار التوبة والاعتراف والعودة للحضن الأبوي ، وكم كان الآب يتمنى أن يعود الابن دون أن يدفعه أحد ليوفر على نفسه الكثير من التأديب والعقوبات ، ولكنه للأسف لم يفعل .

وأخذ داود يخدر ضميره أن كل شيء على ما يرام ، وأنه تصرف بشهامة إذ تزوج بثشبع بعد موت زوجها شهيداً فى الحرب . ولأن الذي فعل هذه الحماقة هو داود

المحبوب ، داود الملك والنبي صاحب العشرة الطويلة مع الرب ، ولأن "غلطة الكبير كبيرة" ولأنه تقاعس عن التوبة طويلاً فقد كلف الله ناثان النبي أن يوقظه كي ينقذه ويا لها من مهمة عسيرة .

ولا شك أن لفت نظر أي إنسان إلى خطيته أمر محرج فما بالك لو كان هذا الشخص هو مرنم إسرائيل الملك والنبي وكاتب معظم المزامير، وكلنا نعلم كيف طارت رقبة المعمدان لأنه تجاسر وأنذر هيرودس أنه لا يحل له أن يتزوج امرأة أخيه . وفكر ناثان طويلاً كيف يبدأ حديثه مع الملك في هذا الأمر المحرج حتى هداه تفكيره إلى هذه القصة الرمزية .

ناثان النبي يحكي لداود قصة رمزية ليعيده إلى صوابه

فَأَرْسَلَ الرَّبُّ نَاثَانَ إِلَى دَاوُدَ. فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ:

«كَانَ رَجُلاَنِ فِي مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ، وَاحِدٌ مِنْهُمَا غَنِيٌّ وَالآخَرُ فَقِيرٌ. وَكَانَ لِلْغَنِيِّ غَنَمٌ وَبَقَرٌ كَثِيرَةٌ جِدّاً. وَأَمَّا الْفَقِيرُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ إِلاَّ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ صَغِيرَةٌ قَدِ اقْتَنَاهَا وَرَبَّاهَا وَكَبِرَتْ مَعَهُ وَمَعَ بَنِيهِ جَمِيعاً. تَأْكُلُ مِنْ لُقْمَتِهِ وَتَشْرَبُ مِنْ كَأْسِهِ وَتَنَامُ فِي حِضْنِهِ، وَكَانَتْ لَهُ كَابْنَةٍ. فَجَاءَ ضَيْفٌ إِلَى الرَّجُلِ الْغَنِيِّ فَعَفَا (استخسر) أَنْ يَأْخُذَ مِنْ غَنَمِهِ وَمِنْ بَقَرِهِ لِيُهَيِّئَ لِلضَّيْفِ الَّذِي جَاءَ إِلَيْهِ، فَأَخَذَ نَعْجَةَ الرَّجُلِ الْفَقِيرِ وَهَيَّأَ لِلرَّجُلِ الَّذِي جَاءَ إِلَيْهِ».

+ فَحَمِيَ غَضَبُ دَاوُدَ عَلَى الرَّجُلِ جِدّاً، وَقَالَ لِنَاثَانَ: «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِنَّهُ يُقْتَلُ الرَّجُلُ الْفَاعِلُ ذَلِكَ، وَيَرُدُّ النَّعْجَةَ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ لأَنَّهُ فَعَلَ هَذَا الأَمْرَ وَلأَنَّهُ لَمْ يُشْفِقْ».

فَقَالَ نَاثَانُ لِدَاوُدَ: «أَنْتَ هُوَ الرَّجُلُ! هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: أَنَا مَسَحْتُكَ مَلِكاً عَلَى إِسْرَائِيلَ وَأَنْقَذْتُكَ مِنْ يَدِ شَاوُلَ وَأَعْطَيْتُكَ بَيْتَ سَيِّدِكَ وَنِسَاءَ سَيِّدِكَ فِي حِضْنِكَ، وَأَعْطَيْتُكَ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا. وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ قَلِيلاً كُنْتُ أَزِيدُ لَكَ كَذَا وَكَذَا. لِمَاذَا احْتَقَرْتَ كَلاَمَ الرَّبِّ لِتَعْمَلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيْهِ؟ قَدْ قَتَلْتَ أُورِيَّا الْحِثِّيَّ بِالسَّيْفِ، وَأَخَذْتَ امْرَأَتَهُ لَكَ امْرَأَةً، وَإِيَّاهُ قَتَلْتَ بِسَيْفِ بَنِي عَمُّونَ. وَالآنَ لاَ يُفَارِقُ السَّيْفُ بَيْتَكَ إِلَى الأَبَدِ، لأَنَّكَ احْتَقَرْتَنِي وَأَخَذْتَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ لِتَكُونَ لَكَ امْرَأَةً. هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ:

╬ هَا أَنَا ذَا أُقِيمُ عَلَيْكَ الشَّرَّ مِنْ بَيْتِكَ، وَآخُذُ نِسَاءَكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ وَأُعْطِيهِنَّ لِقَرِيبِكَ

فَيَضْطَجِعُ مَعَ نِسَائِكَ فِي عَيْنِ هَذِهِ الشَّمْسِ. لأَنَّكَ أَنْتَ فَعَلْتَ بِالسِّرِّ وَأَنَا أَفْعَلُ هَذَا الأَمْرَ قُدَّامَ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَقُدَّامَ الشَّمْسِ».

+ فَقَالَ دَاوُدُ لِنَاثَانَ: [illegible]

فَقَالَ نَاثَانُ لِدَاوُدَ: [illegible]

ـَغَيْرَ أَنَّهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ بِهَذَا الأَمْرِ أَعْدَاءَ الرَّبِّ يَشْمَتُونَ فَالابن الْمَوْلُودُ لَكَ يَمُوتُ». وَذَهَبَ نَاثَانُ إِلَى بَيْتِهِ. (٢صم١٢ :١-١٥)

أحسن ناثان اختيار الوسيلة المناسبة عندما بدأ يقص على داود هذه القصة الرمزية عن الغني الذي ذبح نعجة جاره الفقير وهو خطأ أقل كثيرا من خطيئة داود، وكانت شريعة موسى تقضي أن الرجل الذي يأخذ نعجة جاره بهذه الطريقة يردها أربعة أضعاف ولكن الشريعة لم تأمر بقتله أبداً .. ولكن داود كان قاسياً فى حكمه أكثر من الناموس بكثير ؛ لأن الإنسان البعيد عن الله يصير فظاً قاسياً . ودون أن يدري أصدر داود حكم الناموس الذي يستحقه الزاني القاتل وليس سارق النعجة .

فأصدر حكم الإعدام على نفسه أما الله الديان العادل فأصدر حكم البراءة !

ولا أدري كيف غاب عن ذكاء داود أنه هو الشخص المقصود بهذه القصة فحكم على نفسه هذا الحكم القاسي برد النعجة أربعة أضعاف ثم يُقتل ، وقد رد داود بالفعل أربعة أضعاف فدفن أربعة من أبنائه فى حياته كما سنرى فيما بعد ، ولكنه لم يمت بخطيته فقد كان الرب أرحم به من نفسه ، و لنا هنا عدة تأملات لا بد منها :

<u>أ خ ط أ تُ</u> قد يسهل على الإنسان أن يرص حروف الأبجدية بعدد لا نهائي من الكلمات التي تزخر بها اللغة ، ماعدا هذه الحروف الخمسة لأن رصها بهذا الترتيب عسير جدا على كرامة وكبرياء معظم الناس . ولذا يندر أن نسمع هذه الكلمة أو نقولها، مع أن هذه الكلمة وحدها كفيلة بحل مشكلات مزمنة وبإنقاذ بيوت وأسر مهددة بالدمار وبمنع حروب أو بوقفها وكفيلة أيضاً بفتح طريق التوبة وبالتالي ملكوت السموات أمام أشر الخطاة .

وبدلاً من نطق هذه الكلمة السحرية تنطلق من أعماق القلب عشرات الأعذار الوهمية التى تديننا أكثر مما تبررنا فيُحكَم علينا لأننا نأبى أن نحكم على أنفسنا .

هذه الكلمة التى أبى آدم وحواء أن ينطقا بها ، ولا ندري كيف كان تاريخ البشرية سيتغير لو كانا قد فعلا وقدما توبة واعتذاراً وليس حججاً وأعذاراً .

هذه الكلمة وحدها تفصل بين داود في تواضعه و شاول في كبريائه ، تفصل بين بطرس بدموعه المرة ويهوذا بكبريائه ثم يأسه ، تفصل بين الابن الضال التائب والابن الأكبر المتشامخ. وما أبعد الهوة بين هذا المصير وذاك .

إن اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ. إِنْ قُلْنَا إِنَّنَا لَمْ نُخْطِئْ نَجْعَلْهُ كَاذِباً، وَكَلِمَتُهُ لَيْسَتْ فِينَا. (١يو ١ :٩- ١٠)

الرب نقل عنك خطيتك .... لا تموت أول نصيحة يقولها المحامي لموكله في أية قضية ألا يعترف بجريمته . ويأخذ المحامي فى سرد كل الأسباب التي تثبت براءة موكله وتدفع عنه التهمة لأن رجال القانون في العالم كله يعرفون أن الاعتراف سيد الأدلة وبعد الاعتراف مباشرة يرتاح ضمير القاضي وهو يصدر حكم الإدانة ، أما فى حياتنا الروحية فبمجرد الاعتراف يصدر حكم البراءة !! وتسمع تلك الكلمات المعزية أن خطيتك نُقِلت عنك ولا تموت بذنبك ، نُقِلت على رأس ذاك الذي كُلل بالشوك وسفك دمه من أجل خطاياي وخطايا كل البشرية .

بل إننا فى العهد الجديد وبعد إتمام الفداء نسمع ما هو أروع من ذلك ... نسمع "مغفورة لك خطاياك" بمجرد الاعتراف أو" شبه الاعتراف " فقد اعتبر الرب كلام السامرية اعترافاً (لمجرد أنها قالت ليس لي زوج) واعتبر تصرف زكا اعترافا (لأنه صعد فوق الشجرة) . لأن الرب وأب الاعتراف لا يريدان إذلال المعترف بل منحه فرصة التوبة والبداية الجديدة .

أعداء الرب يشمتون : يا لها من فكرة مرعبة تهز الضمير عندما نتخيل أن مملكة الجحيم تشمت فى بار واحد يسقط أكثر من تسعة وتسعين ساقطاً بطبعهم !! يا لخزينا عندما نعرف أن الرب بسبب خطايانا يسمع كلمات الشماتة من إبليس وجنوده وهم يعايرونه بأبنائه الذين يعدهم كي يرثوا الملكوت فإذا هم ينحازون لمملكة الظلمة ويصرون على اختيارهم .

التأديب الأرضي والعقوبة الأبدية :

سؤال صعب يواجهنا كثيراً .. هل الإنسان يُحاسَب على خطاياه هنا على الأرض ؟

ولا توجد إجابة موحدة لهذا السؤال فكل حالة لها ظروفها الخاصة جداً

وداود نفسه يقول في مز ١٣٠ " **إن كنت للآثام راصدا يا ر ب فمن يثبت لأن من عندك المغفرة** " بما يعني أنه لو عاقبنا الرب على كل خطية لأدين الجميع في الحال.

ولكن فى بعض الخطايا يسمح الله لنا أن نشرب من نفس الكأس التى سقيناها لغيرنا ، فالذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً ، والرب يفعل هذا لخلاص أنفسنا فنحن نؤدب هنا على الأرض حتى لا ندان هناك مع الآخرين ، ومهما يكن التأديب قاسياً فهو الطريق الضيق المؤدي إلى السماء ، وبالتوبة وقبول التأديب وحمل الصليب بشكر ننجو من الدينونة الرهيبة.

وهنا يهمنا التأكيد على أن العقوبة الأرضية التي قد يسمح الرب بها للبعض للتأديب أو لإنذار الآخرين لا تلغي أبداً العقوبة السماوية إن غابت التوبة.

أيضاً يظن كثيرون بالخطأ انهم إذا أتوا ببعض الأعمال الصالحة فهذا كفيل أن يجعل الرب يسامحهم عن خطاياهم ! وهذا الفكر بعيد تماماً عن المفهوم المسيحي فكل الأعمال الصالحة لا تغفر خطية واحدة لأن من قال لاخيه يا أحمق يستوجب نار جهنم كما علمنا الرب .

ولكن الإنسان لا ينال الغفران إلا بالتوبة والاعتراف والاتحاد بجسد الرب ودمه فيدفع ثمن جرمه ذاك الحمل الكامل بلا عيب الذي مات من أجله .

وقد أدرك أشعياء النبي هذا المعنى عندما كتب هذه الآيات :

"لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَاباً مَضْرُوباً مِنَ اللّهِ وَمَذْلُولاً. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا." (أش ٥٣ : ٤-٦)

(وهو نفس المعنى الذي قاله ناثان – الرب نقل عنك خطيتك)

وفى قصتنا هذه فإن ناثان طمأن داود أن الرب قد نقل عنه خطيته فلا يموت بها ، وبالتالي يُعفى من العقوبة الأبدية ولا يفقد الملكوت السماوي ..... ولكن هذا لم يعفه من التأديب الأرضي ، وهو ليس عقوبة هدفها الانتقام بقدر ما هو تأديب للتقويم . تأديب الأب المحب لابنه لثقته أن هذا التأديب لخلاصه وليس لهلاكه . وحدوث هذا التأديب دليل على أن الرب متمسك بخلاص هذه النفس ، فالإنسان يحرص على تأديب الابن الذي يرجو منه خيراً ويهمل تأديب الابن العاصي الذي فقد فيه الرجاء . وبالطبع فإن الرب القدير لا يشعر أبداً برغبة أو لذة الانتقام وهو ينزل ذلك التأديب بابنه داود بل إنه يتألم أكثر من داود نفسه وهو مضطر أن يغير من طريقة تعامله مع ابنه المحبوب وبدلاً من أن يقول له **"على الأيدي تُحملون وعلى الرُكبتين تُدللون"**. (أش ٦٦ :١٢) يقول له **"ها أنا أقيم عليك الشر من بيتك "** ومع كل دمعة ألم يذرفها داود كان الرب ينزف دماً في جثسيماني .

وحقاً لخص قداسة البابا شنودة الثالث إحساس الرب وهو يؤدب أبناءه إذ يقول :

يا ألـــيفَ القلبِ ما أحـــــلاكَ بل أنتَ عالٍ مرهُـــــتبٌ مـا أروعـــك

يا قـوياً ممســكاً بالســـــوطِ في كــفِه و الحـبُ يُدمـــى مدمعَــك

ورغم ما يبدو من قسوة التأديب الذي سينزل على رأس داود إلا أنه يتناسب مع ذنبه العظيم ، ولو لم يحدث هذا لشككنا في عدل الله و لصرخ دم أوريا طالباً القصاص. .

وحتى نستكمل الصور المختلفة من التأديب والعقوبة نتذكر قصة الغني و لعازر حيث عاش الغني متنعما متغافلاً عن لعازر ، ولشدة شره لم يؤدبه الرب هنا ليعاقب حقاً فى الأبدية ، ونتذكر أيضا قصص الطوفان وسدوم وعمورة و بني قورح والملك هيرودس الذين سمح الله أن يبدأ عقابهم على الأرض كمقدمة لما ينتظرهم في جهنم. ومن رحمة الله ومحبته أن يسمح لنا برؤية هذا التأديب أو تلك العقوبات حتى لا نستهين بالخطية وحتى ندرك أن ثمرتها مرة كالعلقم ، وأنها وإن تأخرت فهي آتية لا محالة عن كل ما لم نتب عنه . لأن كثيرين يتناسون أو يستهينون بالعقوبة السماوية الرهيبة ولكن قد يعيدهم إلى صوابهم ما يرونه بأعينهم من تاديب أو عقوبة أرضية .

" أَمْ تَسْتَهِينُ بِغِنَى لُطْفِهِ وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنَاتِهِ غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ وَلَكِنَّكَ مِنْ أَجْلِ قَسَاوَتِكَ وَقَلْبِكَ غَيْرِ التَّائِبِ تَذْخَرُ لِنَفْسِكَ غَضَباً فِي يَوْمِ الْغَضَبِ وَاسْتِعْلاَنِ دَيْنُونَةِ اللهِ الْعَادِلَةِ الَّذِي سَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ." (رو ٢ : ٤-٦)

لماذا احتقرت كلام الرب ؟ الكارثة العظمى فى كل خطية نفعلها هي احتقار كلام الرب بكسر وصيته والاستهانة بها أما الخطأ الأدنى فهو الموجه ضد الإنسان سواء كان أوريا أو بثشبع ، ولو أدركنا هذه الحقيقة سنفكر آلاف المرات قبل أي خطأ ، سواء اعتبرناه هينا - كأن تقول لأخيك يا أحمق – أو اعتبرته بشعا مثل الجريمة التى ارتكبها داود ، فالحالتان تتفقان فى الخطأ الأعظم الموجه ضد الله وهو ما يجعل الخطية خاطئة جداً .

حتى فى الخطايا التي يظن مرتكبوها أنهم لا يؤذون أحداً – مثل العلاقات الجنسية برضا الطرفين خارج الزواج - ويتجاهلون أنهم يحتقرون الخطة الإلهية للبيت المسيحي الطاهر ويدمرون أساس هذا البيت حتى وإن كان لم يبدأ بعد . فإذا نشأ هذا البيت مستنداً على أساس هش ضعيف يسهل سقوطه مع أول هزة .

وعندما أدرك داود هذه الحقيقة المرة صرخ فى توبته **"إليك وحدك أخطأت"** متجاهلاً الخطأ الموجه ضد أوريا ، فكل خطأ ضد بشر يعتبر صفراً إذا ما قورن بالخطأ فى حق الله .

ويبدأ داود واحدة من أعظم رحلات التوبة على مر التاريخ

فرغم الحزن العميق على سقطة داود إلا أن توبته تفتح باب الرجاء للكثير من الخطاة الذين يظنون أن ذنوبهم أعظم من أن تُغفر ويتركون أنفسهم فريسة لهواجس الشيطان الذي يتلذذ أن يراهم وقد انطفأ شعاع الرجاء في قلوبهم فيلعب على هذا الوتر كثيراً ويدخل فى روعهم أنهم لا يجوز أن يحلموا بملكوت السموات ، بل أقصى ما يفعلونه أن يتلذذوا بالأرضيات فيما بقى لهم من أيام .

ولكن توبة داود وغيره تقف بالمرصاد لمحاولات إبليس فتعطي الرجاء لي ولكل خاطئ أن باب الملكوت مازال مفتوحاً أمامنا . وأن الله الذي جعل داود الزاني القاتل يصبح قديساً نذكره في كل صلاة وقداس قادر أن يعمل فينا أيضاً .

وهكذا صارت توبة داود نموذجا نقتدي به عبر الأجيال .

ويجسد داود بدموعه الصادقة بعضاً من ملامح توبته في المزمور الواحد والخمسين الذي نستهل به كل صلوات الأجبية لما فيه من تعزية ورجاء .

المزمور الواحد والخمسون

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا جَاءَ إِلَيْهِ نَاثَانُ النَّبِيُّ بَعْدَ مَا دَخَلَ إِلَى بَثْشَبَعَ

اِرْحَمْنِي يَا اللهُ كَعَظِيمِ رَحْمَتِكَ، وَمِثْلِ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ تَمْحُو إِثْمِي.

تَغْسِلُنِي كَثِيراً مِنْ إِثْمِي، وَمِنْ خَطِيَّتِي تُطَهِّرُنِي.

لأَنِّي أَنا عارِفٌ بِإِثْمِي، وَخَطِيَّتِي أَمَامِي فِي كُلِّ حِين .

(هذا هو شعور النفس المتضعة التائبة التي تدرك مقدار جرمها ، ونحن بعد التوبة والغفران نجتهد أن ننسى تفاصيل الخطية والشر الملبس الموت ، ولكن لا ننسى أبدا أننا خطاة)

لَكَ وحدَكَ أخطأتُ، والشرَّ قدامَكَ صنعْتُ. *(كل خطية موجهة أساساً ضد الله كما شرحنا)*

لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي أَقْوالِكَ. وتَغْلِبَ إِذَا حَاكَمْتَ . *(يثبت صدقك يا رب في كل دينونتك لي)*

لأَنِّي هَا أَنَا ذَا بِالآثَامِ حُبِلَ بِي، وَبِالْخَطَايَا وَلَدَتْنِي أُمِّي. *(سامحني لأن طبعي الخطية . ولا يستطيع المتكبر أن ينطق بتلك الكلمات فهي لا تخرج إلا من لسان متواضع)*

لأَنَّكَ هَكَذَا قَدْ أَحْبَبْتَ الحقَّ، إِذْ أَوْضَحتَ لِي غَوامِضَ حِكْمَتِكَ وَمَسْتُورَاتِهَا.

تَنْضَحُ عَلَيَّ بِزُوفَاكَ فَأَطْهُرُ، اغْسِلْنِي فَأَبْيَضُّ أَكْثَرَ مِنَ الثَّلْجِ،

(الزوفا نبات استخدمه بنو إسرائيل أغصانه في رش دم الذبائح علامة على التطهير، ونرى روعة التوبة أن داود لا يكتفي أن يتحسن قليلا ولكنه يصر أن يعود أبيض أكثر من الثلج !)

تُسْمِعُنِي سُرُوراً وَفَرَحاً، فَتَبْتَهِجُ عِظَامِي الْمُنْسَحِقَةُ.

أصْرِفْ وجْهَكَ عَنْ خَطايَاىَ، وامْحُ كلَّ اثامِى.

قلباً نقياً اخْلقْ فىَّ يَا الله، *(يا من خلقتني أولاً أعد خلقتي ثانية كما يحسن في عينيك)* ***ورُوحاً مُستَقيماً جَدِّدهُ فى أحْشائِى. لا تَطرحْنِى مِنْ قدَّامَ وجْهِكَ، ورُوحكَ القُدُّوس لا تَنْزعْهُ مِنِّى.*** *(جدد روحك فهو لم يفارقني ولكني أطفأته بخطاياي فأشعله أنت من جديد ، ولا تسمح أن يفارقني روحك القدوس فيقتحمني روح رديء كما حدث مع شاول)*

امْنَحْنِى بَهْجَة خَلاصِكَ، وبِرُوح رئاسي *(روح الحكمة)* ***عَضِّدْنِى*** *(ساعدني)*

فأعْلم الأثمَةَ طُرُقكَ، والمنافِقونَ إليْكَ يَرجعونَ، *(أعود بتوبتي قدوةً و رجاءً للخطاة)*

نَجِّنِى مِنَ الدِّماءِ يا الله إلهَ خَلاصِى، فيَبْتَهِجُ لِسانِى ببِرِّكَ.

(أعلم أن دم أوريا سيُطلب مني وكذلك دم الطفل المحكوم عليه بالموت ولكني أقدم التوبة وأطلب منك الغفران حتى لا أكون مسئولاً عن عثرة أو هلاك إنسان)

يَا ربِّ افْتَح شَفَتَىَّ فيُخبِرُ فَمِى بتَسْبيحِكَ. *(اقبل توبتي فأعود أسبحك كما فى الماضي)* ***لأنَّكَ لوْ أثَرتَ الذَّبيحة، لكُنْتُ الآنَ أعْطِى. ولكنَّكَ لا تُسرُّ بالمحْرقاتِ، فالذَّبيحَةُ للهِ رُوحٌ مُنْسحقٌ. القلبُ المنكسِرُ والمتَواضِعُ لا يُرْزِلهُ*** *(لا يحتقره)* ***الله.***

(سبق داود عصره وأدرك أن دم الذبائح لا يغفر الخطية وإنما ما يرضيه هو ذبيحة القلب المنكسر و دموع التوبة الصادقة)

أنْعِمْ يَا ربّ بِمَسرتكَ عَلى صِهْيَون، ولتَبنِ أسْوَارَ أورُشَلِيم. *(لم ينسَ داود أبداً انه مسئول عن خلاص كل الشعب فلا تكون سقطته سبباً فى غضب الله على الشعب)*

حِينَئذٍ تُسرُّ بذَبائِح البَرِّ قرباناً ومُحْرقات ، حينئذ يُقَرِّبون عَلى مَذابِحكَ العُجُول. هَلِّلويا.

وقبل أن نختم التعليق على مزمور التوبة الخالد نؤكد أن هناك شعورين يلازمان الشخص التائب توبة صادقة أولهما شعور الفرح بالغفران وتمزيق صك الخطايا الكفيل بإرسال صاحبه إلى نار جهنم ، والشعور الثاني هو الخوف من الرجوع إلى تلك الحالة ثانية ، تماماً مثل شعور الشخص المُفرَج عنه من السجن القاسي ، فهو سعيد بالحرية وفى نفس الوقت مرتعب من العودة إلى الزنزانة ثانية ، وبقدر

احتفاظه بهذه المشاعر المقدسة بقدر ما تستمر توبته جادة وصادقة ، وإلا فإنه يعود إلى حالته الأولى بعد أيام أو حتى ساعات .

+ + +

وفى نفس المرحلة أيضاً كتب داود سبعة مزامير عن التوبة وهي المزمور ٦ و٣٢ و ٣٨ و ٥١ و١٠٢ و ١٣٠ و ١٤٣
والآن لنتأمل فى واحد آخر منها :

الْمَزْمُورُ الثَّانِي وَالثَّلاَثُونَ

طُوبَى لِلَّذِي غُفِرَ إِثْمُهُ وَسُتِرَتْ خَطِيَّتُهُ.

طُوبَى لِرَجُلٍ لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً وَلاَ فِي رُوحِهِ غِشٌّ.

هذا هو عنوان المزمور وملخصه فى نفس الوقت وهذا عينه هو النص الذي ذكره بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية ٤ : ٧ – ٨ أي تطويب الشخص التائب المستمتع بغفران الله ، الذي يشعر حقا بقيمة الغفران .

وحتى نقترب قليلا من هذا المعنى دعونا نتخيل شخصاً محكوماً عليه بحكم إعدام عادل وينتظر في زنزانة السجن بين لحظة وأخرى من يدخل عليه ويكبل يديه ويسوقه قسراً إلى عقابه المستحق . فإذا بباب الزنزانة يفتح ويدخل من يبشره أنه قد عقد اتفاقاً مع ممثلي العدالة أن يلبس هو بدلة الإعدام الحمراء بدلاً منه ليفتح له باب الحرية فوراً !!

وبقدر شعور المذنب بحجم خطيته واستحقاقه للعقوبة بقدر ما يبتهج بهذا الفداء .

وما أكثر المذنبين الذين يستحقون ما هو أكثر من الإعدام ولكنهم لا يدركون حجم خطاياهم وبالتالي لا يشكرون على هذا الفداء ، أما القلب التائب الحساس فيذوب حمداً وامتناناً لهذا الفادي الذي هبط عليه من السماء .

ولا يشعر إنسان ببهجة هذا التطويب إلا إذا جرب حقاً انسحاق التوبة ثم الاعتراف وسماع الحِل من الأب الكاهن . التائب هو أسعد إنسان في هذه الحياة ، يفرح بصلاته وقداسه وإنجيله ويحيا كأنه في الملكوت وهو ما زال في الجسد .

ويشكر داود كثيراً الرب الذي ستر على خطيته ، فقد كان من السهل أن تنتشر قصة فضيحته من يوآب إلى الآخرين وتصبح سيرة الملك مُضغة في أفواه كل الشعب .

وكل منا يعلم أن الله لو رفع ستره عنا لصارت سيرتنا قبيحة في أعين الجميع .

ويحسن المرنم انتقاء اللفظ المناسب لشرح طبيعة المغفرة – **لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً** - فهي لم تغفر فقط بل أصبحت كأن لم تكن ، كغيمة داكنة بددتها الشمس الدافئة فلم يعد لها وجود ولا أثر . ولذا لم يذكر الله هذه الخطية ثانية أبداً ، بل بالعكس كان إذا أراد أن يمتدح ملكاً يقول عنه أنه كان مثل داود أبيه ! وكأن داود هذا هو أحد المثل العليا للبشرية !

وإذا كان البشر يسامحون أحياناً ، إلا أنهم نادراً ما ينسون . فقد يندمل الجرح الذي أسببه لأخيّ ويسامحني ، ولكن آثار الجرح المحفورة في جسده تمنعه من النسيان مهما طال الزمن.

أما الله فهو ليس هكذا بل هو في لحظة الغفران ينســـــى كأن الخطية لم تكن أصلاً .

لَمَّا سَكَتُّ بَلِيَتْ عِظَامِي مِنْ زَفِيرِي الْيَوْمَ كُلَّهُ لأَنَّ يَدَكَ ثَقُلَتْ عَلَيَّ نَهَاراً وَلَيْلاً. تَحَوَّلَتْ رُطُوبَتِي إِلَى يُبُوسَةِ الْقَيْظِ. (جفاف الحر) **سِلاَهْ. أَعْتَرِفُ لَكَ بِخَطِيَّتِي وَلاَ أَكْتُمُ إِثْمِي. قُلْتُ: [أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي] وَأَنْتَ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيَّتِي. سِلاَهْ.**

يحكي داود هنا عن قسوة الأيام السوداء التي عاشها قبل توبته حتى تمم خطوات الاعتراف الثلاثة أمام نفسه أولاً وأمام الله ثانياً واخيراً أمام ناثان النبي .

لِهَذَا يُصَلِّي لَكَ كُلُّ تَقِيٍّ فِي وَقْتٍ يَجِدُكَ فِيهِ. عِنْدَ غَمَارَةِ الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ إِيَّاهُ لاَ تُصِيبُ. أَنْتَ سِتْرٌ لِي. مِنَ الضِّيقِ تَحْفَظُنِي. بِتَرَنُّمِ النَّجَاةِ تَكْتَنِفُنِي. سِلاَهْ.

نجد عندك الغفران يا رب حتى لو كنا وسط الطوفان أنت تنجينا وتستر علينا

أُعَلِّمُكَ وَأُرْشِدُكَ الطَّرِيقَ الَّتِي تَسْلُكُهَا. أَنْصَحُكَ. عَيْنِي عَلَيْكَ. لاَ تَكُونُوا كَفَرَسٍ أَوْ بَغْلٍ بِلاَ فَهْمٍ. بِلِجَامٍ وَزِمَامٍ زِينَتِهِ يُكَمُّ لِئَلاَّ يَدْنُوَ إِلَيْكَ.

هنا الكلام على لسان الله الذي يعد التائب ألا يتركه وحده، بل مع التوبة والاعتراف يعطيه الإرشاد فلا يصير كالحصان الجامح الذي يحتاج إلى لجام يضبطه .

كَثِيرَةٌ هِيَ نَكَبَاتُ الشِّرِّيرِ أَمَّا الْمُتَوَكِّلُ عَلَى الرَّبِّ فَالرَّحْمَةُ تُحِيطُ بِهِ.

افْرَحُوا بِالرَّبِّ وَابْتَهِجُوا يَا أَيُّهَا الصِّدِّيقُونَ وَاهْتِفُوا يَا جَمِيعَ الْمُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ.

التسبيح خلال هذه المرحلة من حياة داود

يزخر الكتاب المقدس بقصص التائبين ، فلا تكاد شخصية كتابية تخلو من قصة توبة. ولكن قصة داود بالذات تحتل مكان الصدارة نظراً لعمق الهاوية التى سقط فيها داود والقوة الجبارة التى قام بها من سقطته ، بعد أن ظن إبليس أن ضربته لداود هي الضربة القاضية التي لن ينهض بعدها أبداً .

وكتب داود سبعة مزامير فى رحلة التوبة استعرضنا مزمورين منها وهما ٣٢ و٥١ أما الخمسة الباقون فنقتطف منهم بعض الآيات المعبرة عن توبته الصادقة .

يَا رَبُّ لاَ تُوَبِّخْنِي بِغَضَبِكَ وَلاَ تُؤَدِّبْنِي بِغَيْظِكَ.

ارْحَمْنِي يَا رَبُّ لأَنِّي ضَعِيفٌ. \اشْفِنِي يَا رَبُّ لأَنَّ عِظَامِي قَدْ رَجَفَتْ

تَعِبْتُ فِي تَنَهُّدِي. أُعَوِّمُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ سَرِيرِي بِدُمُوعِي. أُذَوِّبُ فِرَاشِي. (من مز ٦)

لَيْسَتْ فِي جَسَدِي صِحَّةٌ مِنْ جِهَةِ غَضَبِكَ.

لَيْسَتْ فِي عِظَامِي سَلاَمَةٌ مِنْ جِهَةِ خَطِيَّتِي.

لأَنَّ آثَامِي قَدْ طَمَتْ فَوْقَ رَأْسِي. كَحِمْلٍ ثَقِيلٍ أَثْقَلَ مِمَّا أَحْتَمِلُ.

يَا رَبُّ أَمَامَكَ كُلُّ تَأَوُّهِي وَتَنَهُّدِي لَيْسَ بِمَسْتُورٍ عَنْكَ.

لأَنَّنِي أُخْبِرُ بِإِثْمِي وَأَغْتَمُّ مِنْ خَطِيَّتِي.

لاَ تَتْرُكْنِي يَا رَبُّ. يَا إِلَهِي لاَ تَبْعُدْ عَنِّي.

أَسْرِعْ إِلَى مَعُونَتِي يَا رَبُّ يَا خَلاَصِي. (من مز ٣٨)

يَا رَبُّ اسْتَمِعْ صَلاَتِي وَلْيَدْخُلْ إِلَيْكَ صُرَاخِي.

لاَ تَحْجُبْ وَجْهَكَ عَنِّي فِي يَوْمِ ضِيقِي.

أمِلْ إلَيَّ أذنَكَ فِي يَوْمِ أدْعُوكَ. استَجِبْ لِي سَرِيعاً.
إنِّي قدْ أكَلْتُ الرَّمَادَ مِثْلَ الخُبْزِ وَمَزَجْتُ شرَابي بدُمُوع
بِسَبَبِ غضَبكَ وَسَخَطِكَ لأنَّكَ حَمَلْتَنِي وَطرَحْتَنِي.
أيَّامِي كَظِلٍّ مَائِلٍ وَأنَا مِثْلُ العُشْبِ يَبسْتُ. (من مز ١٠٢)
مِنَ الأعْمَاقِ صَرَخْتُ إلَيْكَ يَا رَبُّ.
يَا رَبُّ اسْمَعْ صَوْتِي. لِتَكُنْ أذنَاكَ مُصْغِيَتَيْنِ إلى صَوْتِ تَضَرُّعَاتِي.
إنْ كُنْتَ تُرَاقِبُ الآثامَ يَا رَبُّ يَا سَيِّدُ فمَنْ يَقِفُ؟ لأنَّ عِنْدَكَ المَغْفِرَة. لِكَيْ يُخَافَ مِنْكَ.
لأنَّ عِنْدَ الرَّبِّ الرَّحْمَةَ وَعِنْدَهُ فِدًى كَثِيرٌ وَهُوَ يَفْدِي إسْرَائِيلَ مِنْ كُلِّ آثامِهِ.
(من مز ١٣٠)
يَا رَبُّ اسْمَعْ صَلاتِي وَأصْغِ إلى تَضَرُّعَاتِي. بِأمَانَتِكَ اسْتَجِبْ لِي بِعَدْلِكَ.
وَلاَ تَدْخُلْ فِي المُحَاكَمَةِ مَعَ عَبْدِكَ فإنَّهُ لنْ يَتَبَرَّرَ قدَّامَكَ حَيٌّ.
لأنَّ العَدُوَّ قدِ اضْطهَدَ نَفْسِي. سَحَقَ إلى الأرْضِ حَيَاتِي.
أعْيَتْ فِيَّ رُوحِي. تَحَيَّرَ فِي دَاخِلِي قلبي.
بَسَطتُ إلَيْكَ يَدَيَّ. نَفْسِي نَحْوَكَ كَأرْضٍ يَابسَةٍ. سِلاهْ.
أسْرِعْ أجِبْنِي يَا رَبُّ. فنِيَتْ رُوحِي. لا تَحْجُبْ وَجْهَكَ عَنِّي فأشْبهَ الهَابطِينَ فِي الجُبِّ.
أسْمِعْنِي رَحْمَتَكَ فِي الغَدَاةِ لأنِّي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ. (من مز ١٤٣)

المرحلة الخامسة من حياة داود

تسبيح الألم

مضت أربع مراحل من حياة داود ووصلنا إلى المحطة الخامسة والأخيرة وهي مرحلة الألم التي يتجرع فيها داود العواقب المرة للخطية ، وعانى داود كثيراً خلالها فكان عندئذ كقطعة الطين بين يدي الفخاري الأعظم ، الذي وجد فيها بعض الشوائب التى ستفسد الوعاء الجميل المزمع أن يصنعه . فأعاد عجن الطين ليستخلص الشوائب قبل أن يضعه على دولاب الفخاري ثم يضعه فى الفرن الملتهب لمدة محسوبة بدقة ليخرجه فى الوقت المناسب وقد صار بالحق وعاءً جميلاً ثميناً ، وفى كل هذا لم تتذمر قطعة الطين لأنها تدرك أن هذا الفخاري له خطة رائعة ، حقاً مؤلمة ولكن نهايتها فى الأبدية السعيدة .

كان داود يعرف قيمة هذا التأديب وكأنه أدرك ذلك المعنى الذي أسهب بولس الرسول في شرحه فى رسالته للعبرانيين :

" **يَا ابْنِي لاَ تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ، وَلاَ تَخُرْ** (لا تضعف) **إِذَا وَبَّخَكَ.**

لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ.

إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ اللهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لاَ يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ ؟

وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلاَ تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ،

فَأَنْتُمْ نُغُولٌ لاَ بَنُونَ. (الأبناء الغير شرعيين هم الذين يرفضون تأديب أبيهم)

ثُمَّ قَدْ كَانَ لَنَا آبَاءُ أَجْسَادِنَا مُؤَدِّبِينَ، وَكُنَّا نَهَابُهُمْ.

أَفَلاَ نَخْضَعُ بِالأَوْلَى جِدّاً لأَبِي الأَرْوَاحِ، فَنَحْيَا ؟

لأَنَّ أُولَئِكَ أَدَّبُونَا أَيَّاماً قَلِيلَةً حَسَبَ اسْتِحْسَانِهِمْ،

وَأَمَّا هَذَا فَلأَجْلِ الْمَنْفَعَةِ، لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ.

وَلَكِنَّ كُلَّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لاَ يُرَى أَنَّهُ لِلْفَرَحِ بَلْ لِلْحَزَنِ.

وَأَمَّا أَخِيراً فَيُعْطِي الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ ثَمَرَ بِرٍّ لِلسَّلاَمِ. (عب ١٢ : ٥-١١)

وهكذا احتمل داود تأديب الرب صابراً شاكراً بل ومسبحاً الرب الذي لم يرذله بل افتقده وأظهر له محبته من خلال عصا التأديب ! وإذا كانت حبة اللُبان رائحتها عطرة وأنت ممسك بها في يدك فكم وكم يفوح عطرها عندما توضع فوق الجمرة الملتهبة ! هكذا كان داود في آخر مراحل حياته ، يشتعل ألماً فيفيض منه أروع وأصدق تسبيح .

موت ابن داود وبثشبع

وَضَرَبَ الرَّبُّ الْوَلَدَ الَّذِي وَلَدَتْهُ امْرَأَةُ أُورِيَّا لِدَاوُدَ فَثَقِلَ (مرض) . فَسَأَلَ دَاوُدُ اللهَ مِنْ أَجْلِ الصَّبِيِّ، وَصَامَ دَاوُدُ صَوْماً، وَدَخَلَ وَبَاتَ مُضْطَجِعاً عَلَى الأَرْضِ.فَقَامَ شُيُوخُ بَيْتِهِ عَلَيْهِ لِيُقِيمُوهُ عَنِ الأَرْضِ فَلَمْ يَشَأْ، وَلَمْ يَأْكُلْ مَعَهُمْ خُبْزاً. وَكَانَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ أَنَّ الْوَلَدَ مَاتَ، فَخَافَ عَبِيدُ دَاوُدَ أَنْ يُخْبِرُوهُ بِأَنَّ الْوَلَدَ قَدْ مَاتَ لأَنَّهُمْ قَالُوا: «هُوَذَا لَمَّا كَانَ الْوَلَدُ حَيّاً كَلَّمْنَاهُ فَلَمْ يَسْمَعْ لِصَوْتِنَا. فَكَيْفَ نَقُولُ لَهُ قَدْ مَاتَ الْوَلَدُ؟ يَعْمَلُ أَشَرَّ!». وَرَأَى دَاوُدُ عَبِيدَهُ يَتَنَاجَوْنَ، فَفَطِنَ دَاوُدُ أَنَّ الْوَلَدَ قَدْ مَاتَ.

+ فَقَالَ دَاوُدُ لِعَبِيدِهِ: «هَلْ مَاتَ الْوَلَدُ؟»

فَقَالُوا: «مَاتَ».

فَقَامَ دَاوُدُ عَنِ الأَرْضِ وَاغْتَسَلَ وَادَّهَنَ وَبَدَّلَ ثِيَابَهُ وَدَخَلَ بَيْتَ الرَّبِّ وَسَجَدَ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى بَيْتِهِ وَطَلَبَ فَوَضَعُوا لَهُ خُبْزاً فَأَكَلَ.

فَقَالَ لَهُ عَبِيدُهُ: «مَا هَذَا الأَمْرُ الَّذِي فَعَلْتَ؟ لَمَّا كَانَ الْوَلَدُ حَيّاً صُمْتَ وَبَكَيْتَ، وَلَمَّا مَاتَ الْوَلَدُ قُمْتَ وَأَكَلْتَ خُبْزاً !».

+ فَقَالَ:«لَمَّا كَانَ الْوَلَدُ حَيّاً صُمْتُ وَبَكَيْتُ لأَنِّي قُلْتُ: مَنْ يَعْلَمُ؟ رُبَّمَا يَرْحَمُنِي الرَّبُّ وَيَحْيَا الْوَلَدُ. وَالآنَ قَدْ مَاتَ، فَلِمَاذَا أَصُومُ؟ هَلْ أَقْدِرُ أَنْ أَرُدَّهُ بَعْدُ؟ أَنَا ذَاهِبٌ إِلَيْهِ وَأَمَّا هُوَ فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيَّ». وَعَزَّى دَاوُدُ بَثْشَبَعَ امْرَأَتَهُ وَدَخَلَ إِلَيْهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا فَوَلَدَتِ ابْناً، فَدَعَا اسْمَهُ سُلَيْمَانَ، وَالرَّبُّ أَحَبَّهُ، وَأَرْسَلَ بِيَدِ نَاثَانَ النَّبِيِّ وَدَعَا اسْمَهُ «يَدِيدِيَّا» مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ. (أي المحبوب من الرب) (٢صم١٢: ١٥-٢٥)

بدأت مرحلة التأديب التي تنبأ بها ناثان وكانت أول خطوة فيها هي موت ابن الزنا ، وبالطبع لم يكن الموت عقوبة للابن فهو برئ تماماً من ذنب والديه .

وما يلفت النظر هو هذا الإيمان العميق الذي واجه به داود مرض الولد ثم موته ، فأثناء مرضه لم يفقد الرجاء أبداً فى رحمة الله فصلى وصام وتذلل أمام الرب سبعة أيام كاملة ، وبعد موته لم يتذمر لعلمه أنه مستحق لهذا التأديب فقبله من يد الله بروح الشكر – رغم أن فقدان الابن هو أقسى تجربه يمر بها إنسان ، إلا أن داود قال واحدة من الجمل الخالدة **"أنا ذَاهِبٌ إِلَيْهِ وَأَمَّا هُوَ فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيَّ"** ولعل هذه هى الجملة الوحيدة التى نستطيع أن نعزي بها من يمر بتجربة مشابهة حيث أن أي كلام آخر قد يجعلنا معزين متعبين ، وهى فى نفس الوقت تعكس فكر الحياة الأبدية التي يؤمن بها داود وينتظرها .

ولا يكتفي داود بمغالبة أحزانه فقط بل يزيد على ذلك بأن يعزي امرأته بثشبع ، والتعزية من الشخص المُجَرَّب لها قوة وتأثير أعمق بينما الكلمات المنمقة المعادة الجوفاء من شخص بعيد عن التجربة قد يكون لها تأثير سلبي سيء وتجعل الشخص الحزين يتمنى الخلاص من هؤلاء الذين يزيدون جراحه بدلاً من مداواتها .

ورغم فاجعة موت الابن إلا أن الإصحاح لا ينتهي قبل أن يرسل الله لمسة التعزية متمثلة فى ولادة سليمان، الذي أحبه الرب وسماه يَديَديا أي المحبوب من الرب .

ومن نسل سليمان سيأتى المخلص – ابن داود الرب يسوع المسيح له المجد .

ومن العجيب أن سلسلة أنساب السيد المسيح الواردة فى إنجيل متى البشير يذكر بها أسماء أربع نساء ، ثلاث منهن زانيات ! وهن ثامار وراحاب وبثشبع . وكأن الله يخبرنا أنه يكره الخطيئة تماماً إلا أنه لا يكره الخطاة ! بل لقد أتى خصيصاً لهم .

ورغم بهجة داود بتوبته إلا أنه كان يعلم أن موت الابن ما هو إلا الخطوة الأولى من مشوار التأديب الذي أنبأه به ناثان وكان دائما يفكر كيف ستتم باقى النبوات... **السيف لا يغادر بيتك** .. هل هى المزيد من الحروب وهل ستكون حروب مع الأعداء أم بين الشعب ؟

أنت فعلت بالسر وأنا أفعل بالعلن ؟ هل سيفضحه الرب ويعلن خطيته أمام كل الشعب أم سيعتدى الأعداء على بناته أو زوجاته ؟

أمنون يغتصب أخته ثامار

بعد هذا حدث أن أمنون - الابن الأكبر لداود من زوجته أخينوعم - وقع فى شهوة شريرة وشاذة ، إذ اشتهى أخته ثامار شقيقة أبشالوم بنت معكة ، وتملكت الفكرة على كل كيانه حتى أنه مرض بسبب شدة الشهوة المسيطرة عليه ، وكان لأمنون ابن عم اسمه يوناداب فلما استعلم منه عن سبب مرضه أشار عليه بخطة شيطانية وهي أن يتمارض ويطلب من أبيه أن تأتي ثامار لتطعمه وتُمَرِّضه وهكذا استدرج أمنون الفتاة إلى الفخ ، وانفرد بها واغتصبها عنوة ولم يرّق قلبه لتوسلاتها المتكررة ، وبعد ما أكمل جريمته طردها شر طردة ، فذهبت الفتاة باكية إلى شقيقها أبشالوم ، فطلب منها الهدوء والتريث حتى يأخذ لها حقها .

وعرف داود بالمأساة كلها فاغتاظ جداً ، ولكنه لم يفعل شيئاً لأمنون ، ولم يعاقبه . أو حتى يعاتبه ، وكيف يفعل وهو الذي ارتكب ما هو أبشع من ذلك . وهكذا كسرته الخطية ففقد الحزم والحسم تجاه ابنه المارق ، وتداعت إلى ذاكرته كلمات ناثان النبي وبدأ يشرب من نفس الكأس التى سقاها لأوريا فكظم غيظه وغضبه مستسلماً فى ضعف وذلة .

أبشالوم يقتل أمنون أخاه انتقاما لشرف أخته ثامار ثم يهرب

وانتظر أبشالوم طويلا ... عامين كاملين ، فلما وجد أباه مرتخي اليدين عاجزاً عن عقاب أمنون قرر أن ينتقم بنفسه لشرف شقيقته .

فدعا أخوته جميعاً إلى وليمة فى بيته وأمر عبيده فقتلوا أمنون ، ووصل الخبر مغلوطاً إلى داود أن أبشالوم قد قتل كل أخوته ، فانهار المسكين ومزق ثيابه واضطجع على الأرض وقد اسودت الدنيا فى عينيه ولكن يوناداب ابن أخيه الذي دبر خطة الاغتصاب طمأنه أن هذا الانتقام كان موجهاً ضد أمنون وحده فقط .

وسرعان ما عاد سائر الأبناء يغالبون دموعهم وهم يقصُّون عليه تفاصيل الاغتيال . وتراكمت الأحزان على قلب داود، فأولاً شهد موت ابن بثشبع ولكنه تماسك وتحامل على نفسه وتعزى بميلاد سليمان .أما الآن فابنته ثامارمغتصبة ، وابنه البكر أمنون قتيل ، وابنه أبشالوم قاتل وهارب من وجه أبيه لدى أسرة أمه عند تلماي ملك جشور

الوثني ، وداود يشتاق إليه طوال ثلاث سنوات ولكنه فى نفس الوقت لا يستطيع أن يقول له عد فقد سامحتك .

وكان داود في كل ذلك لا يتذمر ولا يتبرم فهو يعلم أنه يؤدب تأديباً مستحقاً على جرم يستوجب الموت ، ولكن توالي المصائب سريعاً كان يُذكّره بما حدث قبلاً لأيوب وقول صديقه أليفاز التيماني " **هُوَذَا طُوبَى لِرَجُل يُؤَدِّبُهُ اللهُ. فَلاَ تَرْفُضْ تَأْدِيبَ الْقَدِيرِ. لأَنَّهُ هُوَ يَجْرَحُ وَيَعْصِبُ. يَسْحَقُ وَيَدَاهُ تَشْفِيَانِ.** " (أي ٥: ١٧-١٨)

ويسكب داود دموعه أمام الرب طالباً الرحمة شاكراً الرب أنه يؤدبه دون أن يرفضه.

يوآب يصالح داود مع ابنه أبشالوم

ورأى يوآب أن الموقف قد تأزم . فقرر أن يعمل خيراً ولو لمرة واحدة فى حياته ، فأوصى امرأة حكيمة أن تدخل على داود بقصة مُختَلَقة فتدعي أنها أرملة لها ابنان قتل أحدهما الآخر وكل العشيرة تريد الانتقام من الابن القاتل مما يجعلها تفقد الثاني بعدما فقدت الأول ولذا فهي ترجوه أن يصدر عفواً ملكياً عن ابنها ، ففهم داود مقصدها وسألها مباشرة : هل ليوآب يد فى هذه القصة ؟ فأقرت بالحقيقة ، فأرسل داود إلى يوآب يخبره أنه يُسمح لأبشالوم أن يعود من منفاه إلى أورشليم بشرط ألا يدخل إلى قصر أبيه ولا يراه .

وبالفعل عاد أبشالوم وظل سنتين مقيماً بأورشليم لا يرى داود فطلب من يوآب أن يعجل بالصلح بينه وبين أبيه ،فلما تقاعس يوآب أرسل أبشالوم عبيداً فحرقوا حقل يوآب ، ولعل هذا يرينا جانباً من شخصية أبشالوم العنيفة ، وقام يوآب بالوساطة بين الملك وابنه فتعانقا طويلاً بعد خمس سنوات كاملة من الفراق والقطيعة .

وكان أبشالوم رجلا جميل الطلعة وسيماً رشيقاً حريصاً على مظهره وأناقته لا سيما خصلات شعره المتهدل، ويلفت نظر الشعب بجماله خاصة الذين ينظرون إلى العينين لا إلى القلب فيخدعهم مظهره غافلين عن جوهره ويصفه لنا الوحي بهذه الكلمات:

"**وَلَمْ يَكُنْ فِي كُلِّ إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ جَمِيلٌ وَمَمْدُوحٌ جِدّاً كَأَبْشَالُومَ، مِنْ بَاطِنِ قَدَمِهِ حَتَّى هَامَتِهِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ عَيْبٌ. وَعِنْدَ حَلْقِهِ رَأْسَهُ، إِذْ كَانَ يَحْلِقُهُ فِي آخِرِ كُلِّ سَنَةٍ، لأَنَّهُ كَانَ**

يَثْقُلُ عَلَيْهِ فَيَحْلِقُهُ ، كَانَ يَزِنُ شَعْرَ رَأْسِهِ مِئَتَيْ شَاقِلٍ (٢,٥كجم!) بِوَزْنِ الْمَلِكِ." (٢صم١٤: ٢٥-٢٦)

أبشالوم يخطط للاستيلاء على العرش

ولم يكن اهتمام أبشالوم بمظهره إلا جزءاً من خطة أكبر تهدف إلى الاستيلاء على العرش خطط لها بخبث شديد فقد كان يدرك جيداً أنه لن يتيسر له الوصول للحكم لأنه ليس الابن البكر ، كما أن جريمة اغتيال أمنون لن تجعل أباه يختاره لخلافته أبداً وهكذا بدأ السعي لتنفيذ خطته . فأعد لنفسه مركبة تجرها الخيول وخمسين رجلا يجرون قدامه حتى يضفى على موكبه هيبة ووقاراً فيشعر كل من يتكلم معه أن هذا هو الملك القادم .

ومن أول ساعات النهار كان يقف عند باب المدينة ليقابل كل صاحب شكوى متظاهراً بالمودة والتواضع واللهفة على مساعدته ، ولكنه للأسف لا يملك السلطة التي تمكنه من إعطائه حقه المشروع ، لكنه يعده أن الوضع سيتحسن كثيراً بمجرد وصوله إلى السلطة فيحقق العدالة التي أصبح الملك العجوز عاجزاً عن تحقيقها . ومع توالي الأيام اكتسب أبشالوم شعبية وصار له أنصار بين مختلف الأسباط .

ولما اطمأن أبشالوم أن موقفه أصبح قوياً بما يكفي بدأ يعد للمرحلة الثانية من خطته، فاستأذن من داود أن يدعه يذهب إلى حبرون للوفاء بنذر قديم . وحبرون وهي أكبر مدن يهوذا التي شهدت تتويج داودا ملكاً على يهوذا قبل تتويجه على كل إسرائيل .

واصطحب أبشالوم مائتي رجل من أنصاره كان معظمهم يجهل حقيقة نواياه ، وأرسل آخرين لسائر الأسباط ليهيئوا الشعب للانقلاب المزمع أن يقوم به الابن على أبيه .

ولا ندري هل كان داود الملك المخضرم غافلاً عما يخطط له الابن الماكر ؟ أم أنه تعمد تكذيب ما يراه بعينيه حتى لا يجد نفسه فى مواجهة مع فلذة كبده .؟ أو لأنه يعلم أن كل ما يحدث هو حلقة فى سلسلة التأديب التي يجب عليه أن يقبلها من يد القدير.

أخيتوفل يخون داود وينضم لأبشالوم

كان أخيتوفل واحداً من أهم المستشارين السياسيين والعسكريين لداود لمدة عشرين عاماً وكانت مشورته دوماً حكيمة . وكان انضمامه لأي من طرفين متحاربين كفيلاً

بترجيح الكفة التي ينضم إليها . هذا الرجل حسم الأمر سريعاً وانضم لأبشالوم على الفور، ولكن لماذا ؟

يذكر سفر صموئيل أن والد بثشبع يُدعى أليعام ، ويذكر سفر الأخبار أن أليعام هو ابن أخيتوفل ، فإذا استبعدنا تشابه الأسماء – أيْ ألا يكون هناك أكثر من أليعام - فيكون أخيتوفل هو جد بثشبع وأنه كشف خطية داود وتعمد خيانته انتقاماً لأوريا زوج حفيدته .

أبشالوم يعلن نفسه ملكاً وداود يهرب

ونجحت خطة أبشالوم ودوت الأبواق فى حبرون معلنة عن الملك الجديد ، واستجاب له الكثيرون وحدثت فتنة خطيرة بين الشعب وأصبحت البلاد على وشك حرب أهلية بين أنصار داود الملك الشرعي الذي مسحه صموئيل النبي وابنه أبشالوم .

ووصلت أخبار الانقلاب إلى داود فوجد نفسه بين اختيارين أحلاهما مر .

الأول أن يضحى بكرامته يسرع بالفرارليتفادي محاربة ابنه ويحاول حقن الدماء .

والثاني أن يتحصن فى أورشليم وينتظرقدوم أبشالوم لتحدث مواجهة عسكرية دموية، وكان رؤساء جيشه يتمنون حدوث هذه المواجهة ليسحقوا هذا التمرد فى مهده .

ولكن داود الأب فضل الحل السلمي وخرج هاربا ومعه الكثير من أنصاره وعبيده ، معظمهم غير مقتنع بمنطق داود فى الانسحاب ولكنهم يتبعونه حباً لا اقتناعاً .

وترك داود في منزله عشر سراري (وهن الجواري اللاتي تزوجهن داود) ليحفظن بيته من ناحية ، و من ناحية أخرى لأنه لم يتخيل أن ابنه قد يؤذى نساء أبيه .

وما أقل الذين يقبلون الانسحاب وهم على حق، بل إن كثيرين يأبون الانسحاب حتى وهم مخطئون ولذا تشتعل الخلافات أكثر فيجد إبليس لنفسه أماكن فى بيوتنا وكنائسنا.

ووسط خضم هذه الأحداث المتلاحقة عاش داود بعضاً من أصعب أيام حياته ، فهو طالما حارب أعداء وطالما هرب من مطاردة شاول له ، أما اليوم فخصمه هو ابنه المحبوب أبشالوم الجميل المحيا الذي كان فى طفولته يجلسه على ركبتيه ليداعب شعره الغزير ، يأتي اليوم ليعلن الحرب عليه ! أبشالوم الذي كان بالأمس يتعلم النطق من أبويه اليوم يتكلم بالشر عن أبيه ويستعدي عليه رعيته ! أبشالوم الذي كان يحلو

له اللعب بسيف خشبي مع والده اليوم يشهر سيفه طالباً رأس أبيه ! ويبيت داود هارباً فى العراء ولسان حاله يقول :

أعلمه الرمـاية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

و كم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجـاني

ووسط مرارة آلام التأديب تخرج كلمات التسبيح صادقة لتكون خير سند لداود فى محنته :

المَزْمُورُ الثَّالِثُ ***مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ حِينَمَا هَرَبَ مِنْ وَجْهِ أَبْشَالُومَ ابْنِهِ***

يَا رَبُّ مَا أَكْثَرَ مُضَايِقِيَّ. كَثِيرُونَ قَائِمُونَ عَلَيَّ.

ابشالوم ورجاله كلهم كانوا أتباعي لقد اختبر داود فى هذه المرحلة من حياته بعضاً من مشاعر السيد المسيح وهو يتجرع مرارة الغدر والخيانة من أقرب الأحباء .

كَثِيرُونَ يَقُولُونَ لِنَفْسِي: [لَيْسَ لَهُ خَلاَصٌ بِإِلَهِهِ]. سِلاَهْ.

واصعب التجارب هي حرب اليأس التي تشككني فى جدوى تبعيتي لك

أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَتُرْسٌ (درع) لِي. مَجْدِي وَرَافِعُ رَأْسِي.

بِصَوْتِي إِلَى الرَّبِّ أَصْرُخُ فَيُجِيبُنِي مِنْ جَبَلِ قُدْسِهِ. سِلاَهْ.

ووسط هذه الضيقة العظيمة تظل ثقتي أنك أنت الدرع الذي يحميني ، فأنا الآن حافي القدمين مغطى الراس منحنيا ، ولكن بك أنت ارفع رأسي صارخاً إليك فتجيبني .

أَنَا اضْطَجَعْتُ وَنِمْتُ. اسْتَيْقَظْتُ لأَنَّ الرَّبَّ يَعْضُدُنِي.

لاَ أَخَافُ مِنْ رِبْوَاتِ الشُّعُوبِ الْمُصْطَفِّينَ عَلَيَّ مِنْ حَوْلِي.

نام داود على أرض الجبل مطمئناً لأن الرب أعطاه سلاما بعد التسبيح .

قُمْ يَا رَبُّ. خَلِّصْنِي يَا إِلَهِي.

يقال هذا المزمور ضمن مزامير صلاة باكر كنبوة عن قيامة السيد المسيح

لأَنَّكَ ضَرَبْتَ كُلَّ أَعْدَائِي عَلَى الْفَكِّ. هَشَّمْتَ أَسْنَانَ الأَشْرَارِ.

لِلرَّبِّ الْخَلاَصُ. عَلَى شَعْبِكَ بَرَكَتُكَ. سِلاَهْ.

يتكلم داود بصيغة الماضي عن خلاص لم يتحقق بعد لأنه واثق تماماً فى حدوثه .

في الضيقة تظهر الحقيقة

وفى رحلة الخروج من أورشليم تبرز عدة شخصيات معظمها جديد على القارئ . وكل منهم يتخذ موقفاً يبرز حقيقة معدنه الذي يبدو جلياً وقت الشدائد .

وما أشبه موقف داود بموقف رب المجد يسوع الذي خرج من أورشليم حاملاً صليبه فوجد الأوفياء والخائنين ، وجد من يحمل معه الصليب ومن يشمت فيه . لنتأمل معاً مواقف هؤلاء ونربطها بالمواقف التى حدثت مع رب المجد .

أ- موقف إتاى الجتى :

وَخَرَجَ الْمَلِكُ وَكُلُّ الشَّعْبِ فِي أَثَرِهِ وَوَقَفُوا عِنْدَ الْبَيْتِ الأَبْعَدِ. وَجَمِيعُ عَبِيدِهِ كَانُوا يَعْبُرُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَعَ جَمِيعِ الْجَلاَّدِينَ وَالسُّعَاةِ وَجَمِيعُ الْجَتِّيِّينَ (من سكان مدينة جت الفلسطينية) ، **سِتُّ مِئَةِ رَجُلٍ أَتُوا وَرَاءَهُ مِنْ جَتَّ، وَكَانُوا يَعْبُرُونَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ.**

+ **فَقَالَ الْمَلِكُ لإِتَّايَ الْجَتِّيِّ: «لِمَاذَا تَذْهَبُ أَنْتَ أَيْضاً مَعَنَا؟ اِرْجِعْ وَأَقِمْ مَعَ الْمَلِكِ** (أبشالوم) **لأَنَّكَ غَرِيبٌ وَمَنْفِيٌّ أَيْضاً مِنْ وَطَنِكَ. أَمْساً جِئْتَ وَالْيَوْمَ أُتِيهُكَ بِالذَّهَابِ مَعَنَا وَأَنَا أَنْطَلِقُ إِلَى حَيْثُ أَنْطَلِقُ؟ اِرْجِعْ وَرَجِّعْ إِخْوَتَكَ. الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ مَعَكَ».**

فَأَجَابَ إِتَّايُ الْمَلِكَ: «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ وَحَيٌّ سَيِّدِي الْمَلِكُ، إِنَّهُ حَيْثُمَا كَانَ سَيِّدِي الْمَلِكُ - إِنْ كَانَ لِلْمَوْتِ أَوْ لِلْحَيَاةِ - فَهُنَاكَ يَكُونُ عَبْدُكَ أَيْضاً».

+ **فَقَالَ دَاوُدُ لإِتَّايَ: «اذْهَبْ وَاعْبُرْ». فَعَبَرَ إِتَّايُ الْجَتِّيُّ وَجَمِيعُ رِجَالِهِ وَجَمِيعُ الأَطْفَالِ الَّذِينَ مَعَهُ.** (٢صم ١٥ : ١٦-٢٣)

ستمائة رجل من مدينة جت الفلسطينية مسقط رأس جليات الجبار ، على رأسهم شيخ عجوز يدعى إتاي . أحبوا داود وتبعوه ، و يُعتقَد أنهم قد آمنوا بإله إسرائيل فاختتنوا و تهوّدوا لأنهم رأوا في داود القدوة التي يجدر بهم أن يتبعوها . وقرروا أن يرافقوه فى محنته فأشفق داود على الشيخ العجوز مما قد يلاقيه في رحلة المجهول، وطمأنه أنه لا عتاب عليه إذا فضل البقاء مع أبشالوم، ولكن إتاي رفض وأخبره أنه لا يخشى الموت ولا يشفق على شيخوخته ، ولكن ما يهمه أن يظل فى رفقة داود ما بقى له من أيام قليلة فى الحياة . و فى الأزمات تبدو معادن الرجال . وحقاً صدق من قال :

جزى الله الشدائد كل خير   عرفت بها عدوي من صديقي

ب ـ موقف الكاهنين أبياثار وصادوق :

وَكَانَتْ جَمِيعُ الأَرْضِ تَبْكِي بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَجَمِيعُ الشَّعْبِ يَعْبُرُونَ.
وَعَبَرَ الْمَلِكُ فِي وَادِي قَدْرُونَ وَعَبَرَ جَمِيعُ الشَّعْبِ نَحْوَ طَرِيقِ الْبَرِّيَّةِ.
وَإِذَا بِصَادُوقَ أَيْضاً وَجَمِيعُ اللاَّوِيِّينَ مَعَهُ يَحْمِلُونَ تَابُوتَ عَهْدِ اللَّهِ. فَوَضَعُوا تَابُوتَ اللَّهِ، وَصَعِدَ أَبِيَاثَارُ حَتَّى انْتَهَى جَمِيعُ الشَّعْبِ مِنَ الْعُبُورِ مِنَ الْمَدِينَةِ.
+ فَقَالَ الْمَلِكُ لِصَادُوقَ: «أَرْجِعْ تَابُوتَ اللَّهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَإِنْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ فَإِنَّهُ يُرْجِعُنِي وَيُرِينِي إِيَّاهُ وَمَسْكَنَهُ.
وَإِنْ قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُسَرَّ بِكَ، فَهَا أَنَا ذَا. فَلْيَفْعَلْ بِي حَسَبَمَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْهِ».
+ ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ لِصَادُوقَ الْكَاهِنِ: «أَأَنْتَ رَاءٍ؟ (صاحب رؤية) **فَارْجِعْ إِلَى الْمَدِينَةِ بِسَلاَمٍ أَنْتَ وَأَخِيمَعَصُ ابْنُكَ وَيُونَاثَانُ بْنُ أَبِيَاثَارَ. ابْنَاكُمَا كِلاَهُمَا مَعَكُمَا. انْظُرُوا. أَنِّي أَتَوَانَى فِي سُهُولِ الْبَرِّيَّةِ حَتَّى تَأْتِيَ كَلِمَةٌ مِنْكُمْ لِتَخْبِيرِي». فَأَرْجَعَ صَادُوقُ وَأَبِيَاثَارُ تَابُوتَ اللَّهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَأَقَامَا هُنَاكَ.** (٢صم ١٥ : ٢٣ – ٢٩)

أثبت أبياثار وصادوق الكاهنان صدق ولائهما لداود فخرجا معه وحمل اللاويون تابوت العهد معهم ، أما داود فكان له رأي آخر فهو لا يريد أن يُعرّض التابوت للمخاطرة ويفضل بقاءه فى أورشليم تكريماً له من ناحية وعلامة عن رضا الرب عليه من ناحية أخرى ، فإن سمح الرب بعودة داود للتابوت في أورشليم فهي علامة رضاه وإن رفض فهي علامة غضبه .

أما صادوق وأبياثار وابناهما أخيمعص ويوناثان فقد رأى داود أن يبقوا فى أورشليم ليكونوا عيوناً له عما يفعله أبشالوم ويستطيع الابنان أن يوصلا الأخبار إليه فى الوقت المناسب.

ج ـ داود يعرف موقف أخيتوفل الخائن

وَأَمَّا دَاوُدُ فَصَعِدَ فِي مَصْعَدِ جَبَلِ الزَّيْتُونِ. كَانَ يَصْعَدُ بَاكِياً وَرَأْسُهُ مُغَطًّى وَيَمْشِي حَافِياً، وَجَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِينَ مَعَهُ غَطُّوا كُلُّ وَاحِدٍ رَأْسَهُ، (كانت هذه علامات التذلل والانسحاق أمام الله ، لعله ينظر إليه ويستجيب)

وَكَانُوا يَصْعَدُونَ وَهُمْ يَبْكُونَ. وَأُخْبِرَ دَاوُدُ إِنَّ أَخِيتُوفَلَ بَيْنَ الْفَاتِنِينَ مَعَ أَبْشَالُومَ، فَقَالَ دَاوُدُ: «حَمِّقْ (اجعلها حمقاء) **يَا رَبُّ مَشُورَةَ أَخِيتُوفَلَ».** (٢صم ١٥: ٣٠ - ٣١)

كانت خيانة أخيتوفل إحدى الصدمات القاسية لداود ، ولكن خيانة هذا الرجل ما هي إلا جرح بسيط يهون ألمه إذا ما قورن بالطعنة الغادرة التى طعنه بها ابنه ، ولكن المشكلة أن هذا الرجل الداهية لم تخب له مشورة أبداً ووجوده مع أبشالوم سيرجح كَفَّتَه ، لذا استخدم داود أقوى أسلحته فى مواجهة دهاء أخيتوفل ، صلاة قصيرة من خمس كلمات **«حَمِّقْ يَا رَبُّ مَشُورَةَ أَخِيتُوفَلَ»** وما زلنا نستخدم نفس الكلمات فى كل عشية ورفع بخور. ومع تذلل داود وانسحاقه شقت هذه الصلاة السهمية طريقها إلى عرش الله وأتت ثمارها كما سنرى .

د - موقف حوشاى الأركي

وَلَمَّا وَصَلَ دَاوُدُ إِلَى الْقِمَّةِ حَيْثُ سَجَدَ لِلَّهِ، (لأن القمة موقع عسكري آمن)
إِذَا بِحُوشَايَ الأَرْكِيِّ قَدْ لَقِيَهُ مُمَزَّقَ الثَّوْبِ وَالتُّرَابُ عَلَى رَأْسِهِ. (مشاركة لداود)
فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: «إِذَا عَبَرْتَ مَعِي تَكُونُ عَلَيَّ حِمْلاً. (نظراً لضعف صحتك)
وَلَكِنْ إِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقُلْتَ لأَبْشَالُومَ: أَنَا أَكُونُ عَبْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ. أَنَا عَبْدُ أَبِيكَ مُنْذُ زَمَانٍ وَالآنَ أَنَا عَبْدُكَ. فَإِنَّكَ تُبْطِلُ لِي مَشُورَةَ أَخِيتُوفَلَ.
أَلَيْسَ مَعَكَ هُنَاكَ صَادُوقُ وَأَبِيَاثَارُ الْكَاهِنَانِ. فَكُلُّ مَا تَسْمَعُهُ مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ فَأَخْبِرْ بِهِ صَادُوقَ وَأَبِيَاثَارَ الْكَاهِنَيْنِ. هُوَذَا هُنَاكَ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا أَخِيمَعَصُ لِصَادُوقَ وَيُونَاثَانُ لأَبِيَاثَارَ. فَتُرْسِلُونَ عَلَى أَيْدِيهِمَا إِلَيَّ كُلَّ كَلِمَةٍ تَسْمَعُونَهَا». فَأَتَى حُوشَايُ صَاحِبُ دَاوُدَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَبْشَالُومُ يَدْخُلُ أُورُشَلِيمَ. (٢صم ١٥ : ٣٢- ٣٧)

كان حوشاي هو ثاني المستشارين العسكريين بعد أخيتوفل الرجل الأول ، ورغم شيخوخته إلا أنه لم يتردد فى الخروج مع داود، ولكن الله ألهم داود الحكمة أن يطلب من حوشاي العودة وادعاء الولاء لأبشالوم حتى يكون له جاسوساً عسكريا ، ينقل له الأخبار عبر الجواسيس الآخرين أبياثار وصادوق وابنيهما.

<u>تأمل روحي</u> <u>مكانك فى الخدمة</u> تتنوع الخدمات فى الكنائس كثيراً حتى يصعب حصرها ولا يهم أين تخدم بقدر ما يهم أن تكون فى الموقع الذي يريده لك الله فقد

يكون أنسب مكان لك بجوار داود مثل أتاي الجتي أو تكون في موقع بعيد تماماً مثل حوشاي وصادوق وأبياثار، المهم أن تكون دائما في خدمة القدير حيثما يريد هو .

هـ - موقف صيبا غلام مفيبوشث بن يوناثان

وَلَمَّا عَبَرَ دَاوُدُ قَلِيلاً عَنِ الْقِمَّةِ إِذَا بِصِيبَا غُلاَمِ مَفِيبُوشَثَ قَدْ لَقِيَهُ بِحِمَارَيْنِ مَشْدُودَيْنِ، عَلَيْهِمَا مِئَتَا رَغِيفِ خُبْزٍ وَمِئَةُ عُنْقُودِ زَبِيبٍ وَمِئَةُ قُرْصِ تِينٍ وَزِقُّ خَمْرٍ.

+ فَقَالَ الْمَلِكُ لِصِيبَا: «مَا لَكَ وَهذِهِ؟»

فَقَالَ صِيبَا: «اَلْحِمَارَانِ لِبَيْتِ الْمَلِكِ لِلرُّكُوبِ، وَالْخُبْزُ وَالتِّينُ لِلْغِلْمَانِ لِيَأْكُلُوا، وَالْخَمْرُ لِيَشْرَبَهُ مَنْ أَعْيَا (تعب) **فِي الْبَرِّيَّةِ».**

+ فَقَالَ الْمَلِكُ: «وَأَيْنَ ابْنُ سَيِّدِكَ؟»

فَقَالَ صِيبَا لِلْمَلِكِ: «هُوَذَا هُوَ مُقِيمٌ فِي أُورُشَلِيمَ، لأَنَّهُ قَالَ: الْيَوْمَ يَرُدُّ لِي بَيْتُ إِسْرَائِيلَ مَمْلَكَةَ أَبِي (مملكة شاول) **».**

+ فَقَالَ الْمَلِكُ لِصِيبَا: «هُوَذَا لَكَ كُلُّ مَا لِمَفِيبُوشَثَ».

فَقَالَ صِيبَا: «سَجَدْتُ! لَيْتَنِي أَجِدُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ يَا سَيِّدِي الْمَلِكَ».(٢صم٦ : ١-٤)

خبيث جدا هذا العبد المدعو صيبا ، خرج حاملاً بضع هدايا لداود مدعيا أن سيده مفيبوشث شمتان فى داود وينتظر عودة العرش إليه كوريث لشاول ملك إسرائيل .

ومفيبوشث المسكين ابن يوناثان المحبوب أعرج القدمين ، حركته صعبة ولا يستطيع أن يخرج وراء داود مدافعاً عن نفسه ، ففعلها صيبا واصطاد فى الماء العكر، ونظراً لحالة داود النفسية السيئة فقد صدق الكذبة وخانته حكمته فلم ينتظر حتى يسمع الطرف الآخر ، وأصدر حكما متعجلاً بمصادرة أملاك مفيبوشث وإعطائها لخادمه صيبا ...... أرجوك يا صديقي لا تتعجل ، وإياك ان تسمع من طرف واحد فقط فما أكثر ما تسرعنا وندمنا .

و - موقف شمعي بن جيرا

وَلَمَّا جَاءَ الْمَلِكُ دَاوُدُ إِلَى بَحُورِيمَ إِذَا بِرَجُل خَارِجٍ مِنْ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَةِ بَيْتِ شَاوُلَ اسْمُهُ شِمْعِي بْنُ جِيرَا، يَسُبُّ وَهُوَ يَخْرُجُ، وَيَرْشُقُ بِالْحِجَارَةِ دَاوُدَ وَجَمِيعَ عَبِيدِ الْمَلِكِ دَاوُدَ وَجَمِيعُ الشَّعْبِ وَجَمِيعُ الْجَبَابِرَةِ (جنود داود) **عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ.**

وَهَكَذَا كَانَ شَمْعِي يَقُولُ فِي سَبِّهِ: «اخْرُجِ اخْرُجْ يَا رَجُلَ الدِّمَاءِ وَرَجُلَ بَلِيَّعَالَ! (شرير) قَدْ رَدَّ الرَّبُّ عَلَيْكَ كُلَّ دِمَاءِ بَيْتِ شَاوُلَ الَّذِي مَلَكْتَ عِوَضاً عَنْهُ، وَقَدْ دَفَعَ الرَّبُّ الْمَمْلَكَةَ لِيَدِ أَبْشَالُومَ ابْنِكَ، وَهَا أَنْتَ وَاقِعٌ بِشَرِّكَ لأَنَّكَ رَجُلُ دِمَاءٍ!»

□ فَقَالَ أَبِيشَايُ ابْنُ صَرُويَةَ لِلْمَلِكِ: «لِمَاذَا يَسُبُّ هَذَا الْكَلْبُ الْمَيِّتُ سَيِّدِي الْمَلِكَ؟ دَعْنِي أَعْبُرْ فَأَقْطَعَ رَأْسَهُ».

+ فَقَالَ الْمَلِكُ: «مَا لِي وَلَكُمْ يَا بَنِي صَرُويَةَ؟ دَعُوهُ يَسُبُّ لأَنَّ الرَّبَّ قَالَ لَهُ: سُبَّ دَاوُدَ. وَمَنْ يَقُولُ: لِمَاذَا تَفْعَلُ هَكَذَا؟» وَقَالَ دَاوُدُ لأَبِيشَايَ وَلِجَمِيعِ عَبِيدِهِ: «هُوَذَا ابْنِي الَّذِي خَرَجَ مِنْ أَحْشَائِي يَطْلُبُ نَفْسِي، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الآنَ بِنْيَامِينِيٌّ؟ دَعُوهُ يَسُبُّ لأَنَّ الرَّبَّ قَالَ لَهُ. لَعَلَّ الرَّبَّ يَنْظُرُ إِلَى مَذَلَّتِي وَيُكَافِئُنِي الرَّبُّ خَيْراً عِوَضَ مَسَبَّتِهِ بِهَذَا الْيَوْمِ». وَإِذْ كَانَ دَاوُدُ وَرِجَالُهُ يَسِيرُونَ فِي الطَّرِيقِ كَانَ شَمْعِي يَسِيرُ فِي جَانِبِ الْجَبَلِ مُقَابِلَهُ وَيَسُبُّ وَهُوَ سَائِرٌ وَيَرْشُقُ بِالْحِجَارَةِ مُقَابِلَهُ وَيَذْرِي التُّرَابَ. (٢صم١٦ : ٥-١٣)

أثناء حكم شاول تمتعت عشيرته بل وسبط بنيامين كله بالكثير من المزايا التي زالت عنهم بعد ما انتقل الحكم إلى داود وسبط يهوذا ، فكان خروج داود ذليلاً بهذا المنظر فرصة للشامتين المتحفزين كي ينفثوا سمومهم ، وكان شمعي بن جيرا أطولهم لساناً ويداً فاوسع داود سباً وقذفاً بالحجارة !

وكما استطاع داود منذ ربع قرن السيطرة على ٦٠٠ محارب فى المغارة لئلا يفتكوا بشاول الملك استطاع اليوم أيضاً ان يكبح جماح الوحوش الكاسرة المرافقة له لا سيما أبيشاي ويوآب ابني صروية أخته فكل منهما كان جبار بأس يفتك بالمئات بطرف سيفه ، وفى القديم كانت حجة داود للحفاظ على شاول أنه مسيح الرب ، ولكن من هو هذا النكرة حتى يبقوا على حياته .

ولكن داود كان لديه منطق عجيب وحكمة عميقة جداً ، فقد رأى أنه مستحق للسباب واللعنات، ليس لأنه غدر بشاول - فهو بريء من دمه - ولكن لأنه غدر بأوريا، ربما لا يعرف عنه شمعي شيئاً ، وقد مر على الموضوع سنوات ولكن خطية داود كانت أمامه في كل حين ويعرف أن كل ما يحدث ما هو إلا حلقة فى سلسة التأديبات . وأن الممسك بعصا التأديب هو الرب الذي يسمح بها . فتقبلها داود بصدر رحب من يدي

الله ، لا من يدي شمعي . ثم إذا كان ابنه يريد أن يقتله ، أكثير على هذا الرجل أن يسبه أو يرشقه بالحجارة ؟

تأمل روحي بين تمرد الأبناء وشماتة الأعداء : أكاد أسمع السيد المسيح وهو يقول نفس الكلمات إذ يرى أبناءه يتمردون عليه ويعصونه، ثم ينزعج البعض بشدة عندما يأتي آخرون من خارج الكنيسة يجدفون عليه ، فأيهما أولى بالحزن تمرد الأبناء أم تجديف الغرباء ؟

إلى كل نفس تقف مع أبيشاي وتطلب دم شمعي بن جيرا ، أو بمعنى أوضح تطلب الانتقام من كل من يجدف على اسم المسيح . نرجوهم أن يوجهوا غيرتهم المقدسة إلى تبشير وتهذيب الأبناء المتمردين ، أما شمعي وإخوانه من المجدفين فيكفيهم أن يتعلموا الآن من تسامح داود ومن سياسة الخد الآخر فإن فهموا ربحوا أنفسهم وإن عاندوا سيحدث معهم ما حدث مع شمعى كما سنرى فيما بعد .

طوباك يا داود يا من عرفت كيف تستدر ينبوع المراحم الإلهية إذ تُهان مظلوماً فتصمت كسيدك ونفذت قول الرب قبل أن يتفوه به "**طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ مِنْ أَجْلِي كَاذِبِينَ. اِفْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُمْ هَكَذَا طَرَدُوا الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ.** "(مت ٥ : ١١-١٢)

الْمَزْمُورُ السَّابِعُ شَجَوِيَّةٌ (أغنية حزينة) لِدَاوُدَ غَنَّاهَا لِلرَّبِّ بِسَبَبِ كَلاَمِ كُوشَ (أسمر البشرة) الْبِنْيَامِينِيِّ (شمعي بن جيرا)

ومع موقف جديد من تسبيح الألم يترنم داود بهذاالمزمور بسبب تعيير شمعي بن جيرا له ، فكان يقاوم رد الفعل البشري الطبيعي الذي يدعوه إلى الانتقام ، عن طريق التسبيح ورفع قلبه إلى الله حتى يعطيه الحكمة وضبط النفس ورد الإساءة بالإحسان.

يَا رَبُّ إِلَهِي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ. خَلِّصْنِي مِنْ كُلِّ الَّذِينَ يَطْرُدُونَنِي وَنَجِّنِي

لِئَلاَّ يَفْتَرِسَ كَأَسَدٍ نَفْسِي هَاشِماً إِيَّاهَا وَلاَ مُنْقِذَ

يَا رَبُّ إِلَهِي إِنْ كُنْتُ قَدْ فَعَلْتُ هَذَا. إِنْ وُجِدَ ظُلْمٌ فِي يَدَيَّ. إِنْ كَافَأْتُ مُسَالِمِي شَرّاً

وَسَلَبْتُ مُضَايِقِي بِلاَ سَبَبٍ فَلْيُطَارِدْ عَدُوٌّ نَفْسِي وَلْيُدْرِكْهَا وَلْيَدُسْ إِلَى الأَرْضِ حَيَاتِي وَلْيَحُطَّ إِلَى التُّرَابِ مَجْدِي. سِلاَهْ. *(كان داود بريئاً من التهم التى وجهها إليه شمعي ، ولكنه يعلم أنه يستحق التعيير بسبب تهم أخرى ، وهكذا كل مظلوم على الأرض قد يكون بريئاً مما ينسب إليه ولكنه مذنب فى أمور أخرى قد تكون خافية على الناس ، وينطبق هذا على جميع المظلومين ، ماعدا الرب يسوع فقط فهو الذي ظُلِم دون أن يرتكب إثماً واحداً)*

قُمْ يَا رَبُّ بِغَضَبِكَ. ارْتَفِعْ عَلَى سَخَطِ مُضَايِقِيَّ وَانْتَبِهْ لِي. *(قم يا رب بها إشارة نبوية إلى قيامة المسيح الذي لا بد أن يقوم منتصراً بعد كل ما تعرض له من ذل وظلم.)*

بِالْحَقِّ أَوْصَيْتَ. وَمَجْمَعُ الْقَبَائِلِ يُحِيطُ بِكَ فَعُدْ فَوْقَهَا إِلَى الْعُلَى. الرَّبُّ يَدِينُ الشُّعُوبَ. اقْضِ لِي يَا رَبُّ كَحَقِّي وَمِثْلَ كَمَالِي الَّذِي فِيَّ. لِيَنْتَهِ شَرُّ الأَشْرَارِ وَثَبِّتِ الصِّدِّيقَ. فَإِنَّ فَاحِصَ الْقُلُوبِ وَالْكُلَى اللهُ الْبَارُّ. تُرْسِي عِنْدَ اللهِ مُخَلِّصِ مُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ. اَللهُ قَاضٍ عَادِلٌ وَإِلَهٌ يَسْخَطُ فِي كُلِّ يَوْمٍ. *(أنت يا رب الذي تعطينى حقي فيزداد ثبات الصديق فيك لأنك أنت هو القاضي العادل الذي يدافع عن أولاده ويغضب على الظالمين .)*

إِنْ لَمْ يَرْجِعْ يُحَدِّدْ سَيْفَهُ. *(إن لم يتب الشرير فإن الله سيعاقبه)* ***مَدَّ قَوْسَهُ وَهَيَّأَهَا وَسَدَّدَ نَحْوَهُ آلَةَ الْمَوْتِ. يَجْعَلُ سِهَامَهُ مُلْتَهِبَةً.***

هُوَذَا يَمْخَضُ بِالإِثْمِ. *(يلد بالخطية)* ***حَمَلَ تَعَباً وَوَلَدَ كَذِباً. كَرَا*** *(حفر)* ***جُبّاً.*** *(حفرة)* ***حَفَرَهُ فَسَقَطَ فِي الْهُوَّةِ الَّتِي صَنَعَ. يَرْجِعُ تَعَبُهُ عَلَى رَأْسِهِ وَعَلَى هَامَتِهِ يَهْبِطُ ظُلْمُهُ.***

(= من يحفر حفرة يسقط فيها) ***أَحْمَدُ الرَّبَّ حَسَبَ بِرِّهِ. وَأُرَنِّمُ لاِسْمِ الرَّبِّ الْعَلِيِّ.***

حُوشَاي الأَرْكِي يتصنع الولاء لأبشالوم

وَلَمَّا جَاءَ حُوشَايُ الأَرْكِيُّ صَاحِبُ دَاوُدَ إِلَى أَبْشَالُومَ، قَالَ: «لِيَحْيَ الْمَلِكُ! لِيَحْيَ الْمَلِكُ!»

فَقَالَ أَبْشَالُومُ لِحُوشَايَ: «أَهذَا مَعْرُوفُكَ مَعَ صَاحِبِكَ؟ (داود) لِمَاذَا لَمْ تَذْهَبْ مَعَ صَاحِبِكَ؟»

■ فَقَالَ حُوشَايُ لأَبْشَالُومَ: «كَلاَّ، وَلكِنِ الَّذِي اخْتَارَهُ الرَّبُّ وَهَذَا الشَّعْبُ وَكُلُّ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ فَلَهُ أَكُونُ وَمَعَهُ أُقِيمُ. وَثَانِياً: مَنْ أَخْدِمُ؟ أَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيِ ابْنِهِ؟ كَمَا خَدَمْتُ بَيْنَ يَدَيْ أَبِيكَ كَذلِكَ أَكُونُ بَيْنَ يَدَيْكَ». (٢صم ١٦: ١٦-١٩)

وصَدَّق أبشالوم أنه قد استقطب المشير الثاني حوشاي بعد ما ضمن المشير الأول أخيتوفل ، فأيقن في غروره أن النصر حليفه حتماً .

أبشالوم يعتدى على سرارى أبيه علناً

وَقَالَ أَبْشَالُومُ لأَخِيتُوفَلَ: «أَعْطُوا مَشُورَةً مَاذَا نَفْعَلُ».

■ فَقَالَ أَخِيتُوفَلُ لأَبْشَالُومَ: «ادْخُلْ إِلَى سَرَارِيِّ أَبِيكَ اللَّوَاتِي تَرَكَهُنَّ لِحِفْظِ الْبَيْتِ، فَيَسْمَعَ كُلُّ إِسْرَائِيلَ أَنَّكَ قَدْ صِرْتَ مَكْرُوهاً مِنْ أَبِيكَ، فَتَتَشَدَّدَ أَيْدِي جَمِيعِ الَّذِينَ مَعَكَ». فَنَصَبُوا لأَبْشَالُومَ الْخَيْمَةَ عَلَى السَّطْحِ، وَدَخَلَ أَبْشَالُومُ إِلَى سَرَارِيِّ أَبِيهِ أَمَامَ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ. وَكَانَتْ مَشُورَةُ أَخِيتُوفَلَ الَّتِي كَانَ يُشِيرُ بِهَا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ كَمَنْ يَسْأَلُ بِكَلاَمِ اللَّهِ.(كانوا يثقون في مشورته كأن الله هو المتكلم) **هكَذَا كُلُّ مَشُورَةِ أَخِيتُوفَلَ عَلَى دَاوُدَ وَعَلَى أَبْشَالُومَ جَمِيعاً.** (٢صم ١٦: ٢٠ – ٢٣)

لا أدري كيف أوتي أخيتوفل كل هذا الشر ؟ ولا ندري هل اخترع هذه القصة أم أنه سمعها فعلاً فقد أخبر أخيتوفل أبشالوم أن أتباعه خائفون مترددون و يتهامسون فيما بينهم أن داود لو تصالح مع ابنه فستطير رقابهم جميعاً لأنهم شجعوه على التمرد. ولكي يعطي لجنوده الثقة باستحالة حدوث هذا الصلح فقد أشار على أبشالوم باغتصاب سراري أبيه علناً !! ونفذ أبشالوم هذه المشورة الجهنمية التى لاقت هوى في نفسه . وفعل ذلك في خيمة نصبوها على السطح ليعرف الفضيحة كل أتباعه .

ولا شك أن أخبار هذه الجريمة قد وصلت إلى مسامع داود فأدمت قلبه المكلوم أصلاً، وشعر بغضب عظيم لم يختبره قبلاً ، وأخذ المحيطون به يسبُّون أبشالوم ويتوعدونه بمصير أسود، أما داود فلم يستطع أن يجاريهم فى السباب ولم يستطع أن يبغضه رغم كل ما ارتكب! بل ما زال أبشالوم هو الابن المحبوب الذي يتمنى توبته .

وبات داود ليلته يسترحم الله وهو يستعيد صوت ناثان النبي الذي مضى عليه أكثر من خمسة أعوام ولكن ما زال صداه يرن في أذنيه

" **هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَا أَنَا ذَا أُقِيمُ عَلَيْكَ الشَّرَّ مِنْ بَيْتِكَ، وَآخُذُ نِسَاءَكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ وَأُعْطِيهِنَّ لِقَرِيبِكَ، فَيَضْطَجِعُ مَعَ نِسَائِكَ فِي عَيْنِ هَذِهِ الشَّمْسِ. لأَنَّكَ أَنْتَ فَعَلْتَ بِالسِّرِّ وَأَنَا أَفْعَلُ هَذَا الأَمْرَ قُدَّامَ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَقُدَّامَ الشَّمْسِ».**

أما أخيتوفل الشرير فقد ظن أنـه هو محرك الأحداث وأنـه بهذا قد انتقم لدم أوريا (الذي يُعتقَد أنه زوج حفيدته بثشبع) ولم يفهم أن الله كان يستخدم الشر الكامن فيه حتى يتمم تأديب داود .

خطة أخيتوفل للقضاء على داود

▫ **وَقَالَ أَخِيتُوفَلُ لأَبْشَالُومَ: «دَعْنِي أَنْتَخِبُ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ وَأَقُومُ وَأَسْعَى وَرَاءَ دَاوُدَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ فَآتِيَ عَلَيْهِ وَهُوَ مُتْعَبٌ وَمُرْتَخِي الْيَدَيْنِ فَأُزْعِجُهُ، فَيَهْرُبَ كُلُّ الشَّعْبِ الَّذِي مَعَهُ، وَأَضْرِبُ الْمَلِكَ وَحْدَهُ وَأَرُدُّ جَمِيعَ الشَّعْبِ إِلَيْكَ. كَرُجُوعِ الْجَمِيعِ هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي تَطْلُبُهُ، فَيَكُونُ كُلُّ الشَّعْبِ فِي سَلاَمٍ».**

فَحَسُنَ الأَمْرُ فِي عَيْنَيْ أَبْشَالُومَ وَأَعْيُنِ جَمِيعِ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ.

فَقَالَ أَبْشَالُومُ: «ادْعُ أَيْضاً حُوشَايَ الأَرْكِيَّ فَنَسْمَعَ مَا يَقُولُ هُوَ أَيْضاً».

(٢صم ١٧: ١-٦)

كالعادة كان رأي أخيتوفل صائباً تماماً من الوجهة الحربية ؛ وملخصه هو " اطرق الحديد وهو ساخن" . أي أنه يجب الإسراع بالقضاء على داود قبل أن يجهز جيشاً ، وقبل أن تهدأ ثورة حماس الرجال المحيطين بأبشالوم أو يبحث أحدهم عن رأي الله فيكتشف أن داود ممسوح ملكاً من صموئيل أما أبشالوم فهو ملك غير شرعي .

ولكن أخيتوفل الحكيم - حربياً - فشل تماما فى فهم نفسية أبشالوم فكان فى كل حواره يشير إلى نفسه ، راجع النص الكتابي ولاحظ كل كلمة تحتها خط تجد فيها أخيتوفل يتحدث عن نفسه وكيف أنه سيفعل كذا وكذا وكذا حتى يحرز النصر ، ورغم صحة خطته إلا أن أبشالوم شعر أن هذا إذا حدث فإن المجد لن يُنسب له بل لأخيتوفل ، وكلاهما يفيض بالكبرياء ويتمنى أن ينسب النصر لنفسه وحده .

والتقط حوشاي هذا الخيط وراهن على هذا الاحتمال عندما دعاه داود لسماع رأيه .

ولو صاغ أخيتوفل خطته بطريقة تنفخ فى كبرياء أبشالوم لاختلفت الأمور تماماً ولكن الله كان يستخدم شر أخيتوفل لينصر داود ، تماماً كما استخدم شر وخيانة يهوذا لكي ينصر ابن داود ويكتب الخلاص للبشرية كلها .

خطة حوشاى ، مظهرها ضد داود وحقيقتها لإنقاذه :

فَلَمَّا جَاءَ حُوشَايُ إِلَى أَبْشَالُومَ

قَالَ أَبْشَالُومُ: «بِمِثْلِ هَذَا الْكَلاَمِ تَكَلَّمَ أَخِيتُوفَلُ. أَنَعْمَلُ حَسَبَ كَلاَمِهِ أَمْ لاَ؟ تَكَلَّمْ أَنْتَ».

▲ فَقَالَ حُوشَايُ لأَبْشَالُومَ: لَيْسَتْ حَسَنَةً الْمَشُورَةُ الَّتِي أَشَارَ بِهَا أَخِيتُوفَلُ هَذِهِ الْمَرَّةَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَبَاكَ وَرِجَالَهُ أَنَّهُمْ جَبَابِرَةٌ، وَأَنَّ أَنْفُسَهُمْ مُرَّةٌ كَدُبَّةٍ مُثْكِلٍ (فقدت ابنها فصارت في غاية الشراسة) **فِي الْحَقْلِ. وَأَبُوكَ رَجُلُ قِتَالٍ وَلاَ يَبِيتُ مَعَ الشَّعْبِ. هَا هُوَ الآنَ مُخْتَبِئٌ فِي إِحْدَى الْحُفَرِ أَوْ أَحَدِ الأَمَاكِنِ.**

وَيَكُونُ إِذَا سَقَطَ بَعْضُهُمْ فِي الابْتِدَاءِ أَنَّ السَّامِعَ يَسْمَعُ فَيَقُولُ: قَدْ صَارَتْ كَسْرَةٌ (هزيمة) **فِي الشَّعْبِ الَّذِي وَرَاءَ أَبْشَالُومَ.** (سيتعمدون إضعاف الروح المعنوية بإشاعة أنباء الهزيمة) **أَيْضاً ذُو الْبَأْسِ** (القوي) **الَّذِي قَلْبُهُ كَقَلْبِ الأَسَدِ يَذُوبُ ذَوَبَاناً** ، (حتى القوي سيخاف جداً) **لأَنَّ جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ يَعْلَمُونَ أَنَّ أَبَاكَ جَبَّارٌ، وَالَّذِينَ مَعَهُ ذَوُو بَأْسٍ. لِذَلِكَ أُشِيرُ بِأَنْ يَجْتَمِعَ إِلَيْكَ كُلُّ إِسْرَائِيلَ مِنْ دَانَ** (فى أقصى الشمال) **إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ** (فى أقصى الجنوب) ، **كَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى الْبَحْرِ فِي الْكَثْرَةِ، وَحَضْرَتُكَ سَائِرٌ فِي الْوَسَطِ. وَنَأْتِيَ إِلَيْهِ إِلَى أَحَدِ الأَمَاكِنِ حَيْثُ هُوَ، وَنَنْزِلَ عَلَيْهِ نُزُولَ الطَّلِّ** (الندى) **عَلَى الأَرْضِ** (أي بكثرة وسرعة) ، **وَلاَ يَبْقَى مِنْهُ وَلاَ مِنْ جَمِيعِ الرِّجَالِ الَّذِينَ مَعَهُ وَاحِدٌ. وَإِذَا انْحَازَ إِلَى مَدِينَةٍ، يَحْمِلُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ حِبَالاً، فَنَجُرُّهَا إِلَى الْوَادِي حَتَّى لاَ تُبْقَى هُنَاكَ وَلاَ حَصَاةٌ».** (أي إذا تحصن فى مدينة نفنيها تماماً)

فَقَالَ أَبْشَالُومُ وَكُلُّ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ: «إِنَّ مَشُورَةَ حُوشَايَ الأَرْكِيِّ أَحْسَنُ مِنْ مَشُورَةِ أَخِيتُوفَلَ». فَإِنَّ الرَّبَّ أَمَرَ بِإِبْطَالِ مَشُورَةِ أَخِيتُوفَلَ الصَّالِحَةِ (من وجهة النظر الحربية) **لِيُنْزِلَ الرَّبُّ الشَّرَّ بِأَبْشَالُومَ.** (٢صم ١٧: ٧-١٤)

فهم حوشاي نفسية أبشالوم فهو يريد نصراً يُنسب إليه وحده فأعد له خطة مفادها الانتظار قليلاً ليتجمع جيش قوي حولك يا أبشالوم من جميع أرجاء المملكة وتقوده

أنت بنفسك لتحرز نصراً ساحقاً ، و كما تلاحظ عزيزي القارئ فكل الكلمات التى تحتها خط تنفخ فى كبرياء أبشالوم . ولأن حوشاي قد لعب على الوتر الذي يرضي غرور أبشالوم فقد لاقت خطته الاستحسان . وكان حوشاي أول من يثق أنها خطة فاشلة ، غرضها الحقيقي إعطاء فرصة لجيش داود حتى ينظم صفوفه . ولكنه عرف كيف يضعها فى القالب المنمق حتى يبلع أبشالوم الطُـعم ، وهو ما تحقق فعلاً ، ليس بحكمة حوشاي فقط بل بصلاة داود السهمية **«حَمِّقْ يَا رَبُّ مَشُورَةَ أَخِيتُوفَلَ»** .

ورغم أن أبشالوم انحاز لرأي حوشاي إلا أن الأخير فضل أن يخبر داود لكي يهرب بعيداً وأن يعبر نهر الأردن ليصبح بعيداً عن ذراع أبشالوم فى جميع الأحوال . فأخبر حوشاي الجاسوسين الآخرين صادوق وأبياثار الكاهنين فأرسلا ابنيهما أخيمعص ويوناثان اللذين حملا الرسالة سريعا إلى داود فعبر نهر الأردن من الغرب للشرق في نفس الليلة. وعين أبشالوم عماسا (ابن خالته) قائداً لجيشه استعداداً للمعركة .

انتحار أخيتوفل

أما أخيتوفل فلقد صُـعِق إذ رأى أن مشورته لم يؤخذ بها للمرة الأولى فى تاريخه الطويل وشعر أن كبرياءه قد أهين ، وفى نفس الوقت أيقن أن أبشالوم مهزوم لا محالة مما يعني الهلاك لهم جميعاً وطبعاً سيكون هو أول الهالكين . لذا فقد قرر الانتحار ، فمضى وخنق نفسه تماماً كما فعل يهوذا الخائن بعده بعشرة قرون .

الصديق وقت الضيق

وفى ظل هذه الضيقة الشديدة لداود والشعب الذي معه يظهر ثلاثة أشخاص جدد يساعدون داود بالطعام والشراب وسائر المؤن ، وما أجمل قطرة الماء عندما تقدم فى حينها وسط لهيب العطش فتفوق قيمتها كنوز الدنيا .

أول الثلاثة هو **شوبي بن ناحاش** الذي كان والده ملك العمونيين وكان صديقاً لداود قبل موته ومع أن حانون أخاه كان شديد الحماقة، إلا أن الفارق بين الأخين كان كبيراً.

ثانيهم هو **ماكير بن عميئيل** وهو الذى استضاف مفيبوشث قبل أن يعثر عليه داود.

وثالثهم هو **برزلاي الجلعادي** الشيخ الوقور الذي ظل صديقاً وفياً لداود مدى الحياة.

وهؤلاء الثلاثة يذكرونا بالأقلية التى تبعت الرب حتى الصليب مثل يوحنا والمريمات.

المعركة بين قوات داود وقوات أبشالوم

ورغم أن داود ترك أورشليم وعبر من غرب نهر الأردن إلى شرقه ليتفادى المعركة مع ابنه ، ولكن أبشالوم كان مصراً على الحرب وعبر النهر مطارداً أباه فلم تفلح محاولات داود لحقن الدماء ودقت طبول الحرب منذرة بأصعب حرب يدخلها داود.

فتم تقسيم أتباع داود إلى ثلاثة أقسام تحت قيادة يوآب وأبيشاي ابني صروية وثالثهم إتاي الجتي. وحاول داود الخروج معهم ليسيطر على الأمور ويمنع إلحاق الأذى بابنه أو سائر الشعب ، ولكن كل أتباعه منعوه حرصاً عليه لأن إصابته أو موته وحده معناها نهاية المعركة لصالح أبشالوم . وبالفعل استعد الجيش للخروج بدون داود ولكنه وقف يوصي رؤساء الجيش وكل جندي بصوت عال : **"ترفقوا لي بالفتى أبشالوم"** وكررها مراراً حرصاً على سلامة ابنه التي تهمه أكثر من النصر .

ودارت رحى الحرب واحتدمت المعركة في غابة أفرايم وكما هو متوقع انهزم أبشالوم وأتباعه هزيمة ساحقة راح ضحيتها عشرون ألفاً .

أما أبشالوم نفسه الفتى المتمرد ذو الشعر المتهدل ، فقد فر هارباً على بغل سريع ، مر به تحت بطمة (شجرة كثيفة الأغصان) ، فتعلق شعره بها . وجرى البغل بعيداً وأصبح أبشالوم مقيداً من شعره ! شعره الذي كان مصدر جماله أصبح هو القيد الذي يكبله معلقاً لا يستطيع النزول أو الهروب فصار هدفاً سهلاً لمن يريد قتله .

نهاية أبشالوم :

فَرَآهُ رَجُلٌ وَأَخْبَرَ يُوآبَ: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَبْشَالُومَ مُعَلَّقاً بِالْبُطْمَةِ».

فَقَالَ يُوآبُ لِلرَّجُلِ الَّذِي أَخْبَرَهُ: «إِنَّكَ قَدْ رَأَيْتَهُ، فَلِمَاذَا لَمْ تَضْرِبْهُ هُنَاكَ إِلَى الأَرْضِ؟ وَعَلَيَّ أَنْ أُعْطِيَكَ عَشَرَةً مِنَ الْفِضَّةِ (مكافأة لك) **وَمِنْطَقَةً** (حزام معدني) **».**

▫ **فَقَالَ الرَّجُلُ لِيُوآبَ: « فَلَوْ وُزِنَ فِي يَدِي أَلْفٌ مِنَ الْفِضَّةِ لَمَا كُنْتُ أَمُدُّ يَدِي إِلَى ابْنِ الْمَلِكِ، لأَنَّ الْمَلِكَ أَوْصَاكَ فِي آذَانِنَا أَنْتَ وَأَبِيشَايَ وَإِتَّايَ قَائِلاً: احْتَرِزُوا أَيّاً كَانَ مِنْكُمْ عَلَى الْفَتَى أَبْشَالُومَ. وَإِلا فَكُنْتُ فَعَلْتُ بِنَفْسِي زُوراً ، إِذْ لاَ يَخْفَى عَنِ الْمَلِكِ شَيْءٌ، وَأَنْتَ كُنْتَ وَقَفْتَ ضِدِّي».** (لو قتلته كما تقول لعلم الملك وعاقبني لأنني عصيت أوامره)



فَقَالَ يُوآبُ: «إِنِّي لاَ أَصْبِرُ هكَذَا أَمَامَكَ». فَأَخَذَ ثَلاَثَةَ سِهَامٍ بِيَدِهِ وَنَشَّبَهَا فِي قَلْبِ أَبْشَالُومَ وَهُوَ بَعْدُ حَيٌّ فِي قَلْبِ الْبُطْمَةِ، وَأحَاط بِهَا عَشَرَةُ غِلْمَانٍ حَامِلُو سِلاَحِ يُوآبَ وَضَرَبُوا أَبْشَالُومَ وَأَمَاتُوهُ. وَضَرَبَ يُوآبُ بِالْبُوقِ فَرَجَعَ الشَّعْبُ عَنِ اتِّبَاعِ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّ يُوآبَ مَنَعَ الشَّعْبَ. (حقنا للدماء بعدما ضمن النصر) وَأَخَذُوا أَبْشَالُومَ وَطَرَحُوهُ فِي الْوَعْرِ فِي الْجُبِّ الْعَظِيمِ وَأَقَامُوا عَلَيْهِ رُجْمَةً عَظِيمَةً جِدّاً مِنَ الْحِجَارَةِ. وَهَرَبَ كُلُّ إِسْرَائِيلَ، كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى خَيْمَتِهِ. (٢صم ١٨ : ١٠ – ١٧)

كان ذلك الجندي حكيماً فلم يقتل أبشالوم بل أخبر يوآب رئيس الجيش ليأخذوه أسيراً ، ويستطيع داود أن يحاكمه ويعاقبه إن أراد ، أما يوآب فكان دموياً يفكر بسيفه قبل عقله ، وينشب السهام فى قلب أبشالوم ليدمي بها الملك الذي أوصاه مراراً وعلناً أن يترفق بالفتى ، ولكن رفق يوآب كان عبارة عن ثلاثة سهام فى قلب الفتى وعشرة غلمان يجهزون على ما بقى به من أنفاس !

داود يـعـرف خبر مـوت ابـنـه

بموت أبشالوم انتهت الفتنة وتسابق اثنان من الجيش لتهنئة داود بالنصر، أولهما كان أخيمعص بن صادوق الكاهن وثانيهما رجل كوشي (أسمر البشرة) .

ولكن داود لم يكن يعنيه النصر كثيراً ، بل يعنيه فى المقام الأول سلامة ابنه المحبوب.

ووصل أخيمعص أولا ليبشر الملك بالنصر ويا لها من بشارة سوداء ويا له من نصر مر كالعلقم ، كسر قلب الملك ، فلتقرأ هذا الحوار لنعرف قليلاً عن محبة الآب .

فَنَادَى أَخِيمَعَصُ وَقَالَ لِلْمَلِكِ: «السَّلاَمُ». وَسَجَدَ لِلْمَلِكِ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ. وَقَالَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي دَفَعَ الْقَوْمَ الَّذِينَ رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى سَيِّدِي الْمَلِكِ».

+ فَقَالَ الْمَلِكُ: «أَسَـــلاَمٌ لِلْفَتـــَى أَبْشَـــالُومَ ؟»

فَقَالَ أَخِيمَعَصُ: «قَدْ رَأَيْتُ جُمْهُوراً عَظِيماً عِنْدَ إِرْسَالِ يُوآبَ عَبْدَ الْمَلِكِ وَعَبْدَكَ، وَلَمْ أَعْلَمْ مَاذَا». (تهرَّب من الإجابة بحجة أن الزحام كان شديداً ، لئلا يحبط الملك)

+ فَقَالَ الْمَلِكُ: «دُرْ وَقِفْ هَهُنَا». فَدَارَ وَوَقَفَ. وَإِذَا بِكُوشِي قَدْ أَتَى.

◘ وَقَالَ كُوشِي:« لِيُبَشَّرْ سَيِّدِي الْمَلِكُ لأَنَّ الرَّبَّ قَدِ انْتَقَمَ لَكَ الْيَوْمَ مِنْ جَمِيعِ الْقَائِمِينَ عَلَيْكَ». +فَقَالَ الْمَلِكُ لِكُوشِي: «أَسَـــلاَمٌ لِلْفَتـــَى أَبْشَـــالُومَ ؟»

◘ فَقَالَ كُوشِي: «لِيَكُنْ كَالْفَتَى أَعْدَاءُ سَيِّدِي الْمَلِكِ وَجَمِيعُ الَّذِينَ قَامُوا عَلَيْكَ لِلشَّرِّ».

(يا ليت كل أعدائك يحدث لهم نفس ما حدث لأبشالوم ..... ففهم داود أن أبشالوم مات)

فَانْزَعَجَ الْمَلِكُ وَصَعِدَ إِلَى عِلِّيَّةِ الْبَابِ وَكَانَ يَبْكِي وَيَقُولُ وَهُوَ يَتَمَشَّى:

« يَا ابْنِـــي أَبْشَـــالُومُ، يَا ابْنِـــي يَا ابْنِـــي!

أَبْشَـــالُومُ ، يَا لَـيْتَنِـي مُـتُّ عِوَضَـــاً عَـنْكَ!

يَا أَبْشَـــالُومُ ابْنِـــي يَا ابْنِـــي» . (٢صم ١٨ : ٢٨ – ٣٣)

ما الذي يمكن أن يفعله أي ابن ليسيء لأبيه ويحزنه أكثر مما فعل أبشالوم ؟

قتل أخاه أمنون .... وسعى لاغتصاب العرش محاولاً أن يقتل أباه داود .....واغتصب سراريه اللواتي هن فى حكم زوجاته ، يا ربي ... هل هناك بشاعة أكثر من هذا ؟

فماذا كان موقف داود ؟ يبكي على ابنه بحُـرقة ويتمنى لو كان هو الذي مات عوضاً عنه ! مسكين يا داود . دفنت بيديك الطفل الوليد ابن بثشبع وتعزيت أنك ذاهب إليه

عاجلاً أم آجلاً، لأنه غير مذنب ولأنك بتوبتك ستقابله فى السماء . ... ثم فقدت أمنون ومن بعده أبشالوم وكلاهما مات وهو غارق فى الإثم فكيف تتعزى الآن ؟



تأمل روحي كل يوم يهلك ألف أبشالوم ! ربما تكون قصة داود وابنه العاصي أبشالوم قصة تاريخية يسهل أن نتأثر بها حيناً ثم نتناساها ، ولكن الحقيقة أن هذه القصة تحدث كل لحظة مئات المرات ... وللأسف يلعب بعضنا فيها دور أبشالوم .

نعم فالآب السماوي يعاني الأمرين مما يفعله أبناؤه به . بدءاً من آدم الذي سعى كي يصير مثل الله إلى كل نفس تتلذذ بمعصيته وتشرب الإثم كالماء وترفض التوبة.

ومحبة الآب السماوي أضعاف محبة داود .مهما تمرد الخاطئ وأحزن الله طويلاً فهو لا يشاء موته مثلما يرجع ويحيا، ويريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون، ولكن أمثال أبشالوم كثيرون . بل للأسف هم الأغلبية ، يصرون على

العصيان ويرون الله مثل داود تاركاً عرشه باكياً مغطياً رأسه حافياً مهاناً بل حاملاً صليبه سافكاً دمه، فيزيدون فى التمرد والكبرياء. أو ربما كانوا أقل قسوة فيمصمصون الشفاة أمام إكليل الشوك مشفقين عليه وكأنه فعل كل هذا لأجل آخرين وليس لأجلهم !

تأمل روحي أبشالوم الابن الضال : فى مثل الابن الضال تمرد الابن على أبيه ولكنه عاد ليعلن توبته ويجد الآب منتظراً إياه فاتحاً أحضانه ، أما أبشالوم فتمسك بعناده وكبريائه وعاد لا ليعلن توبته ، بل عاد شاهراً سيفه كي يغمده فى قلب داود .

والحق أن الآب السماوي يعلم جيداً أن بعض الأبناء سيعودون تائبين ولكن كثيرون سيمضون في ضلالهم إلى المنتهى ، ورغم ذلك فهو يفتح باب الخروج لكل ابن يطلب المغادرة لأنه وضع قانوناً ويلزم نفسه به تماماً وهو حرية الإنسان . حتى لو اختار التمرد عليه لا يستطيع الرب أن يجبره على الطاعة ! وللأسف يسقط الكثيرون فى فخاخ إبليس ويختارون الطريق الواسع المؤدي إلى الهلاك ، والآب السماوي يبكي عليهم أكثر مما بكى داود على أبشالوم .

ولكن الرب لا يقول مثل داود "**يا ليتني مت عوضا عنك**"

بل يقول " **لقد مـــت فِـــعلاً عِوضاً عنك** " **فلماذا تحتقر هذا الفداء ؟**

لماذا أهملت خلاصاً هذا مقداره ؟

لقد اشتريتك بدم ابني لأنك غالٍ جداً عليَّ فلماذا أنت رخيص هكذا عند نفسك .

ويظن الكثيرون أن الرب سيتشفَّى بالانتقام من الأشرار وهو يلقيهم فى أتون النار بينما الحقيقة أنه سيبكي عليهم قائلاً : أنتم فى الجحيم لأنكم اخترتم ذلك بملء إرادتكم، ولا أستطيع أن أفرض فردوسي عليكم ! .

الانتصار الحزين :

فَأُخْبِرَ يُوآبُ: «هُوَذَا الْمَلِكُ يَبْكِي وَيَنُوحُ عَلَى أَبْشَالُومَ». فَصَارَتِ الْغَلَبَةُ (النصر) فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مَنَاحَةً عِنْدَ جَمِيعِ الشَّعْبِ، لأَنَّ الشَّعْبَ سَمِعُوا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مَنْ يَقُولُ إِنَّ الْمَلِكَ قَدْ تَأَسَّفَ عَلَى ابْنِهِ وَتَسَلَّلَ الشَّعْبُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ لِلدُّخُولِ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا يَتَسَلَّلُ الْقَوْمُ الْخَجِلُونَ عِنْدَمَا يَهْرُبُونَ فِي الْقِتَالِ. وَسَتَرَ الْمَلِكُ وَجْهَهُ وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ:

«يَا ابْنِي أَبْشَالُومُ، يَا أَبْشَالُومُ ابْنِي يَا ابْنِي!» (٢صم ١٩ : ١-٤)
كانت صرخات داود نائحاً على فلذة كبده تستقبل كل جندي يقترب من المدينة فرحاً بالنصر فيدخل صامتاً كمن ارتكب جرماً ، وهل هناك جرم أكثر من قتل ابن الملك ؟

يوآب يهدد داود :

فَدَخَلَ يُوآبُ إِلَى الْمَلِكِ إِلَى الْبَيْتِ وَقَالَ: «قَدْ أَخْزَيْتَ الْيَوْمَ وُجُوهَ جَمِيعِ عَبِيدِكَ، مُنْقِذِي نَفْسِكَ الْيَوْمَ وَأَنْفُسِ بَنِيكَ وَبَنَاتِكَ وَأَنْفُسِ نِسَائِكَ وَأَنْفُسِ سَرَارِيِّكَ، بِمَحَبَّتِكَ لِمُبْغِضِيكَ وَبُغْضِكَ لِمُحِبِّيكَ. لأَنَّكَ أَظْهَرْتَ الْيَوْمَ أَنَّهُ لَيْسَ لَكَ رُؤَسَاءُ وَلاَ عَبِيدٌ، لأَنِّي عَلِمْتُ الْيَوْمَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ أَبْشَالُومُ حَيّاً وَكُلُّنَا الْيَوْمَ مَوْتَى لَحَسُنَ حِينَئِذٍ الأَمْرُ فِي عَيْنَيْكَ. فَالآنَ قُمْ وَاخْرُجْ وَطَيِّبْ (فَـرِّح) قُلُوبَ عَبِيدِكَ. لأَنِّي قَدْ أَقْسَمْتُ بِالرَّبِّ إِنَّهُ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ لاَ يَبِيتُ أَحَدٌ مَعَكَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، وَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَرَّ عَلَيْكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ أَصَابَكَ مُنْذُ صِبَاكَ إِلَى الآنَ!» فَقَامَ الْمَلِكُ وَجَلَسَ فِي الْبَابِ. فَأَخْبَرُوا جَمِيعَ الشَّعْبِ: «هُوَذَا الْمَلِكُ جَالِسٌ فِي الْبَابِ». فَأَتَى جَمِيعُ الشَّعْبِ أَمَامَ الْمَلِكِ. (٢صم ١٩ : ٥ - ٨)
أخذ الملك يبكي وينتحب ولم يستطع أن يكتم صراخه ، ولا بد أنه سأل وعرف أن سهام يوآب هي التى اخترقت قلب ابنه بعد أن امتنع الآخرون عن إيذائه طاعة لوصية الملك ، يوآب بالذات الذي أوصاه مراراً بالرفق بابنه . يوآب ابن أخته صروية ... كيف يفعل هذا ؟

ووسط ظلام الأحزان يدخل عليه يوآب بيدين ملوثتين بدم أبشالوم ليهدده أنه يجب أن يتظاهر بالفرح ويخرج لاستقبال الجنود العائدين بالنصر، وإلا سيتخلى عنه ويأخذ سائر الشعب معه. ويكون هذا أصعب موقف واجهه في حياته . كم هو قاس وفظ القلب هذا الرجل !

ويوآب يجيد خلط الزيف بالحق فيتهم داود أنه يحب مبغضيه - مع أن هذه فضيلة – ويتهمه أنه يبغض محبيه وهذا كذب ، وأي حب هذا يا يوآب الذي تتكلم عنه والجندي البسيط رفض أن يؤذي أبشالوم ولو مقابل ألف فضة ، أما أنت فأسرعت لقتل ابن خالك لتضيف لأمجادك العسكرية وساماً جديداً والآن تأتي لتنهر الملك وتحرمه أن يبكي على ولده .. يا لجبروتك !

ولأن يوآب كان مركز قوة خطيراً لم يستطع داود أن يعصى أمره ! فكتم نواحه وجفف دمعه وخرج راسماً على وجهه فرحاً زائفاً . متمنياً اليوم الذي يتخلص فيه من هذا الكابوس المدعو يوآب ، فكل الانتصارات التى حققها لا تغفر له جريمته وصفاقته

عودة داود إلى عرشه :

استطاع داود بحكمته وخبرته أن يلم الشمل سريعاً ويزيل الآثار السلبية للفتنة ، حتى عماسا ابن أخته - الذي تولى قيادة جيش أبشالوم- دعاه داود كي يتولى قيادة الجيش بدلاً من يوآب ابن أخته الأخرى الذي أصبحت رؤيته تذكره بدم أبشالوم .

شمعي يعتذر

وَسَقَطَ شَمْعِي بْنُ جِيرَا أَمَامَ الْمَلِكِ عِنْدَمَا عَبَرَ الأُرْدُنَّ (من الشرق للغرب)

وَقَالَ لِلْمَلِكِ: «لاَ يَحْسِبْ لِي سَيِّدِي إِثْماً، وَلاَ تَذْكُرْ مَا افْتَرَى بِهِ عَبْدُكَ يَوْمَ خُرُوجِ سَيِّدِي الْمَلِكِ مِنْ أُورُشَلِيمَ حَتَّى يَضَعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ. لأَنَّ عَبْدَكَ يَعْلَمُ أَنِّي قَدْ أَخْطَأْتُ، وَهَا أَنا ذا قَدْ جِئْتُ الْيَوْمَ أَوَّلَ كُلِّ بَيْتِ يُوسُفَ وَنَزَلْتُ لِلِقَاءِ سَيِّدِي الْمَلِكِ».

▣ فَقَالَ أَبِيشَايُ ابْنُ صَرُويَةَ: «أَلاَ يُقْتَلُ شَمْعِي لأَنَّهُ سَبَّ مَسِيحَ الرَّبِّ؟»

+ فَقَالَ دَاوُدُ: «مَا لِي وَلَكُمْ يَا بَنِي صَرُويَةَ حَتَّى تَكُونُوا لِيَ الْيَوْمَ مُقَاوِمِينَ؟ أَلْيَوْمَ يُقْتَلُ أَحَدٌ فِي إِسْرَائِيلَ؟ أَفَمَا عَلِمْتُ أَنِّي الْيَوْمَ مَلِكٌ عَلَى إِسْرَائِيلَ؟» ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ لِشَمْعِي: «لاَ تَمُوتُ». وَحَلَفَ لَهُ الْمَلِكُ. (٢صم١٩ : ١٨- ٢٣)

كالعادة ... أبيشاي أخو يوآب يضع يده على سيفه متأهبا للانتقام وقتل شمعي ، وداود الذي أهين هو الذي يسعى لإيقاف بحر الدم . ولا ندري هل كان شمعي صادقاً فى اعتذاره أم أن تغير الموقف هو الذي جعله يعتذر حتى لا يناله أذى ، ولكننا نقول لكل من يغير غيرة مقدسة أنك في اليوم الدينونة ستسمع بأذنيك اعتذار شمعي وكل من يجدف على السيد المسيح وستراهم يسجدون تحت قدميه معتذرين نادمين طالبين العفو، ولكن حتى ذلك الحين يجب أن تتمثل بسيدك الذي احتمل العار والسب واللطم والجلد لذا قال عنه بولس الرسول :

"فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هَذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضاً: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي

شِبْهِ النَّاس. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ لِذَلِكَ رَفَعَهُ اللهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ " (في ٢ : ٥ – ١١)

ومفيبوشث يدافع عن نفسه

وَنَزَلَ مَفِيبُوشَثُ ابْنُ شَاوُلَ لِلِقَاءِ الْمَلِكِ وَلَمْ يَعْتَنِ بِرِجْلَيْهِ وَلاَ اعْتَنَى بِلِحْيَتِهِ وَلاَ غَسَلَ ثِيَابَهُ مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي ذَهَبَ فِيهِ الْمَلِكُ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي أَتَى فِيهِ بِسَلاَمٍ. فَلَمَّا جَاءَ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِلِقَاءِ الْمَلِكِ

+ قَالَ لَهُ الْمَلِكُ: «لِمَاذَا لَمْ تَذْهَبْ مَعِي يَا مَفِيبُوشَثُ؟»

فَقَالَ: «يَا سَيِّدِي الْمَلِكُ إِنَّ عَبْدِي (صيبا) قَدْ خَدَعَنِي،

لأَنَّ عَبْدَكَ قَالَ: أَشُدُّ لِنَفْسِيَ الْحِمَارَ فَأَرْكَبُ عَلَيْهِ وَأَذْهَبُ مَعَ الْمَلِكِ، لأَنَّ عَبْدَكَ أَعْرَجُ.

(كنت أستعد للخروج معك رغم العرج ولكن صيبا تركني وقابلك ليوقع بيننا)

وَوَشَى بِعَبْدِكَ إِلَى سَيِّدِي الْمَلِكِ، وَسَيِّدِي الْمَلِكُ كَمَلاَكِ اللَّهِ. فَافْعَلْ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْكَ. لأَنَّ كُلَّ بَيْتِ أَبِي لَمْ يَكُنْ إِلاَّ أُنَاساً مَوْتَى لِسَيِّدِي الْمَلِكِ، وَقَدْ جَعَلْتَ عَبْدَكَ بَيْنَ الآكِلِينَ عَلَى مَائِدَتِكَ. فَأَيُّ حَقٍّ لِي بَعْدُ حَتَّى أَصْرُخَ أَيْضاً إِلَى الْمَلِكِ؟»

+ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ:«لِمَاذَا تَتَكَلَّمُ بَعْدُ بِأُمُورِكَ؟ قَدْ قُلْتُ إِنَّكَ أَنْتَ وَصِيبَا تَقْسِمَانِ الْحَقْلَ».

فَقَالَ مَفِيبُوشَثُ لِلْمَلِكِ: «فَلْيَأْخُذِ الْكُلَّ أَيْضاً بَعْدَ أَنْ جَاءَ سَيِّدِي الْمَلِكُ بِسَلاَمٍ إِلَى بَيْتِهِ». (٢صم١٩ : ٢٤-٣٠)

كلمات مفيبوشث تفيض صدقا وتواضعا وامتناناً بصنيع داود معه ، ودلل علي ذلك أنه لا يهمه استرداد الحقل بل كل ما يهمه هو سلامة الملك .... حقاً أنت ابن يوناثان يا مفيبوشث . عملة نادرة على مر الزمان ، يهمك رضا الله ولا يهمك عطاياه .

برزلاي الجلعادي يتعفف عن قبول مكافأة داود

برزلاي شيخ تخطى الثمانين من عمره وقد تكفل بإعالة داود وأتباعه كثيراً أثناء الفتنة والآن جاء الدور على داود ليرد له الجميل فدعاه أن يقيم معه فى قصره بأورشليم ولكن هذا الشيخ الوقور شكر داود قائلا: «كَمْ أَيَّامُ سِنِي حَيَاتِي حَتَّى أَصْعَدَ مَعَ الْمَلِكِ

إِلَى أُورُشَلِيمَ؟ أَنَا الْيَوْمَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً. هَلْ أُمَيِّزُ بَيْنَ الطَّيِّبِ وَالرَّدِيءِ، وَهَلْ يَسْتَطْعِمُ عَبْدُكَ بِمَا آكُلُ وَمَا أَشْرَبُ، وَهَلْ أَسْمَعُ أَيْضاً أَصْوَاتَ الْمُغَنِّينَ وَالْمُغَنِّيَاتِ؟ فَلِمَاذَا يَكُونُ عَبْدُكَ أَيْضاً ثِقْلاً عَلَى سَيِّدِي الْمَلِكِ؟ دَعْ عَبْدَكَ يَرْجِعْ فَأَمُوتَ فِي مَدِينَتِي عِنْدَ قَبْرِ أَبِي وَأُمِّي. وَهُوَذَا عَبْدُكَ كِمْهَامُ (ابني) **يَعْبُرُ مَعَ سَيِّدِي الْمَلِكِ فَافْعَلْ لَهُ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْكَ».** (٢صم ١٩ : ٣٤-٣٧)

هكذا المحبة الصادقة لا تطلب ما لنفسها ، وهكذا يكون وقار الشيوخ وحكمتهم .

انقلاب جديد بقيادة شبع بن بكري

وما زال فى كأس التأديب بقية لم يتجرعها داود بعد ! فرغم فشل الانقلاب الذي حاول أبشالوم القيام به إلا أن هذا شجع الضباع الصغيرة أن تخرج من الكهوف محاولة النيل من الملك المحبوب ، وكان أحدهم رجلاً من سبط بنيامين يدعى شبع بن بكري ، ما زال يحلم بأحقية سبطه فى الحكم خلفاً لشاول . فقاد فتنة جديدة ، سعى داود إلى إخمادها فى مهدها وكلف عماسا رئيس جيشه الجديد بتجهيز الجيش على وجه السرعة خلال ثلاثة ايام ، ولكن عماسا كان حديثاً فى المهنة ، فتأخر فى جمع الجنود. مما أعطى الفرصة لشبع بن بكري كي يعزز موقفه.

فطلب داود من أبيشاي أن يسرع على رأس جيش لإنهاء الفتنة وكانت هذه فرصة مواتية ليوآب ليصحب أخاه أبيشاي وليثبت لداود أن عماسا لا يصلح لهذا المنصب ، وفى الطريق قابلوا عماسا وجنوده فاقترب منه يوآب متظاهراً بتحيته ، فهو ابن خالته. وقبل أن يصل إليه تعمد يوآب أن ينحنى ليقع سيفه من الجراب فيلتقطه بحركة تبدو وكأنها عفوية لا تثير ريبة عماسا . ثم أكمل الترحيب الدموي فاحتضنه بإحدى يديه ليقبّله قبلة الموت ، والسيف في اليد الأخرى يغوص في أحشاء عماسا الذي دفع حياته ثمناً لثقته فى يوآب الذي لا يعرف شرف الفرسان فقتل عماسا بنفس الغدر الذي قتل به أبنير منذ عشرين عاما، ولا يمانع أن يقتل كل من قد ينافسه فى منصبه .

ولم يكن القضاء على شبع صعباً أمام يوآب فطارده حاصر المدينة التى احتمى بها (آبل بيت معكة في أقصى الشمال) وهدد أهلها، ففضلوا أن يسلموه رأس شبع ابن بكري حقناً للدماء . وهكذا انتهت الفتنة وعاد يوآب رئيساً للجيش رغم أنف داود !

مجاعة لمدة ثلاث سنين تنتهي بصلب سبعة من نسل شاول

وَكَانَ جُوعٌ فِي أَيَّامِ دَاوُدَ ثَلاَثَ سِنِينَ، سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ. فَطَلَبَ دَاوُدُ وَجْهَ الرَّبِّ. فَقَالَ الرَّبُّ: «هُوَ لأَجْلِ شَاوُلَ وَلأَجْلِ بَيْتِ الدِّمَاءِ، لأَنَّهُ قَتَلَ الْجِبْعُونِيِّينَ». (٢صم٢١ : ١)

نحن الآن بصدد قصة قد تبدو لنا غريبة وقليلاً ما نسمع تفسيراً لها .

والقصة لها خلفية تاريخية قديمة عمرها أربعة قرون أيام دخول يشوع إلى أرض الموعد وانتصاره على شعوب المنطقة من الكنعانيين ، أما هذه الجماعة بالذات (الجبعونيون) فقد خدعوا يشوع خدعة عقدوا بموجبها معاهدة سلام يعيشون بمقتضاها آمنين وسط بني إسرائيل . (يش٩: ١٦-٢٠) ورغم أن هذه المعاهدة بنيت على نوع من الخداع إلا أنها ظلت سارية لأن الله – وبالتالي شعبه – يحترمون عهودهم .

وظل الحال هكذا لمدة٤٠٠ سنة حتى نقض شاول هذه المعاهدة فقتل كثيراً من الجبعونيين فى أثناء فتر حكمه ، ورغم أن هذه القصة لم تُذكر فى الكتاب المقدس إلا أنها تُفهم ضمنا من سياق الحوار.

و بعد أن طالت المجاعة لمدة ثلاث سنوت كاملة بدأ داود يسأل الرب عن سبب هذا الجفاف فيرد عليه الرب أن المجاعة سببها نقض شاول لمعاهدة السلام مع الجبعونيين منذ عشرات السنين .

ورغم أن الرد كان غير متوقع نظراً لتقادم الجريمة ، إلا أنه يلقي الضوء على عدل الله وحرصه الشديد على الالتزام بكل عهوده ، وعهود شعبه مع سائر الأمم فهو يهتم بالأمم أيضاً وليس بإسرائيل وحدها . وسفك دماء الأبرياء خطية أجرتها مرة، خاصة أن هناك عهداً معهم، والعهد ليس مجرد اتفاق بين طرفين بل هو اتفاق يكون الله طرفاً ثالثاً فيه ، ومن ينقض العهد يكون مستوجباً لقصاص الله .

فبدأ داود يتفاوض مع الجبعونيين كيف يسترضيهم حتى يرفع الله المجاعة ، فأجابوا أن التكفير عن خطية شاول لن يكون إلا بصلب سبعة من نسله ! ونتعجب أن داود تسرع بالموافقة دون الرجوع لمشورة الرب . لأننا نثق أن الرب لا يقبل الذبائح البشرية كما أنه لا يعاقب الأبناء والأحفاد على خطايا الآباء والأجداد.

ولكن داود سلم للجبعونيين سبعة من نسل شاول ، خمسة منهم أحفاد شاول وهم أبناء ميرب بنت شاول الكبرى وكانت ميكال زوجته قد تبنتهم ، والاثنين الآخرين هما ابنا شاول من رصفة سريتة (جاريته) . أما مفيبوشث بن يوناثان فبالطبع لم يكن منهم لما بينهما من عهود وفاء يستحيل نقضها.

وَسَلَّمَهُمْ إِلَى يَدِ الْجِبْعُونِيِّينَ فَصَلَبُوهُمْ عَلَى الْجَبَلِ أَمَامَ الرَّبِّ. فَسَقَطَ السَّبْعَةُ مَعاً وَقُتِلُوا فِي أَيَّامِ الْحَصَادِ فِي أَوَّلِهَا فِي ابْتِدَاءِ حَصَادِ الشَّعِيرِ. فَأَخَذَتْ رِصْفَةُ ابْنَةُ أَيَّةَ مِسْحاً (قماشا) **وَفَرَشَتْهُ لِنَفْسِهَا عَلَى الصَّخْرِ مِنِ ابْتِدَاءِ الْحَصَادِ حَتَّى انْصَبَّ الْمَاءُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَمْ تَدَعْ طُيُورَ السَّمَاءِ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ نَهَاراً وَلاَ حَيَوَانَاتِ الْحَقْلِ لَيْلاً.**
(٢صم ٢١ : ٩-١٠)

لا نعلم كم يوماً بقيت الأجساد معلقة على الصليب ولكن من الواضح أن السماء هطلت بالمطر بعد طول الجفاف والمجاعة ونزل المطر غزيراً فى غير أوانه .

وقد تأثر داود جداً بما فعلته رصفة هذه الأم العجوز لتحافظ على أجساد بنيها ، ولكى يثبت داود أنه لا يحمل حقداً أو كراهية ضد بيت شاول أخذ عظام شاول ويوناثان وقام بدفنها مع عظام المصلوبين مرة ثانية بإكرام عظيم .

معركة جديدة بين الفسطينيين وإسرائيل

وَكَانَتْ أَيْضاً حَرْبٌ بَيْنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَإِسْرَائِيلَ، فَانْحَدَرَ دَاوُدُ وَعَبِيدُهُ مَعَهُ وَحَارَبُوا الْفِلِسْطِينِيِّينَ، فَأَعْيَا دَاوُدُ. (تعب جداً) **وَيِشْبِي بَنُوبُ الَّذِي مِنْ أَوْلاَدِ رَافَا، وَوَزْنُ رُمْحِهِ ثَلاَثُ مِئَةِ شَاقِلِ نُحَاسٍ** (٣,٥كجم) **وَقَدْ تَقَلَّدَ جَدِيداً،** (حمل سيفاً جديداً) **افْتَكَرَ أَنْ يَقْتُلَ دَاوُدَ. فَأَنْجَدَهُ أَبِيشَايُ ابْنُ صَرُويَةَ فَضَرَبَ الْفِلِسْطِينِيَّ وَقَتَلَهُ. حِينَئِذٍ حَلَفَ رِجَالُ دَاوُدَ لَهُ قَائِلِينَ: «لاَ تَخْرُجْ أَيْضاً مَعَنَا إِلَى الْحَرْبِ، وَلاَ تُطْفِئْ سِرَاجَ إِسْرَائِيلَ».**
(٢صم٢١: ١٥-١٧)

رغم أن داود قد تخطى الستين عاماً الآن إلا أنه يخرج فى الحرب مع جيشه فهو لم ولن ينسى الدرس الذي تعلمه جيداً يوم تقاعس وآثر الراحة أثناء الحرب مع بني عمون ، ولولا يقظة أبيشاي لتمكن منه الفلسطيني وقتله . وأخذ رجاله يتوسلون إليه ألا يخرج للحرب غير عالمين بما يدفعه للإصرار على الاشتراك فى كل معركة .

أبطال فى جيش داود

ويسترسل الوحي المقدس فى الإصحاح (٢صم ٢٣) فى ذكر أسماء الابطال فجعل ثلاثة منهم فى المرتبة الأولى لشجاعتهم وبطولتهم ثم ثلاثة آخرين فى المرتبة الثانية ثم ثلاثين آخربن . وبغض النظر عن أسمائهم فإن أكثر ما يلفت النظر فى هذه القائمة هو غياب اسم يوآب صاحب أعظم الانتصارات وكأن الوحي يؤكد لنا أن الغدر والخيانة اللذان اتسم بهما يوآب كفيلان بحرمانه من هذا الشرف مهما كانت بطولاته.
ويذكر لنا الوحي أيضاً قصة ذات دلالة حدثت فى أحد الحروب مع الفلسطينيين الذين كانوا قد احتلوا مدينة بيت لحم مسقط رأس داود :

داود يسكب ماء بئر بيت لحم

+ فَتَأَوَّهَ دَاوُدُ وَقَالَ: «مَنْ يَسْقِينِي مَاءً مِنْ بِئْرِ بَيْتِ لَحْمٍ الَّتِي عِنْدَ الْبَابِ؟» فَشَقَّ الأَبْطَالُ الثَّلاَثَةُ مَحَلَّةَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَاسْتَقُوا مَاءً مِنْ بِئْرِ بَيْتِ لَحْمٍ الَّتِي عِنْدَ الْبَابِ، وَحَمَلُوهُ وَأَتَوْا بِهِ إِلَى دَاوُدَ، فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَشْرَبَهُ بَلْ سَكَبَهُ لِلرَّبِّ .
+ وَقَالَ: «حَاشَا لِي يَا رَبُّ أَنْ أَفْعَلَ ذلِكَ. هَذَا دَمُ الرِّجَالِ الَّذِينَ خَاطَرُوا بِأَنْفُسِهِمْ». فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَشْرَبَهُ. هَذَا مَا فَعَلَهُ الثَّلاَثَةُ الأَبْطَالُ. (٢صم ٢٣: ١٥-١٦)

عزَّ على داود أثناء هذه الحرب أن يرى بيت لحم مسقط رأسه محتلة وهاجت عليه ذكريات الصبا يوم كان يشرب من أحد آبارها . ورغم أنه لم يطلب من أحد أن يخاطر بحياته بالدخول وسط معسكر الأعداء إلا أن هؤلاء الأبطال الثلاثة (أبيشاي وبناياهو وثالث لم يذكر اسمه) اعتبروا أمنيته الصعبة أمراً يستحق المخاطرة وبالفعل تسللوا إلى المدينة وسط صفوف الأعداء وجلبوا له الماء من تلك البئر ، وهذا يرينا المحبة الحقيقة التى كان هؤلاء الأبطال يحملونها بين ضلوعهم تجاه داود .
أما داود الملك المتواضع فقد رأى أنه غير مستحق أن يخاطر أحدهم بحياته لأجل أمنية مثل هذه ، وأن الوحيد المستحق لهذه المحبة التى يعبر عنها هذا الماء الثمين هو الله وحده فسكبه على الأرض أمام الرب ورفض أن يشرب منه .
وهكذا ينبه الخادم الأمين تلاميذه أن الله وحده هو الذي يستحق أن يوهب هذه المحبة الصادقة وهو وحده الذي يستحق ان ندفع حياتنا ثمناً رخيصاً لرضاه .

داود يحصي شعب إسرائيل

وَوَقَفَ الشَّيْطَانُ ضِدَّ إِسْرَائِيلَ وَأَغْوَى دَاوُدَ لِيُحْصِيَ إِسْرَائِيلَ.

+ **فَقَالَ دَاوُدُ لِيُوآبَ وَلِرُؤَسَاءِ الشَّعْبِ: «اذْهَبُوا عُدُّوا إِسْرَائِيلَ مِنْ بِئْرَ سَبْعَ** (أقصى الجنوب) **إِلَى دَانَ** (أقصى الشمال) ، **وَأْتُوا إِلَيَّ فَأَعْلَمَ عَدَدَهُمْ».**

فَقَالَ يُوآبُ: «لِيَزِدِ الرَّبُّ عَلَى شَعْبِهِ أَمْثَالَهُمْ مِئَةَ ضِعْفٍ. أَلَيْسُوا جَمِيعاً يَا سَيِّدِي الْمَلِكَ عَبِيداً لِسَيِّدِي؟ لِمَاذَا يَطْلُبُ هَذَا سَيِّدِي؟ لِمَاذَا يَكُونُ سَبَبَ إِثْمٍ لإِسْرَائِيلَ؟»

فَاشْتَدَّ كَلاَمُ الْمَلِكِ عَلَى يُوآبَ. (ألح عليه بشدة)

فَخَرَجَ يُوآبُ وَطَافَ فِي كُلِّ إِسْرَائِيلَ ثُمَّ جَاءَ إِلَى أُورُشَلِيمَ.

فَدَفَعَ يُوآبُ جُمْلَةَ عَدَدِ الشَّعْبِ إِلَى دَاوُدَ، فَكَانَ كُلُّ إِسْرَائِيلَ أَلْفَ أَلْفٍ وَمِئَةَ أَلْفِ رَجُلٍ مُسْتَلِّي السَّيْفِ (١,١ مليون رجل قادر على المشاركة في الحرب عدا النساء والأطفال والشيوخ) **وَيَهُوذَا أَرْبَعَ مِئَةٍ وَسَبْعِينَ أَلْفَ رَجُلٍ مُسْتَلِّي السَّيْفِ، وَأَمَّا لاَوِي وَبِنْيَامِينُ فَلَمْ يَعُدَّهُمْ مَعَهُمْ لأَنَّ كَلاَمَ الْمَلِكِ كَانَ مَكْرُوهاً لَدَى يُوآبَ.**

وَقَبُحَ فِي عَيْنَيِ اللَّهِ هَذَا الأَمْرُ فَضَرَبَ إِسْرَائِيلَ.

فَقَالَ دَاوُدُ لِلَّهِ: «لَقَدْ أَخْطَأْتُ جِدّاً حَيْثُ عَمِلْتُ هَذَا الأَمْرَ. وَالآنَ أَزِلْ إِثْمَ عَبْدِكَ لأَنِّي سَفِهْتُ جِدّاً (تصرفت بحماقة شديدة) **».** (٢أخ ٢١:١-٨)

نحن الآن أمام خطأ مزدوج بين داود الملك وشعب إسرائيل :

فالخطأ الأعظم كان من جهة الشعب الذي بدأ يبعد عن الرب وينجرف نحو الخطية. وداود من ناحية أخري يشعر بالفخر لأن مملكته صارت أقوى ممالك المنطقة وقد ضم إلى تخومه المزيد من الأراضي وأصبح عدد الشعب الذي يستطيع حمل السلاح أكثر من ١,٥ مليون جندي ، أي أن العدد الإجمالي للأمة اكثر من ستة ملايين نسمة وهو رقم ضخم طبعاً خاصة في ذلك الزمان ، ولكن متى كانت القوة تقاس بالعدد ؟ وفي عصرنا الحاضر يحلو للبعض أن يحصي ثروته من حين لآخر فيظل يحسب مجموع ما له من أموال بالبنوك و عقارات أو أراض ... فإذا وجد الرقم كبيراً يشعر بالنشوة والاطمئنان وكأن هذا هو مصدر قوته متناسياً أنه متى كان لأحد كثير فليست حياته من امواله .

والحقيقة أن الله حاول أن يمنع داود من ارتكاب هذا الخطأ فجعل الرفض والتحذير يأتي على لسان يوآب رجل الحرب والغدر والدماء ، ويا لها من طريقة تبكيت وتوبيخ عندم ياتينا النصح من إنسان أبعد ما يكون عن الحياة الروحية ولكن الله يستخدمه ليوقظنا من غفلتنا. ولكن داود ألح علي يوآب متمسكاً بحكمته البشرية التي زينها له الشيطان ولم يفكر فى استشارة الرب .

وداود الذي استجاب فى شبابه لكلمات أبيجايل يوم منعته من قتل نابال وكل بيته نجده اليوم يصر على الخطأ ويدفع يوآب للقيام به ، وهكذا تركه الله يقع فى الخطأ الذي أصر عليه . ولكن حتى أخطائنا يجعلها الله سبب بركة وخلاص لنا وللآخرين .

ويستخدم الوحي المقدس نفس الكلمات التي سبق أن استخدمها وقت وقوع داود فى الزنا مع بثشبع **(قَبُحَ في عيني الله)** . إلا أن داود هذه المرة شعر بالخطأ من نفسه ، ورغم الشعر الأبيض الذي كلل هامة الشيخ الوقور إلا أنه لم يستنكف أن يعترف بالخطأ سريعاً .

ولكن المشكلة لم تكن فى داود وحده بل بالأحرى فى الشعب الذي استحق التأديب.

جاد النبي يُخَيِّر داود بين ثلاث عقوبات

╬ فَقَالَ الرَّبُّ لِجَادَ رَائِي (نبي) دَاوُدَ: «اذْهَبْ وَقُلْ لِدَاوُدَ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: ثَلاَثَةً أَنَا عَارِضٌ عَلَيْكَ فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ وَاحِداً مِنْهَا فَأَفْعَلَهُ بِكَ».

فَجَاءَ جَادُ إِلَى دَاوُدَ وَقَالَ لَهُ: «هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: اقْبَلْ لِنَفْسِكَ

إِمَّا ثَلاَثَ سِنِينَ جُوعٌ،

أَوْ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ هَلاَكٌ أَمَامَ مُضَايِقِيكَ وَسَيْفُ أَعْدَائِكَ يُدْرِكُكَ،

أَوْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ يَكُونُ فِيهَا سَيْفُ الرَّبِّ وَوَبَأٌ فِي الأَرْضِ، وَمَلاَكُ الرَّبِّ يَعْثُو فِي كُلِّ تُخُومِ إِسْرَائِيلَ. فَانْظُرِ الآنَ مَاذَا أَرُدُّ جَوَاباً لِمُرْسِلِي».

+ فَقَالَ دَاوُدُ لِجَادٍ: «قَدْ ضَاقَ بِيَ الأَمْرُ جِدّاً. دَعْنِي أَسْقُطْ فِي يَدِ الرَّبِّ لأَنَّ مَرَاحِمَهُ كَثِيرَةٌ، وَلاَ أَسْقُطْ فِي يَدِ إِنْسَانٍ». (٢أخ ٢١: ٩-١٣)

قصة غريبة لم يذكر لها مثيل لا قبل داود ولا بعده .

فالرب من فرط محبته لداود يشركه معه فى اختيار العقوبة ولا يفرضها عليه !

و يرسل الرب جاد النبي – الذي صار مرشداً لداود - ليخيره بين ثلاث عقوبات كل منها سيحصد الكثير من أرواح الشعب : المجاعة أو الوباء أو سيف الأعداء . وقد احتار داود جداً كيف يختار عقاباً لشعبه فاستبعد الوقوع فى يد الأعداء وكذلك الجوع أيضاً لأن هاتين العقوبتين تضعانه تحت رحمة إنسان قاسي القلب يحارب الشعب بشراسة أو يمنع عنه القوت أثناء المجاعة . ورغم أن هاتين العقوبتين يسهل أن ينجو منهما الملك وبيته بسهولة إلا أنه اختار الوباء لأنه يثق أن الوقوع فى يدي الرب الكثير المراحم أفضل كثيراً من الوقوع في يد إنسان ، مع أن المرض قد يصيبه هو أو أسرته . ولكنه فضل العقوبة التى قد يشارك شعبه فيها عن الاحتماء بكرسيه الملكي وترك كل العقوبة للشعب .

الرب يضرب إسرائيل بالوباء

فَجَعَلَ الرَّبُّ وَبَأً فِي إِسْرَائِيلَ، فَسَقَطَ مِنْ إِسْرَائِيلَ سَبْعُونَ أَلْفَ رَجُل. وَأَرْسَلَ اللَّهُ مَلاَكاً عَلَى أُورُشَلِيمَ لإِهْلاَكِهَا، وَفِيمَا هُوَ يُهْلِكُ رَأَى الرَّبُّ فَنَدِمَ عَلَى الشَّرِّ،

╬ وَقَالَ لِلْمَلاَكِ الْمُهْلِكِ: «كَفَى الآنَ، رُدَّ يَدَكَ!»

وَكَانَ مَلاَكُ الرَّبِّ وَاقِفاً عِنْدَ بَيْدَرِ أُرْنَانَ الْيَبُوسِيِّ. وَرَفَعَ دَاوُدُ عَيْنَيْهِ فَرَأَى مَلاَكَ الرَّبِّ وَاقِفاً بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسَيْفُهُ مَسْلُولٌ بِيَدِهِ وَمَمْدُودٌ عَلَى أُورُشَلِيمَ. فَسَقَطَ دَاوُدُ وَالشُّيُوخُ عَلَى وُجُوهِهِمْ مُكْتَسِينَ بِالْمُسُوحِ.

+ وَقَالَ دَاوُدُ لِلَّهِ: «أَلَسْتُ أَنَا هُوَ الَّذِي أَمَرَ بِإِحْصَاءِ الشَّعْبِ؟ وَأَنَا هُوَ الَّذِي أَخْطَأَ وَأَسَاءَ، وَأَمَّا هَؤُلاَءِ الْخِرَافُ فَمَاذَا عَمِلُوا؟ فَأَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهِي لِتَكُنْ يَدُكَ عَلَيَّ وَعَلَى بَيْتِ أَبِي لاَ عَلَى شَعْبِكَ لِضَرْبِهِمْ». (٢أخ ٢١: ١٤-١٧)

وتتضح من هذه الفقرة حقيقة المشاعر الأبوية التى يجيش بها قلب داود ، فها هو يرجو الرب أن يتحمل هو وبيته العقوبة وتُرفع عن الشعب ، والأجمل أنه يصف شعبه بالخراف لأنه ما زال يشعر فى قرارة نفسه أنه ذلك الراعي البسيط القادم من وراء الغنم و لا يبالي أن يخاطر بنفسه كي يخلص حملاً من بين أنياب الأسد . ويتذلل داود ويلبس المسوح . وبدلاً من أن ينتفخ ويتفاخر بكثرة الشعب نراه يسجد منسحقاً أمام الرب عالماً أنه هو مصدر قوته الوحيد. وأمام هذا الاتضاع انهمرت مراحم

الرب سريعاً فتوقف الوباء سريعاً قبل أن يهلك أورشليم، ويستخدم الوحي المقدس كلمة "ندم على الشر" باعتبارها أقرب كلمة للعقل البشري تصف رحمة الله الذي يشفق على رعيته إذ يراهم يئنون تحت وطأة آلام عصا التأديب فيكتفي بالقليل منه .

جاد النبي يشير ببناء مذبح للرب

فَكَلَّمَ مَلاَكُ الرَّبِّ جَادَ أَنْ يَقُولَ لِدَاوُدَ أَنْ يَصْعَدَ دَاوُدُ لِيُقِيمَ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ فِي بَيْدَرِ أُرْنَانَ الْيَبُوسِيِّ. فَصَعِدَ دَاوُدُ حَسَبَ كَلاَمِ جَادَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ بِاسْمِ الرَّبِّ.

فَالْتَفَتَ أُرْنَانُ فَرَأَى الْمَلاَكَ. وَبَنُوهُ الأَرْبَعَةُ مَعَهُ اخْتَبَأُوا، وَكَانَ أُرْنَانُ يَدْرُسُ حِنْطَةً.

وَجَاءَ دَاوُدُ إِلَى أُرْنَانَ. وَتَطَلَّعَ أُرْنَانُ فَرَأَى دَاوُدَ وَخَرَجَ مِنَ الْبَيْدَرِ وَسَجَدَ لِدَاوُدَ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ.

+ فَقَالَ دَاوُدُ لأُرْنَانَ: «أَعْطِنِي مَكَانَ الْبَيْدَرِ فَأَبْنِيَ فِيهِ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ. بِفِضَّةٍ كَامِلَةٍ أَعْطِنِي إِيَّاهُ، فَتَكُفَّ الضَّرْبَةُ عَنِ الشَّعْبِ».

◙ فَقَالَ أُرْنَانُ لِدَاوُدَ: «خُذْهُ لِنَفْسِكَ، وَلْيَفْعَلْ سَيِّدِي الْمَلِكُ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْهِ. انْظُرْ. قَدْ أَعْطَيْتُ الْبَقَرَ لِلْمُحْرَقَةِ، وَالنَّوَارِجَ لِلْوَقُودِ، وَالْحِنْطَةَ لِلتَّقْدِمَةِ. الْجَمِيعَ أَعْطَيْتُ».

+ فَقَالَ الْمَلِكُ دَاوُدُ لأُرْنَانَ: «لاَ! بَلْ شِرَاءً أَشْتَرِيهِ بِفِضَّةٍ كَامِلَةٍ، لأَنِّي لاَ آخُذُ مَا لَكَ لِلرَّبِّ فَأُصْعِدَ مُحْرَقَةً مَجَّانِيَّةً».

وَدَفَعَ دَاوُدُ لأُرْنَانَ عَنِ الْمَكَانِ ذَهَباً وَزْنُهُ سِتُّ مِئَةِ شَاقِلٍ (٧,٢كجم) وَبَنَى دَاوُدُ هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ، وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ، وَدَعَا الرَّبَّ فَأَجَابَهُ بِنَارٍ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى مَذْبَحِ الْمُحْرَقَةِ. وَأَمَرَ الرَّبُّ الْمَلاَكَ فَرَدَّ سَيْفَهُ إِلَى غِمْدِهِ. (٢أخ ٢١:١٨- ٢٧)

استجاب داود لنصيحة جاد النبي أن يسرع ببناء مذبح في المكان الذي توقف فيه ملاك الرب حتى لا يستمر الوباء لأن الملاك لا بد أن " يرى الدم فيعبر " كما حدث وقت ضربة الأبكار عندما خرج بنو إسرائيل من مصر ، لأن دم هذه الذبيحة يشير إلى دم الذبيح الحقيقي الذي سيسفك عن خطايا العالم كله ، فيتبرر به كل الذين ماتوا على هذا الرجاء دون أن يعاينوه.

وبالفعل اشترى داود هذا الحقل من صاحبه "أرنان" هذا الفلاح البسيط الذي أخذ يشجع الملك على بناء المذبح ، وأصر داود على دفع ثمن الحقل كاملاً لأن قلبه النقي يأبى أن يقدم لله ذبيحة مجانية بل يستمتع أن يبذل ويتعب فيما يقدمه للرب .

وعند تقديم المحرقات والذبائح استجاب الله فنزلت نار من السماء لتحرق الذبيحة معلنة عن قبول السماء لتوبة الملك وشعبه .فأدرك داود أن هذه البقعة من الأرض هى الموقع الذي اختاره الرب ليُبني عليه الهيكل ، ورغم أن داود كان يعلم أنه لن يبني الهيكل بنفسه إلا أن هذا لم يمنعه أن يجهز كل ما يلزم للبناء حتى يمهد السبيل لسليمان ابنه من أجل تحقيق هذا الحلم الذي راوده طويلاً . ويُعتقد أن هذا هو المكان الذي وضع فيه إبراهيم ابنه اسحق على المذبح ولذا يحظى هذا الموقع بقداسة خاصة في نفس كل يهودي حتى الآن .

بدء الإعداد لبناء الهيكل

َقالَ دَاوُدُ: «هَذَا هُوَ بَيْتُ الرَّبِّ الإِلَهِ، وَهَذَا هُوَ مَذْبَحُ الْمُحْرَقَةِ لإِسْرَائِيلَ».

وَأَمَرَ دَاوُدُ بِجَمْعِ الأَجْنَبِيِّينَ الَّذِينَ فِي أَرْضِ إِسْرَائِيلَ وَأَقَامَ نَحَّاتِينَ لِنَحْتِ حِجَارَةٍ مُرَبَّعَةٍ لِبِنَاءِ بَيْتِ اللَّهِ. وَهَيَّأَ دَاوُدُ حَدِيداً كَثِيراً لِلْمَسَامِيرِ لِمَصَارِيعِ الأَبْوَابِ وَلِلْوُصَلِ، وَنُحَاساً كَثِيراً بِلاَ وَزْنٍ، وَخَشَبَ أَرْزٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَدَدٌ (لأَنَّ الصَّيْدُونِيِّينَ وَالصُّورِيِّينَ أَتُوا بِخَشَبِ أَرْزٍ كَثِيرٍ إِلَى دَاوُدَ). وَقَالَ دَاوُدُ: «إِنَّ سُلَيْمَانَ ابْنِي صَغِيرٌ وَغَضٌّ، وَالْبَيْتُ الَّذِي يُبْنَى لِلرَّبِّ يَكُونُ عَظِيماً جِدّاً فِي الاِسْمِ وَالْمَجْدِ فِي جَمِيعِ الأَرَاضِي، فَأَنَا أُهَيِّئُ لَهُ». فَهَيَّأَ دَاوُدُ كَثِيراً قَبْلَ وَفَاتِهِ. وَدَعَا سُلَيْمَانَ ابْنَهُ وَأَوْصَاهُ أَنْ يَبْنِيَ بَيْتاً لِلرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ. (١ أخ ٢٢ : ١-٦)

لم يضيع داود وقتاً فقد كان يشعر أن الأيام الباقية له على الأرض قليلة .وكان الرب قد أخبره أنه اختار سليمان ابنه ليخلفه على العرش ، ولما كان سليمان دون العشرين من عمره فقد قرر داود أن يجهز له كل ما يلزم للبناء حتى يقلل من العبء المكلف به ، وهو ما يشكل الجزء الأصعب فى العمل الذي تمنى داود طويلاً أن يقوم به كله لولا رفض الرب . وهكذا بدأ تجهيز الحجارة والحديد والنحاس وأخشاب يصعب حصرها أو وزنها نظراً لضخامة العمل المزمع إقامته ليليق باسم الرب .

وصية داود لسليمان وتشجيعه كي يبني بيت الرب

وَقَالَ دَاوُدُ لِسُلَيْمَانَ: «يَا ابْنِي، قَدْ كَانَ فِي قَلْبِي أَنْ أَبْنِيَ بَيْتاً لاِسْمِ الرَّبِّ إِلَهِي. فَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ: قَدْ سَفَكْتَ دَماً كَثِيراً وَعَمِلْتَ حُرُوباً عَظِيمَةً، فَلاَ تَبْنِي بَيْتاً لاِسْمِي لأَنَّكَ سَفَكْتَ دِمَاءً كَثِيرَةً عَلَى الأَرْضِ أَمَامِي. هُوَذَا يُولَدُ لَكَ ابْنٌ يَكُونُ صَاحِبَ رَاحَةٍ، وَأُرِيحُهُ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِهِ حَوَالَيْهِ، لأَنَّ اسْمَهُ يَكُونُ سُلَيْمَانَ. فَأَجْعَلُ سَلاَماً وَسَكِينَةً فِي إِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِهِ. هُوَ يَبْنِي بَيْتاً لاِسْمِي، وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْناً، وَأَنَا لَهُ أَباً وَأُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مُلْكِهِ عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ. الآنَ يَا ابْنِي لِيَكُنِ الرَّبُّ مَعَكَ فَتُفْلِحَ وَتَبْنِيَ بَيْتَ الرَّبِّ إِلَهِكَ كَمَا تَكَلَّمَ عَنْكَ. إِنَّمَا يُعْطِيكَ الرَّبُّ فِطْنَةً وَفَهْماً وَيُوصِيكَ بِإِسْرَائِيلَ لِحِفْظِ شَرِيعَةِ الرَّبِّ إِلَهِكَ. حِينَئِذٍ تُفْلِحُ إِذَا تَحَفَّظْتَ لِعَمَلِ الْفَرَائِضِ وَالأَحْكَامِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّبُّ مُوسَى لأَجْلِ إِسْرَائِيلَ. تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ لاَ تَخَفْ وَلاَ تَرْتَعِبْ.

هَئَنَذَا فِي مَذَلَّتِي هَيَّأْتُ لِبَيْتِ الرَّبِّ ذَهَباً مِئَةَ أَلْفِ وَزْنَةٍ،(٣٦٠٠ طن) وَفِضَّةً أَلْفَ أَلْفِ وَزْنَةٍ ، وَنُحَاساً وَحَدِيداً بِلاَ وَزْنٍ لأَنَّهُ كَثِيرٌ. وَقَدْ هَيَّأْتُ خَشَباً وَحِجَارَةً فَتَزِيدُ عَلَيْهَا. وَعِنْدَكَ كَثِيرُونَ مِنْ عَامِلِي الشُّغْلِ: نَحَّاتِينَ وَبَنَّائِينَ وَنَجَّارِينَ وَكُلَّ حَكِيمٍ فِي كُلِّ عَمَلٍ. الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالنُّحَاسُ وَالْحَدِيدُ لَيْسَ لَهَا عَدَدٌ. قُمْ وَاعْمَلْ، وَلْيَكُنِ الرَّبُّ مَعَكَ».

وَأَمَرَ دَاوُدُ جَمِيعَ رُؤَسَاءِ إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسَاعِدُوا سُلَيْمَانَ ابْنَهُ: «أَلَيْسَ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مَعَكُمْ، وَقَدْ أَرَاحَكُمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، لأَنَّهُ دَفَعَ لِيَدِي سُكَّانَ الأَرْضِ فَخَضَعَتِ الأَرْضُ أَمَامَ الرَّبِّ وَأَمَامَ شَعْبِهِ؟ فَالآنَ اجْعَلُوا قُلُوبَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ لِطَلَبِ الرَّبِّ إِلَهِكُمْ، وَقُومُوا وَابْنُوا مَقْدِسَ الرَّبِّ الإِلَهِ، لِيُؤْتَى بِتَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ وَبِآنِيَةِ قُدْسِ اللَّهِ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي يُبْنَى لاِسْمِ الرَّبِّ». وَلَمَّا شَاخَ دَاوُدُ وَشَبِعَ أَيَّاماً مَلَّكَ سُلَيْمَانَ ابْنَهُ عَلَى إِسْرَائِيلَ.

(١ أخ ٢٢ : ٧ إلى ٢٣: ١)

كان داود يدرك أن الرب قد أعد له فى الابدية بيتاً غير مصنوع بيد بشرية ، بيتاً أبديا يسكن فيه مع الرب نفسه فأراد أن يعبرعن امتنانه بإعداد كل ما يلزم لبناء بيت للرب هنا على الأرض ، فأنفق بسخاء يفوق كل تصور . أطنان من الذهب وعشرة أضعافها من الفضة (وربما كان وزن الذهب الخام وليس الصافي) . ولكن قلب داود لم يكن يحسب التكلفة بل كان كتلك التي كسرت القارورة لينسكب عطر الناردين

فأعطى من ماله الشخصي ومن ميزانية المملكة و تبرعات الشعب ما يوازي مئات المليارات من الجنيهات ... أي ميزانية عدة دول لعدة سنوات !

تأمل روحي البذخ في بناء بيت الرب : تتعدد أوجه إنفاق العشور والصدقات ما بين عطايا أخوة الرب وبناء الكنائس وإعالة خدام الرب و الإنفاق على الخدمة بأشكالها المختلفة. ولا شك أن عطاء أخوة الرب يحتل المرتبة الأولى فى قلب أغلبنا. ولكن تتفاوت الآراء كثيراً بشأن البذخ في بناء الكنائس وما يلحق بها ، فالبعض يرى أن الرب يسوع قد امتدح ساكبة الطيب و داود قد أنفق بغير حساب لبناء الهيكل، وبناءً على ذلك يجب أن يسلكوا نفس السبيل فيبنون الكنائس بالفخامة والأبهة التي تليق بالرب ويريدون أن يعبروا عن شكرهم له ببناء بيته على أجمل صورة .

أما الرأي الآخر فيرى أن الرب يسوع قد وُلِد فى حظيرة للحيوانات وعاش هارباً فى مصر ثم نجاراً بسيطاً فى مدينة فقيرة بالجليل ولم يكن له أين يسند رأسه ، وتشابه الحال مع معظم تلاميذه ورسله . وعليه فيجب أن تكون الكنائس بسيطة متواضعة ويأخذون القديس الأنبا إبرام قدوة لهم ، ذلك الذي كان ينفق كل ما يتبرع به الشعب لصالح أخوة الرب ويتعفف أن ينفق منها فى غير ذلك .

ولكل من الفريقين حجته ورأيه ، والرب يقبل العطايا فى هذا المجال أو ذاك طالما صدرت عن قلب يعطى بسرور ، والرب ينصت لصلاة القلب الخاشع سواء خرجت من هيكل مغشى بالذهب أو من خيمة الاجتماع البسيطة ذات المظهر المتواضع جداً .

لمحة تاريخية عن هيكل سليمان : شهد التاريخ تدمير الهيكل عدة مرات فقد هدمه نبوخذ نصر سنة ٥٨٧ ق.م. ثم أعيد بناؤه بعد العودة من سبي بابل أي بعد سبعين عاماً ، ثم هدم ثانية فى فترة ما بين العهدين عام ١٧٠ ق.م. عندما ثار اليهود على الاحتلال المكدوني وأعيد بناؤه عام ٤٠ ق.م. إلى أن تم تدميره نهائياً عام ٧٠ م. خلال ثورة اليهود على الرومان ، وهو التدمير الذي تنبأ به الرب عندما رد على تلاميذه الذين كانوا يتباهون بجمال الهيكل وعظمته فقال لهم **«أَمَا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هَذِهِ؟ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يُتْرَكُ هَهُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ!»** (مت ٢٤:٢)

وبعد دخول الإسلام تم بناء المسجد الأقصى مكان الهيكل المتهدم فى عهد الدولة الأموية عام ٧٠٠ م تقريباً وهو ما يشكل صراعاً دينياً تاريخياً بين المسلمين واليهود.

وتتفاوت آراء المسيحيين كثيراً بشأن حلم اليهود بإعادة بناء هيكلهم ثانية ، فمنهم من يعتقد أنه سيُبنى كأحد العلامات التي تسبق المجيء الثاني لرب المجد ، ويستندون فى رأيهم إلى قول بولس الرسول " **لاَ يَخْدَعَنَّكُمْ أَحَدٌ عَلَى طَرِيقَةٍ مَا، لأَنَّهُ لاَ يَأْتِي** (المجيء الثاني) **إِنْ لَمْ يَأْتِ الارْتِدَادُ أَوَّلاً، وَيُسْتَعْلَنَ إِنْسَانُ الْخَطِيَّةِ، ابْنُ الْهَلاَكِ، الْمُقَاوِمُ وَالْمُرْتَفِعُ عَلَى كُلِّ مَا يُدْعَى إِلهاً أَوْ مَعْبُوداً، حَتَّى إِنَّهُ يَجْلِسُ فِي هَيْكَلِ اللهِ كَإِلهٍ مُظْهِراً نَفْسَهُ أَنَّهُ إِلهٌ.** " (٢تس٢: ٣-٥)

واليهود فى هذا العصر يهمهم جداً الترويج لهذا الرأي الذي يوهم المسيحيين أن كل ما يجري من أحداث فى الشرق الأوسط هو تتميم لنبوات الكتاب المقدس وأنه لا بد أن يعاد بناء الهيكل إن عاجلاً أم آجلاً .

أما الرأي الآخر – وهو الرأي الذي نرى أنه الأصح – فهو أن بولس الرسول عندما يتكلم عن الهيكل فهو لا يقصد هيكل سليمان . لأنه بعد موت رب المجد على الصليب وانشقاق حجاب الهيكل أصبح هيكل الله هو كل مكان يقام فيه مذبح لله ليقدم فيه الجسد والدم المقدسين، وهذا بالطبع لا ينطبق على هيكل سليمان. وأن نبوة السيد المسيح الواضحة بشأن تدمير الهيكل نهائياً سارية للأبد ولا يوجد ما يدعو للاعتقاد بغير ذلك.

كلمات داود الأخيرة

فَهذِهِ هِيَ كَلِمَاتُ دَاوُدَ الأَخِيرَةُ:

«وَحْيُ دَاوُدَ بْنِ يَسَّى،وَوَحْيُ الرَّجُلِ الْقَائِمِ فِي الْعُلاَ مَسِيحِ إِلهِ يَعْقُوبَ وَمُرَنِّمِ إِسْرَائِيلَ الْحُلْوِ: رُوحُ الرَّبِّ تَكَلَّمَ بِي وَكَلِمَتُهُ عَلَى لِسَانِي.

قَالَ إِلهُ إِسْرَائِيلَ. إِلَيَّ تَكَلَّمَ صَخْرَةُ إِسْرَائِيلَ .

إِذَا تَسَلَّطَ عَلَى النَّاسِ بَارٌّ يَتَسَلَّطُ بِخَوْفِ اللّهِ، وَكَنُورِ الصَّبَاحِ إِذَا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ.

كَعُشْبٍ مِنَ الأَرْضِ فِي صَبَاحٍ صَحْوٍ مُضِيءٍ غِبَّ الْمَطَرِ.

أَلَيْسَ هكَذَا بَيْتِي عِنْدَ اللّهِ لأَنَّهُ وَضَعَ لِي عَهْداً أَبَدِيّاً مُتْقَناً فِي كُلِّ شَيْءٍ وَمَحْفُوظاً ؟

أَفَلاَ يُثْبِتُ كُلَّ خَلاَصِي وَكُلَّ مَسَرَّتِي ؟ (٢صم ٢٣: ١-٥)

دائما ما تعبر الكلمات الأخيرة للإنسان عن خلاصة حياته وأهم ما يريد أن ينقله للأجيال التالية ، ولا شك أن الكلمات الأخيرة لشخص بحجم داود النبي تستوجب أن نقف عندها طويلاً ونتأملها ملياً فهي لم تكن وصية تتعلق بتوزيع التركة كما يفعل معظم الناس بل كانت كلمات تسبيح وصلاة وليس هذا بغريب على رجل أمضى معظم حياته مصلياً مسبحاً حتى أن أغلى لقب اعتز به كان "مرنم إسرئيل الحلو" .
وأيضاً " الرجل القائم فى العلا" حيث أن هذا فعلا هو ما يميز هذا الرجل الذي عاش فى العلا وهو راع بسيط فى بيت لحم ثم وهو مطارد من شاول لسنوات طوال ثم وهو ملك ينتقل من نصر إلى نصر. فكل مشاكل الأرض وأمجادها لم تصرفه عن أن يحيا فى العلا لأنه يدرك أن كل ما فوق التراب تراب .
ولا تسعنا عدة مؤلفات حتى نكتب عن الصلاة فى حياة داود فهذا القديس أمضى معظم حياته على الأرض فى حياة صلاة دائمة ، أليس هو القائل أما أنا فصلاة ، والقائل سبع مرات فى اليوم سبحتك على أحكام عدلك والذي ما زلنا حتى اليوم نعتمد على مزاميره فى أغلب صلواتنا ونذكره فى كل قداس وعشية .

ثورة أدونيا

وشاخ داود وصعد على سرير المرض الأخير فأتوا بفتاة شونمية تدعى أبيشج لتعتني به وتمَرِّضُه فى آخر أيامه ، واشتعلت نار الغيرة بين أبناء داود الذين أدركوا أن انتقال الحكم لن يكون بالضرورة للأكبر بل حسبما يختار الله الذي سبق له أن اختار داود أصغر أخوته الثمانية لأنه كان ينظر إلى القلب وليس إلى العينين. ولذا فقد اختار سليمان دون سائر أخوته.
وكان داود قد فقد أبناءه الكبار الثلاثة دانييل ابن أبيجايل الذي مات شاباً ثم أمنون الذي قتله أبشالوم ، ثم أبشالوم الذي قتله يوآب وقبلهم ابن بثشبع الذي مات رضيعاً .
وأصبح أكبر الباقين على قيد الحياة هو أدونيا ابن حجيث هذا الابن الجميل المدلل الذي يصفه الوحي قائلا : " **ثُمَّ إِنَّ أَدُونِيَّا ابْنَ حَجِّيثَ تَرَفَّعَ** (تكبّر) **قَائِلاً: [أَنَا أَمْلِكُ]. وَعَدَّ لِنَفْسِهِ عَجَلاَتٍ وَفُرْسَاناً وَخَمْسِينَ رَجُلاً يَجْرُونَ أَمَامَهُ. وَلَمْ يُغْضِبْهُ أَبُوهُ قَطُّ قَائِلاً: [لِمَاذَا فَعَلْتَ هَكَذَا؟] وَهُوَ أَيْضاً جَمِيلُ الصُّورَةِ جِدّاً**" (١مل ٥-٦)

وواضح أن داود الذي نجح إلى حد كبير في قيادة أمة بأسرها قد فشل كثيرا في تربية أبنائه ، ويلخص لنا الكتاب المقدس سر هذا الفشل في تلك الكلمات الموجزة : " **لَمْ يُغْضِبْهُ أَبُوهُ قَطُّ قَائِلاً: [لِمَاذَا فَعَلْتَ هَكَذَا؟]** " التى نفهم منها أن محبته الخاطئة لأبنائه كانت تمنعه من زجر ابنه إذا أخطأ وتقويمه متى انحرف ولهذا ذاق المر من أفعال أمنون ثم أبشالوم وأخيراً أدونيا. ولا شك أن هذه رسالة تحذيرية لكل من يطمئنون أنفسهم أن نشأة الأبناء في جو روحي دون متابعة أو تأديب سيضمن لهم السلوك في نفس الطريق ، فما أكثر الأبناء الذين ضلوا السبيل رغم أمانة والديهم .

وإذا كان الرب قد استخدم أخطاء داود وبنيه كعصا تأديب لداود على خطيته القديمة إلا أن هذا لا يعفي داود من المسئولية .

وخشى أدونيا أن يُسحب البساط من تحت قدميه ويفقد العرش الذي يحلم به فأخذ يخطط للاستيلاء على العرش محاولاً أن يتفادى أخطاء أبشالوم فاستمال اثنين من القيادات البارزة اللذين يمثلان الجناح العسكري والجناح الديني ، أولهما هو يوآب رئيس الجيش وأقوى رجل في المملكة ، وكانت علاقته بداود قد فسدت لأنه قتل أبشالوم ، ولم يكن يوآب مقتنعاً أن يتولى الحكم شاب صغير تحت العشرين مثل سليمان . وفى نفس الوقت شعر انه إذا ناصر أدونيا سيصبح هو الحاكم الحقيقي.

أما الثاني فهو أبياثار الكاهن الذي يستطيع بوقوفه بجوار أدونيا أن يضفي على هذا الانقلاب الشرعية الدينية التي تطمئن الشعب . ومن الغريب أن يخون أبياثار داود بعد العشرة الطويلة جدا بينهما والتى بدأت منذ نجاة أبياثار من مذبحة الكهنة التى قام بها شاول الملك منذ أربعين عاماً أو أكثر .

ولم يجد أدونيا صعوبة فى إقناع سائر أخوته أنه الأحق بالحكم ولذا لبوا دعوته لحفل التتويج الذي قدموا فيه الذبائح ابتهاجاً بالملك الجديد الذي توجوه دون رغبة أبيه .

تتويج سليمان ملكاً بصفة رسمية

ووصلت الأخبار بسرعة إلى قصر الملك فاتفق ناثان النبي مع بثشبع أن تدخل هي اولاً إلى مخدع الملك ثم يتبعها بنفسه ليحثا داود على سرعة حسم قضية توريث المُلك لئلا ينفتح باب صراع دموي بين الأخوة ، وبالفعل كلف داود كلاً من ناثان

النبي وصادوق الكاهن وبناياهو القائد العسكري ليتمموا رسمياً تتويج سليمان **فَأَخَذَ صَادُوقُ الْكَاهِنُ قَرْنَ الدُّهْنِ مِنَ الْخَيْمَةِ وَمَسَحَ سُلَيْمَانَ.** (وهو ما يعطيه الشرعية الدينية) **وَضَرَبُوا بِالْبُوقِ ، وَقَالَ جَمِيعُ الشَّعْبِ: [لِيَحْيَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ]. وَصَعِدَ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَرَاءَهُ. وَكَانَ الشَّعْبُ يَضْرِبُونَ بِالنَّايِ وَيَفْرَحُونَ فَرَحاً عَظِيماً حَتَّى انْشَقَّتِ الأَرْضُ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ. فَسَمِعَ أَدُونِيَّا وَجَمِيعُ الْمَدْعُوِّينَ الَّذِينَ عِنْدَهُ . (١مل ١ : ٣٩ – ٤١)**

وهكذا تزامن تتويج ابنين من أبناء داود فى نفس اليوم أحدهما شرعياً برضا الله ورضا داود والآخر غير شرعي يحاول أن يغتصب الحكم عنوة .

أدونيا يستسلم ويخضع لسليمان

فَارْتَعَدَ وَقَامَ جَمِيعُ مَدْعُوِّي أَدُونِيَّا وَذَهَبُوا كُلٌّ وَاحِدٍ فِي طَرِيقِهِ. وَخَافَ أَدُونِيَّا مِنْ سُلَيْمَانَ، وَقَامَ وَانْطَلَقَ وَتَمَسَّكَ بِقُرُونِ الْمَذْبَحِ (لئلا يقتله سليمان عقاباً على تمرده) .

فَأُخْبِرَ سُلَيْمَانُ: هُوَذَا أَدُونِيَّا خَائِفٌ مِنَ الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ، وَهُوَذَا قَدْ تَمَسَّكَ بِقُرُونِ الْمَذْبَحِ قَائِلاً: [لِيَحْلِفْ لِي الْيَوْمَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ إِنَّهُ لاَ يَقْتُلُ عَبْدَهُ بِالسَّيْفِ]. فَقَالَ سُلَيْمَانُ: [إِنْ كَانَ ذَا فَضِيلَةٍ لاَ يَسْقُطُ مِنْ شَعْرِهِ إِلَى الأَرْضِ. وَلَكِنْ إِنْ وُجِدَ بِهِ شَرٌّ فَإِنَّهُ يَمُوتُ]. (وهو ما حدث بعد ذلك).

فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ فَأَنْزَلُوهُ عَنِ الْمَذْبَحِ، فَأَتَى وَسَجَدَ لِلْمَلِكِ سُلَيْمَانَ. فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: [اذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ]. (١ مل ١ : ٤٩- ٥٣)

الخطاب الوداعي الأخير لداود أمام الشعب

وَبَارَكَ دَاوُدُ الرَّبَّ أَمَامَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ، وَقَالَ:

"مُبَارَكٌ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ أَبِينَا مِنَ الأَزَلِ وَإِلَى الأَبَدِ.

لَكَ يَا رَبُّ الْعَظَمَةُ وَالْجَبَرُوتُ وَالْجَلاَلُ وَالْبَهَاءُ وَالْمَجْدُ، لأَنَّ لَكَ كُلَّ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ. لَكَ يَا رَبُّ الْمُلْكُ، وَقَدِ ارْتَفَعْتَ رَأْساً عَلَى الْجَمِيعِ.

وَالْغِنَى وَالْكَرَامَةُ مِنْ لَدُنْكَ (عندك) **، وَأَنْتَ تَتَسَلَّطُ عَلَى الْجَمِيعِ،**

وَبِيَدِكَ الْقُوَّةُ وَالْجَبَرُوتُ،وَبِيَدِكَ تَعْظِيمُ وَتَشْدِيدُ الْجَمِيعِ.

وَالآنَ يَا إِلَهَنَا نَحْمَدُكَ وَنُسَبِّحُ اسْمَكَ الْجَلِيلَ.

وَلَكِنْ مَنْ أَنَا وَمَنْ هُوَ شَعْبِي حَتَّى نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَبَرَّعَ هَكَذَا،
لأَنَّ مِنْكَ الْجَمِيعَ وَمِنْ يَدِكَ أَعْطَيْنَاكَ! لأَنَّنَا نَحْنُ غُرَبَاءُ أَمَامَكَ، وَنُزَلاَءُ مِثْلُ كُلِّ آبَائِنَا.
أَيَّامُنَا كَالظِّلِّ عَلَى الأَرْضِ وَلَيْسَ رَجَاءٌ." (١أخ ٢٩: ١٠-١٥)

ما أروعه ذلك الملك الذي يتحامل على جسده الضعيف ويجمع كل الشعب لكي يشاركوه فى تسبيح الرب قبل أن تغرب آخر أيامه على الأرض فيفيض لسانه بتلك الكلمات الصادقة القوية الخارجة من قلبه قبل شفتيه فيعطي كل المجد لله ويعترف أمامه أنه **"من يدك أعطيناك"** أي أنه مهما أعطى للرب فما هذا إلا بعض قليل من عطايا الرب له . وأن الرجاء الحقيقي له ليس على الأرض بل هناك فى السماء حيث يكمن كنزه الحقيقي .

وصايا داود الأخيرة لابنه سليمان :

وَلَمَّا قَرُبَتْ أَيَّامُ وَفَاةِ دَاوُدَ أَوْصَى سُلَيْمَانَ ابْنَهُ:
أَنَا ذَاهِبٌ فِي طَرِيقِ الأَرْضِ كُلِّهَا. فَتَشَدَّدْ وَكُنْ رَجُلاً.
اِحْفَظْ شَعَائِرَ الرَّبِّ إِلَهِكَ إِذْ تَسِيرُ فِي طُرُقِهِ وَتَحْفَظُ فَرَائِضَهُ وَصَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ وَشَهَادَاتِهِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى، لِتُفْلِحَ فِي كُلِّ مَا تَفْعَلُ وَحَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ.
لِيُقِيمَ الرَّبُّ كَلاَمَهُ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَنِّي قَائِلاً:
إِذَا حَفِظَ بَنُوكَ طَرِيقَهُمْ وَسَلَكُوا أَمَامِي بِالأَمَانَةِ مِنْ كُلِّ قُلُوبِهِمْ وَكُلِّ أَنْفُسِهِمْ لاَ يُعْدَمُ لَكَ رَجُلٌ عَنْ كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ. (١مل ٢ :١ -٤)

لو أدركت كل نفس ما هو طريق الأرض كلها لاختفت معظم الشرور من حياتنا ولأصبح حفظ وصايا الله وأحكامه بديهية لا تحتاج عناءً لتنفيذها ونرى داود هنا وهو يعلمنا ما هي أغلى وصية نتركها لأبنائنا " **اِحْفَظْ شَعَائِرَ الرَّبِّ إِلَهِكَ إِذْ تَسِيرُ فِي طُرُقِهِ وَتَحْفَظُ فَرَائِضَهُ وَصَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ وَشَهَادَاتِهِ"** هذه الوصية وحدها كفيلة بإسعادهم على الارض وفى السماء.

ثلاث وصايا بعقاب يوآب و شمعي ومكافأة برزلاى:

وَأَنْتَ أَيْضاً تَعْلَمُ مَا فَعَلَ بِي يُوآبُ ابْنُ صَرُويَةَ، مَا فَعَلَ لِرَئِيسَيْ جُيُوشِ إِسْرَائِيلَ: أَبْنَيْرَ بْنِ نَيْرَ وَعَمَاسَا بْنِ يَثْرٍ إِذْ قَتَلَهُمَا وَسَفَكَ دَمَ الْحَرْبِ فِي الصُّلْحِ، وَجَعَلَ دَمَ

الْحَرْبِ فِي مِنْطَقَتِهِ الَّتِي عَلَى حَقْوَيْهِ وَفِي نَعْلَيْهِ اللَّتَيْنِ بِرِجْلَيْهِ. فَافْعَلْ حَسَبَ حِكْمَتِكَ وَلاَ تَدَعْ شَيْبَتَهُ تَنْحَدِرُ بِسَلاَمٍ إِلَى الْهَاوِيَةِ. (١مل ٢ :٥-٦)

استكمل يوآب جرائمه بتشجيع أدونيا على الثورة ضد أبيه بعدما قتل أبنير ثم عماسا فى السلم وأخيراً ابشالوم فى الحرب، ولذا أوصى داود ابنه أن يعاقبه بعقوبة الموت التي لم يجرؤ هو أن ينفذها فيه رغم وجوبها منذ زمن.

وَافْعَلْ مَعْرُوفاً لِبَنِي بَرْزِلاَّيَ الْجِلْعَادِيِّ فَيَكُونُوا بَيْنَ الآكِلِينَ عَلَى مَائِدَتِكَ، لأَنَّهُمْ تَقَدَّمُوا إِلَيَّ عِنْدَ هَرَبِي مِنْ وَجْهِ أَبْشَالُومَ أَخِيكَ. (١مل ٢ :٧) ورغم مرور سنوات على معروف برزلاي مع داود إلا أنه لم ينسَ أبدا من قدم له كأس ماء بارد خاصة فى وقت شدته . وإن كان داود لا ينسى عمل المحبة فهل ينساه ابن داود؟

وَهُوَذَا مَعَكَ شَمْعِي بْنُ جِيرَا الْبِنْيَامِينِيُّ مِنْ بَحُورِيمَ. وَهُوَ لَعَنَنِي لَعْنَةً شَدِيدَةً يَوْمَ انْطَلَقْتُ إِلَى مَحَنَايِمَ وَقَدْ نَزَلَ لِلِقَائِي إِلَى الأُرْدُنِّ، فَحَلَفْتُ لَهُ بِالرَّبِّ إِنِّي لاَ أُمِيتُكَ بِالسَّيْفِ. وَالآنَ فَلاَ تُبَرِّرْهُ لأَنَّكَ أَنْتَ رَجُلٌ حَكِيمٌ، فَاعْلَمْ مَا تَفْعَلُ بِهِ وَأَحْدِرْ شَيْبَتَهُ بِالدَّمِ إِلَى الْهَاوِيَةِ. (١مل ٢ :٨-٩)

شمعى بن جيرا هو الذى شتم داود أثناء هربه من أبشالوم وقد تظاهر بالتوبة والندم وقت رجوع داود إلى عرشه خوفاً من بطش الملك وقد سامحه داود ولكن شمعي أثبت أنه غير جدير بهذا التسامح مما دعا داود أن يوصي سليمان أن يضعه تحت مجهر الاختبار . وبالفعل أمره سليمان بعد وفاة داود ألا يغادر أورشليم حتى لا يسعى لمزيد من المؤامرات ولكن شمعي لم يستجب لأمر سليمان وغادر أورشليم فاستوجب قصاص الموت. ونرى هنا أن داود حين سامح شمعى يمثل السيد المسيح الذى سامح صالبيه قائلاً: **"يا أبتاه اغفر لهم"** ولكن قليلين منهم هم الذين تابوا حقاً وتمتعوا بالغفران ، أما الأغلبية التي يمثلها شمعي بن جيرا فهي التى حرمت نفسها من غفران الرب وفدائه فاستحقت العقاب رغم أن فرص التوبة كانت قائمة أمامها

وفاة داود

وَاضْطَجَعَ دَاوُدُ مَعَ آبَائِهِ وَدُفِنَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ.

وَكَانَ الزَّمَانُ الَّذِي مَلَكَ فِيهِ دَاوُدُ عَلَى إِسْرَائِيلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. فِي حَبْرُونَ مَلَكَ سَبْعَ سِنِينٍ، وَفِي أُورُشَلِيمَ مَلَكَ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ سَنَةً. وَجَلَسَ سُلَيْمَانُ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ أَبِيهِ وَتَثَبَّتَ مُلْكُهُ جِدّاً . (١مل ٢ : ١٠-١٢)

قد تطول الحياة حتى تعجز مجلدات ضخمة عن ذكر بعض تفاصيلها أو تقصر حتى يمكن أن نختصرها في بضعة سطور قليلة ولكن النهاية الأرضية دائماً واحدة : "اضطجع ودُفِن" .... في هذه الجزئية يستوي الصالح والطالح ، الأبرار والأشرار.

أما الفارق الأكبر فهو هناك في الحياة الأبدية حيث يخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة ، والقديسون مثل داود ينتظرون لحظة الانتقال بشوق وشغف المحب الذي يتوق إلى لقاء المحبوب .

وهكذا رقد داود وعاد الجسد الترابي إلى التراب انتظارا لليوم الأخير أما كلماته ومزاميره وسيرته وتوبته ومحبته حتى لأعدائه فستظل دوماً نوراً لكل من يبحث عن سراج ينير له في طريق الرب .

ومن بين عشرات الملوك الذين حكموا إسرائيل ظل عصر داود هو الفترة الذهبية التي يتخذها الرب القدير مثلاً يُحتَذى ويعوزني الوقت أن أذكر المرات الكثيرة التي ذكر فيها الكتاب داود بد وفاته وكانت كلها مدحاً ودعوة للاقتداء به .

بل إن اللقب المحبب للرب يسوع له المجد كان هو "ابن داود" تخيلوا معي أن رب داود يطيب له أن ينادى بابن داود تكريماً لذلك القلب الذي طهرته حياة التوبة وجعلت حتى خطاياه مصدراً للرجاء وعزاءً لمنكسري القلوب . ولعل أعظم شهادة هى التى نطق بها الوحي على لسان بولس الرسول وهو يحكي عن داود قائلا :

"وَأَقَامَ لَهُمْ دَاوُدَ مَلِكاً الَّذِي شَهِدَ لَهُ أَيْضاً إِذْ قَالَ:
وَجَدْتُ دَاوُدَ بْنَ يَسَّى رَجُلاً حَسَبَ قَلْبِي الَّذِي سَيَصْنَعُ كُلَّ مَشِيئَتِي.

مِنْ نَسْلِ هَذَا حَسَبَ الْوَعْدِ أَقَامَ اللهُ لإِسْرَائِيلَ مُخَلِّصاً يَسُوعَ."

(أع ١٣ : ٢٢- ٢٣)

تسبيح الألم خلال المرحلة الأخيرة من حياة داود

تنوعت حياة داود من راع للأغنام إلى بطل يهتف الشعب باسمه ، ثم صار خارجاً على القانون مطارداً من الملك ورجاله ثم ملكاً ثم خاطئاً تائباً . وتغير شكل حياته كثيراً بتغير هذه الظروف ولكن خيطاً واحداً ظل يربط كل هذه المراحل سوياً وكان هذا الخيط المشترك في كل هذه المراحل هو التسبيح .

وإذا كان التسبيح أمراً طبيعياً في مراحل حياته الأولى إلا أن التسبيح في مرحلة الألم له مذاق مختلف فهو لا يصدر إلا من قلب يحب الرب حباً لا تغيره ظروف الحياة أو تقلباتها ، فتسبيح الألم هو أرقى درجات التسبيح التي لا يصل إليها إلا القليلون، فكلمات الشكر والتسبيح تنساب بتلقائية من الشفاه عندما تكون الحياة رغدة ناعمة أو عندما تجتاحنا نيران التجارب فنصرخ إلى الرب طالبين العون والغوث، كذلك تسبيح المذبح وتسبيح التوبة كلاهما أمر رائع ولكن كثيرين قد اختبروه، أما تسبيح الألم الذي تشكر فيه الرب بينما عصا التأديب تنهال مرة تلو الأخرى فهو بالحق مستوى رفيع لا يبلغه إلا قليلون فيقولون مع أيوب مستنكرين التذمر :

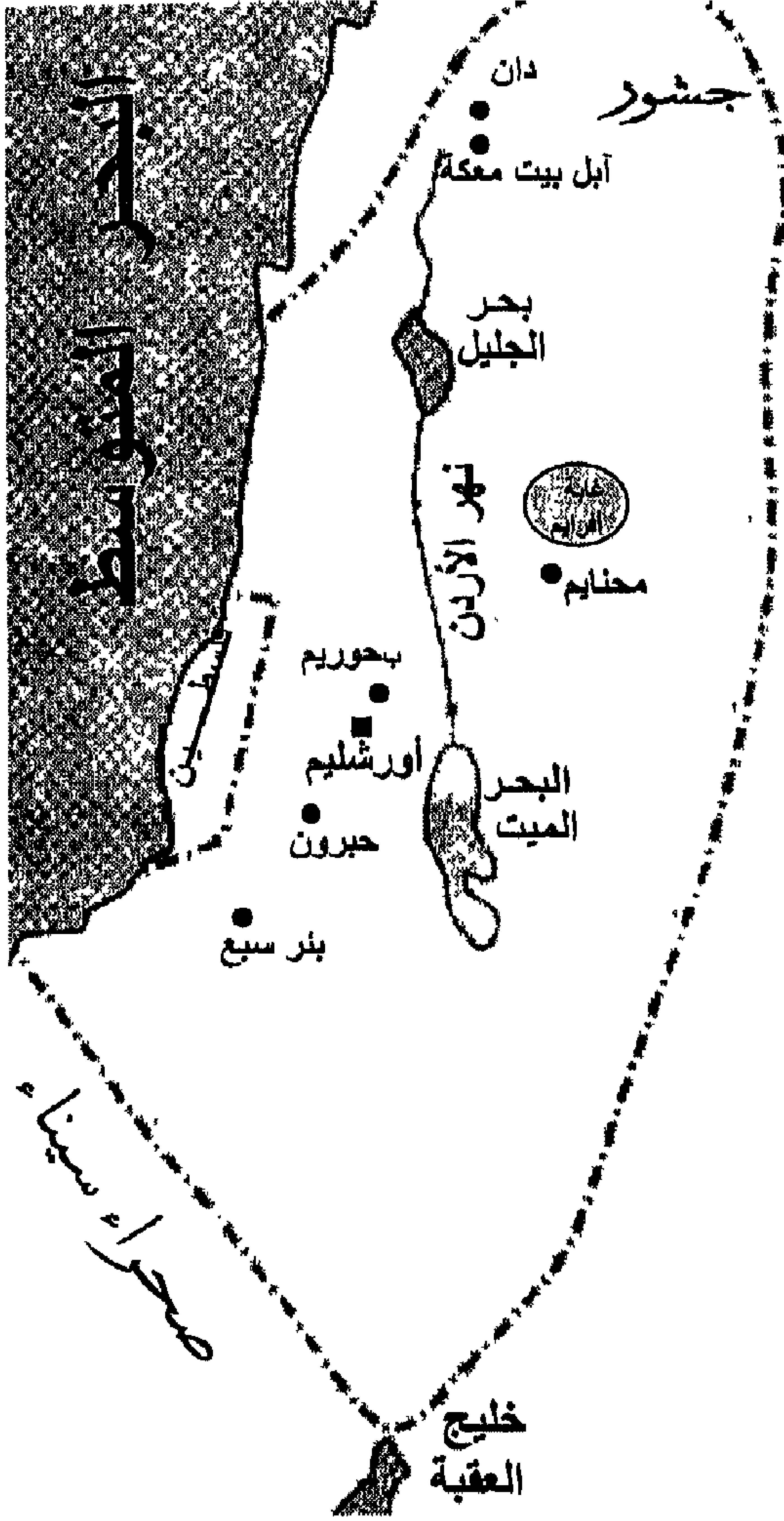
" **أَالْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَالشَّرَّ لاَ نَقْبَلُ؟**"(أي٢:١٠) ويشكرون مع داود قائلين :

" **تَأْدِيباً أَدَّبَنِي الرَّبُّ وَإِلَى الْمَوْتِ لَمْ يُسْلِمْنِي.** "(مز ١١٨: ١٨)

وهذا التسبيح بالقطع يشق طريقه إلى عنان السماء ويفرح قلب الله .

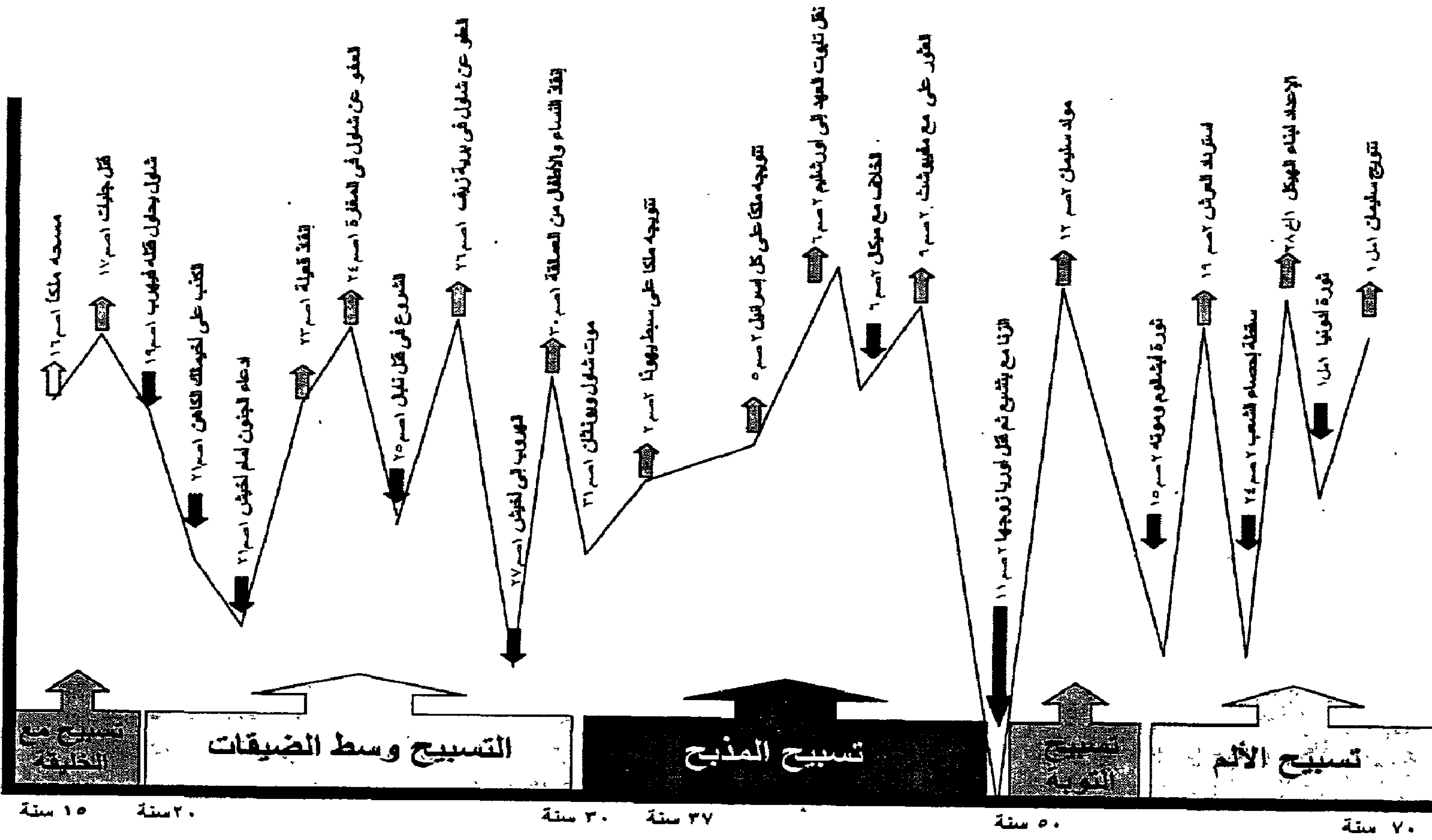
وإذا كنا قد اعتدنا أن نلقب داود بالنبي أو الملك . إلا انه كان يعتز بلقب آخر وهو اللقب الذي اخترناه عنوانا لهذا الكتاب " مرنم إسرائيل الحلو" ويا له من لقب يستصغر فيه كل ما وصل إليه من مجد وأبهة ويستعظم الترنيم والتسبيح والصلاة ويعتبرهم أفضل لقب يعبر به عن نفسه ، حتى انه عندما أراد أن يختزل حياته في كلمة واحدة قال : "**أَمَّا أَنَا فَصَلاَةٌ .**" (مز ١٠٩ : ٤)

وما أجمل أن تكون تلك الكلمة الصغيرة هي التعريف الذي يعبر به أي شخص عن نفسه فتكون حياته على الأرض مقدمة للحياة الأبدية حيث يستمر التسبيح دون أن يعطله شغب الجسد وحيث نشارك داود وسائر القديسين والملائكة تسبحة أبدية نرى فيها الرب وجهاً لوجه .

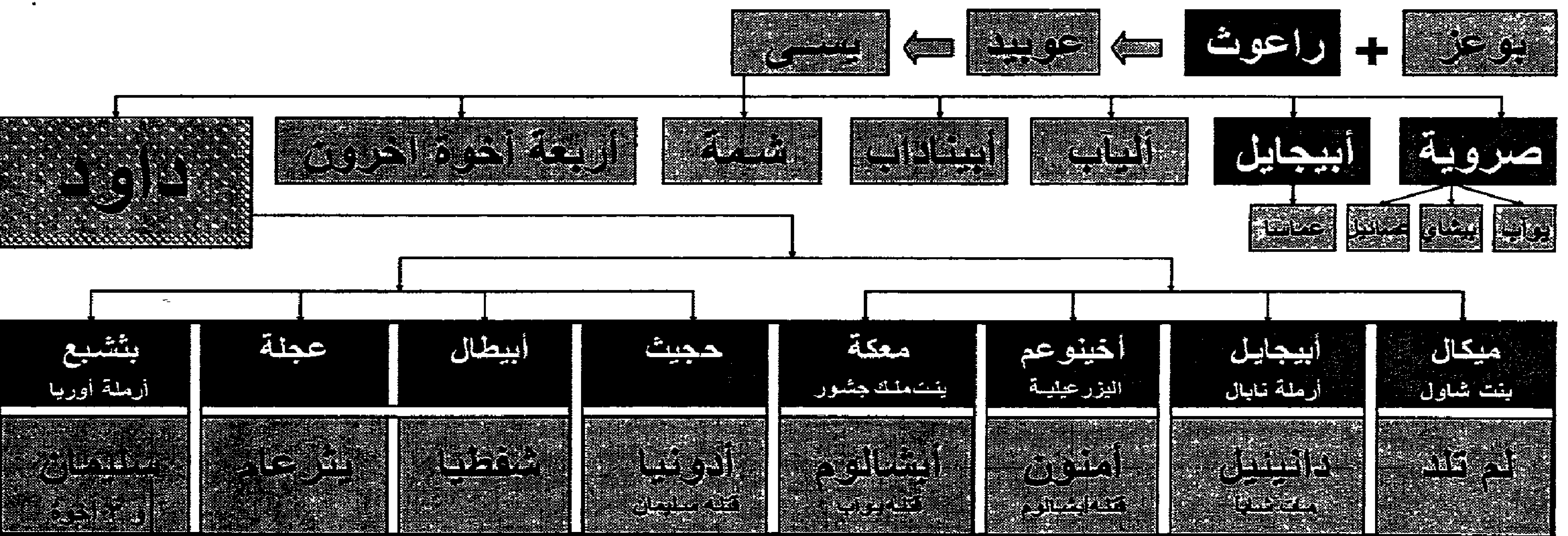


خريطة توضح الأماكن الهامة خلال هذه الفترة من حياة داود

بعدما قتل أبشالوم أخاه أمنون هرب إلى أرض **جشور** فى الشمال ثم عاد ونصَّب نفسه ملكا فى **حبرون** فهرب داود من **أورشليم** شمالاً إلى **بحوريم** حيث شتمه شمعي بن جيرا هناك ثم عبر نهر الأردن شرقاً إلى **محنايم** حيث دارت المعركة التى قُتِل فيها أبشالوم فى **غابة إفرايم** قبل أن يعود داود ويعبر نهر الأردن عائداً إلى أورشليم . وفى الشمال نجد **آبل بيت معكة** التى لجأ إليها شبع بن بكري . ونجد أيضا **دان** وهى أبعد مدن إسرائيل شمالاً أما آخر المدن جنوبا فهى **بئر سبع**..



الأحداث الهامة فى حياة داود وتأثيرها على حياته الروحية



عائلة داود الملك
بوعز
+
راعوث
عوبيد
يسى
صروية
أبيجايل
أليآب
أبيناداب
شمة
أربعة أخوة آخرون
داود
يوآب
أبيشاي
عسائيل
عماسا
ميكال
بنت شاول
لم تلد
أبيجايل
أرملة نابال
دانيئيل
أخينوعم
اليزرعيلية
أمنون
قتله أبشالوم
معكة
بنت ملك جشور
أبشالوم
قتله يوآب
حجيث
أدونيا
قتله سليمان
أبيطال
شفطيا
عجلة
يثرعام
بثشبع
أرملة أوريا
سليمان
رحبعام ← أبيا ← آسا ← يهوشافاط ← يورام ← عزيا ← يوثام ← آحاز ← حزقيا ← منسّى
آمون ← يوشيا ← يكنيا ←
سبي بابل
شألتيئيل ← زربابل ← أبيهود
ألياقيم ←عازور← صادوق ←أخيم ←أليود ←أليعازر← متان ← يعقوب ← يوسف رجل مريم
رب المجد يسوع المسيح

فهرس الشخصيات

نظرا لكثرة الشخصيات المحيطة بداود عبر عشرات السنين وعشرات الإصحاحات فقد وضعنا هذا الفهرس الأبجدي لمساعدة القارئ بذكر كلمات قليلة عن كل شخصية.

أبشالوم : الابن الثالث لداود من معكة وكان محبوباً جداً عند أبيه والشعب وعندما اعتدى أمنون أخوه على شقيقته ثامار قام بقتله هرب ثلاث سنوات إلى أن توسط يوآب لرجوعه فتصرف بدهاء لاستمالة الشعب وأعلن نفسه ملكاً وهاجم أباه الذي هرب منه . فاعتدى على سراري داود ورغم توصيات داود بالمحافظة على حياة أبشالوم إلا أن يوآب قتله فى المعركة مما أحزن داود بشدة .

أبنير : ابن عم شاول و قائد جيشه وعند موت شاول أخذ على عاتقه حماية إيشبوشث الوارث الصغير للعرش حيث نادى به ملكاً على كل إسرائيل . وقد قتل عسائيل أخا يوآب فى معركة بين جيشه وجيش داود فانتقم منه يوآب وقتله غدراً . وقد بكى داود أبنير بكاءً صادقاً ورثاه قائلاً : "إن رئيساً وعظيماً سقط اليوم في إسرائيل"

أبياثار: الكاهن الوحيد الذي نجا من مذبحة شاول لكهنة نوب، كان من نسل عالي الكاهن ، ورافق داود طويلا وطالما استشار الرب من خلال الأفود . وكان هو وصادوق على رأس الكهنة عند نقل التابوت إلى أورشليم . وقد انضم أبياثار إلى أدونيا في محاولته الاستيلاء على العرش ولذلك أعفاه سليمان من خدمة الكهنوت .

أبيجايل (١): زوجة نابال الكرملي : بحكمتها أطفأت غضب داود قبل أن يقتل نابال وكل بيته ثم تزوجها داود بعد أن مات نابال .

أبيجايل (٢) : أخت داود وأم عماسا .

أبيشاي : ابن صروية أخت داود وأحد أبطال الحرب الأشداء حاول قتل شاول الملك وبعد عشرات السنين حاول قتل شمعي ولكن داود منعه فى المرتين.

أبيشج الشونمية : اختيرت كزوجة وممرضة لداود قبل وفاته بقليل . وبعد وفاته طلب أدونيا أن يتزوجها فاعتبره سليمان خائناً وقتله .

اتاي الجتي : رجل من جت وأحد أبطال داود ، أظهر وفاءً شديداً له عند تمرد أبشالوم ورافقه أثناء ثورة أبشالوم .

أدونيا: الابن الرابع لداود من زوجته حجيث حاول أن يملك بدلاً من سليمان ويغتصب الحكم دون رغبة داود الذي عجل بتتويج سليمان فهرب أدونيا وأمسك بقرون المذبح وبعد وفاة داود حاول التمرد ثانية فقتله سليمان .

أخيتوفل: مستشار سياسي وعسكري يُعتقَد أنه كان جد بثشبع وربما يكون قد أدرك ما حدث بينها وبين داود فانضم لأبشالوم فى تمرده ضد داود وحثه على الاعتداء على سراريه، وأثناء اختيار توقيت المعركة تجاهل أبشالوم رأيه وأخذ برأي حوشاي مما اعتبره أخيتوفل لطمة قوية له لم يحتملها فانتحر.

أخيش: ملك جت الفلسطيني .هرب داود من شاول إليه مرتين : فى المرة الأولى خاف داود من انتقام أهل جت منه فتظاهر بالجنون فطرده أخيش. وفى المرة الثانية لجأ إليه وأقام فى مدينة صقلغ . وكان داود يخدعه ويدعي أنه يهاجم إسرائيل فأراد أن يشركه فى الحرب ولكن باقي قادة الجيش اعترضوا فنجا داود من هذه الورطة .

أخيمالك: كاهن مدينة نوب الذي استضاف داود وأعطاه ليأكل من خبز الوجوه وأعطه سيف جليات . قتله شاول لاعتقاده أنه كان يعلم أنه يطارد داود .

أخيمعص : ابن صادوق رئيس الكهنة . ظل هو وأبوه موالين لداود أثناء ثورة أبشالوم وكذلك أثناء عصيان أدونيا . وكان هو ويوناثان بن أبياثار ينقلان الأخبار لداود عندما كان هارباً من وجه أبشالوم وهو الذي حمل خبر القضاء على ثورة أبشالوم ولكنه رفض أن يخبر داود بموت أبشالوم .

أخينوعم : ثاني زوجاتْ داود وهى من يزرعيل تزوجها أثناء هربه من شاول . وقد ولدت لداود أمنون ابنه البكر .

أرنان (أرونه) اليبوسي: صاحب حقل فى أورشليم توقف الملاك المهلك عن ضرب الشعب بالوباء فى هذه المنطقة فاشترى داود الحقل منه وأقام عليه مذبحاً للرب . ثم بنى سليمان الهيكل فى هذه المنطقة .

أليآب: أخو داود الأكبر ظن صموئيل بالخطأ أنه هو الذي اختاره الرب . وعندما ذهب داود حاملاً الطعام لأخوته فى الحرب انتهره لأنه فكر أن يحارب جليات .

أمنون: الابن الأكبر للملك داود من امرأته أخينوعم اليزرعيلية ولأنه البكر فكان يعتبر وليا للعهد ووارثا للعرش ، أحب أخته ثامار شقيقة أبشالوم واستدرجها إلى منزله واغتصبها قسراً ثم طردها فانتقم منه أبشالوم بعد سنتين وقتله .

أوريا الحثي: زوج بثشبع . كان بيته مجاوراً لقصر داود وكان أحد جنود الجيش البواسل، أخطأ داود مع امرأته أثناء غيابه فى الحرب ثم استدعاه إلي أورشليم لإخفاء ما حدث منه، لكن أوريا شعر أنه مقيد بواجبه كجندي فرفض الذهاب إلى منزله ففشلت الحيلة .فأرسل معه إلى يوآب حتى يجعله يموت فى الحرب وهو ما حدث بالفعل .

إيشبوشث: وهو أحد أبناء شاول الملك وعندما مات أبوه وأخوته في معركة جبل جلبوع ، أقامه أبنير قائد الجيش ملكاً على إسرائيل في محنايم . وملك سنتين على إسرائيل ثم قتله اثنان من قواده وأتيا برأسه إلى داود ظنا منهما أنه سيكافئهما، ولكن داود قتلهما بجريمتهما.

بثشبع : كانت زوجة لأوريا الحثي أحد أبطال داود، وكانت " جميلة المنظر جداً "، رآها داود من علي السطح وهي تستحم، فأرسل وأخذها فاضطجع معها ثم قتل زوجها و تزوجها وقد ولد منها خمسة بنين مات الأول والثاني هو سليمان الملك .

بناياهو بن يهوياداع: أحد أبطال داود الذين رفضوا الانضمام إلى ثورة أدونيا وساندوا الملك سليمان وقاد الجيش بدلاً من يوآب .

ثامار(١): بنت داود الملك وأخت ابشالوم، وكانت جميلة جدا فأغرم بها أخوها غير الشقيق، آمنون فاستدرجها واضطجع معها وأذلها ثم طردها، فأخذها أبشالوم إلى بيته، وقتل آمنون انتقاما لما فعله بأخته .

ثامار(٢): ابنة أبشالوم الوحيدة وكانت جميلة المنظر، وقد سماها على اسم أخته.

جاد: نبي نصح داود ـ حين كان هاربا من وجه شاول ـ أن يرجع ويدخل أرض يهوذا ، وهو الذي وبخ داود عندما أحصى بني إسرائيل وطلب منه أن يختار إحدى

عقوبات ثلاث وهو أيضاً الذي أخبر داود أن يقيم للرب مذبحا عندما وقف الوبأ الذي نزل بإسرائيل .

جليات الجبار: بطل جيش الفلسطينيين خرج ليعير صفوف إسرائيل، طالباً منهم أن يختاروا رجلا من بينهم ليبارزه. وظل يتحداهم أربعين يوما إلي أن جاء داود وقتله.

حانون: ابن ناحاش ملك بني عمون ، بعد موت أبيه أرسل داود رسلاً ليعزيه عن أبيه، فأساء فهم مقصد داود، وأساء معاملة الرسل . فشن داود حرباً على بني عمون وهزمهم.

حوشاي الأركي: مستشار داود ، وعندما قام أبشالوم بالثورة ضد أبيه تظاهر بأنه من أنصار أبشالوم، لكي يبطل مشورة أخيتوفل ونجح في مسعاه .

دواغ الأدومي : رئيس رعاة شاول ، وهو الذي أبلغه أن داود لجأ إلى أخيمالك في نوب مدينة الكهنة وهو الذي قتل الكهنة بأمر شاول عندما امتنع سائر الجنود عن تنفيذ هذه المجزرة ، ويعتقد أنه كان حامل سلاحه وانتحر معه في المعركة .

رصفة : سرية لشاول الملك ، وبعد موت شاول ، دخل إليها أبنير قائد جيش إسرائيل، فاغتاظ إيشبوشث ووبخ أبنير . صلب الجبعونيون ابنيها فظلت تحرس جثثهم نهارا و ليلاً حتى نزل المطر وأنزلوا الجثث من على الصليب.

سليمان : هو الملك الثالث لإسرائيل وكان سليمان الابن العاشر للملك داود ، والابن الثاني له من بثشبع اختاره الرب ليصبح ملكاً بعد داود.

شاول بن قيس: أول ملوك بني إسرائيل بدأ مع الرب ولكنه انحرف واصطدم مع صموئيل وطارد داود طويلاً ورفض التوبة حتى مات منتحراً بعد هزيمته في الحرب.

شمعي بن جيرا البنياميني: كان ينتسب لعشيرة شاول الملك . وعند هروب داود من أبشالوم خرج شمعي يسب داود ويرشقه بالحجارة وبعد مقتل أبشالوم اعترف بأنه قد أخطأ، فصفح عنه داود ولكنه ظل يرتاب فيه فأوصي سليمان ابنه أن يراقبه ولما لاح منه الغدر قتله سليمان .

صادوق الكاهن: وكان كاهناً مع أخيمالك بن أبياثار عندما هرب داود من ابنه أبشالوم، خرج وراءه صادوق واللاويين يحملون تابوت العهد ، ولكن داود أمره أن يعود بالتابوت إلى أورشليم . ظل وفياً لداود حتى في أيام فتنة أدونيا.

صروية : أخت داود ووالدة كل من يوآب وأبيشاي وعماسا والثلاثة كانوا رجال حرب أشداء.

صموئيل النبي والكاهن : آخر قضاة بني إسرائيل وهو الذي مسح شاول ملكاً ثم مسح داود ملكاً. وقد لجأ إليه داود أثناء هروبه من شاول وكان بمثابة الأب الروحي لداود حتى وفاته .

صيبا: أحد عبيد شاول الملك وستمر مع حفيده مفيبوشث . استغل ثورة أبشالوم ليدعي كذباً أن مفيبوشث يشعر بالشماتة في داود ، فأعطاه الملك كل ما لمفيبوشث . وبعد مقتل أبشالوم وعودة داود دافع مفيبوشث عن نفسه فأمر داود أن يقتسم هو وصيبا الممتلكات .

عسائيل: أصغر أبناء صروية أخت داود ، وأخو يوآب وأبيشاي وكان يشتهر بسرعته في الجري وفي معركة جبعون بين رجال داود ورجال أبنير التي انهزم فيها أبنير سعي عسائيل وراء أبنير محاولاً أن ينال منه . فقتله أبنير دفاعا عن نفسه .

عماسا : ابن أخت داود انضم لأبشالوم ضد داود ولكن بعد موت أبشالوم عَيَّنه داود قائداً للجيش بدلا من يوآب فاغتاله يوآب غدراً .

عُزَّة : ابن أبيناداب الذي حل تابوت العهد في بيته في قرية يعاريم ، مدة عشرين سنة ثم ذهب داود والشعب ليصعدوا التابوت فأركبوا التابوت على عَجَلة فلما تعثرت الثيران مد عزة يده ليمسك التابوت فغضب الرب عليه فمات .

عوبيد أدوم: بقى التابوت في بيته ٣ أشهر بعد موت عزة فبارك الله بيته جداً .

معكة: بنت جشور الملك الوثني ، رابع زوجات داود الملك التي ولدت له أبشالوم .

مفيبوشث: ابن يوناثان بن شاول الملك. وكان عمره خمس سنين وقت موت شاول ويوناثان وحاولت المربية أن تهرب به فوقع منها وصار أعرج الرجلين وبعد حوالي عشرين سنة بحث داود عنه وأكرمه بجعله يأكل على مائدته ورد له أملاك أسرة شاول .وقد حاول صيبا خادمه أن يوقع دسيسة بينه وبين داود وقت ثورة أبشالوم ولكن مفيبوشث دافع عن نفسه بعد ذلك فتدارك داود الخطأ .

ميرب: الابنة الكبرى لشاول التى وعد بتزويجها لمن يقتل جليات ولكنه أخل بوعده وزجها لرجل آخر غير داود .

ميكال: ابنة الملك شاول الصغرى أحبت داود وأراد شاول أن يستغل تلك الفرصة لقتل داود فطلب مهراً تعجيزياً مئة غلفة من الفلسطينيين، ولكن داود نجح وأعطاه مائتين . وقد أنقذت حياة داود زوجها فجعلته يهرب من الشباك قبل وصول جنود شاول . وأثناء هرب داود زوَّجَها شاول لآخر ولكن داود استردها بعد عودته للعرش. احتقرت داود عندما رقص أمام التابوت فلم ينجب منها .

نابال : رجل ثري عاش فى صحراء جنوبى يهوذا وكان قاسياً جدّاً ورديء الأعمال ، رفض مكافأة داود ورجاله على حراستهم للرعاة فشرع داود فى قتله ولكن حكمة أبيجايل امرأته أنقذت الموقف ومات نابال بعد ذلك بأيام قليلة .

ناثان : نبي عاش في أيام داود وسليمان ، ويذكر لأول مرة عندما استشاره داود الملك في أمر بناء بيت للرب ، وبعد سنة من ارتكاب داود خطيته مع بثشبع امرأة أوريا أرسله الرب إلى داود لمواجهته . وعند مولد سليمان ، أرسل الرب بيد ناثان النبي ودعا اسمه " يديديا " أي محبوب . وفي أواخر أيام داود ، أيام فتنة أدونيا دخل إلى الملك داود وذكّره بوعده أن سليمان يملك بعده .

يسى البيتلحمى: وهو ابن عوبيد وحفيد بوعز وزوجته راعوث الموآبية من سبط يهوذا في بيت لحم . وكان له ثمانية من الأبناء داود أصغرهم. وكانت له ابنتان صروية وأبيجايل.

يوآب: ابن صروية أخت داود و قائد جيشه. وكان أخواه أبيشاى وعسائيل من أبطال جيش داود.وقد أحرز يوآب انتصارات حربية عديدة، أشهرها وأصعبها الاستيلاء على أورشليم. كان يوآب يؤمن بالسيف كحل حاسم سريع للمشاكل وقتل غدراً كل من أبنير وعماسا ، كان مخلصاً لداود معظم عمره و ساعده فى قتل أوريا والقضاء على ثورة أبشالوم وحاول بلا جدوى أن يمنع داود من إحصاء الشعب. انقاد لأدونيا فى محاولة انقلاب فاشلة وانتهت حياته بعد موت داود على يد بناياهو رغم تمسكه بقرون المذبح .

<u>يوناثان (١):</u> الابن الأكبر لشاول الملك، وكان الوارث المنتظر للعرش. كان محارباً شجاعا وفى نفس الوقت لديه إيمان جبار. أحب داود كنفسه بعدما قتل جليات و بلغت صداقته لداود ذروة لم تبلغها صداقة أخرى، ولم يكن فى ذلك أى مكسب له، بل بالحرى خسارة كل شئ. وقد قطع ثلاثة عهود مع داود وأنقذ حياته من بطش شاول أبيه وظل وفيا تجاه الطرفين داود وأبيه فى نفس الوقت. إلى أن سقط قتيلاً مع أبيه وأخويه في موقعه جبل جلبوع.

<u>يوناثان (٢):</u> ابن أبيثار الكاهن وقد قام هو وأخميص بنقل أخبار أبشالوم إلى داود .

<u>يوناداب:</u> ابن شمعي أخى داود الملك وصديق أمنون، وهو الذى رسم لأمنون خطه استدراج ثامار لاغتصابها .

الفهـــــــــرس

الموضـــــــــــــــوع		الصفحة
المـــرحلة الأولى	مشاركة الخليقة فى تسبيح الله	٥
	مسح داود ملكا	١١
	قتل جليات	٢٦
المرحلة الثانيـــة	التسبيح وسط الضيقـــــات	٣٦
	بدء الهروب من شاول	٤٣
	التعفف عن قتل شاول	٧٠
	الهروب إلى أخيش	٨٧
	موت شاول ويوناثان	٩٥
المرحلة التـــالثة	تسبيح المذبـــــــــــح	١٠١
	تتويج داود ملكاً	١٠١
	نقل تابوت العهد	١٠٩
	العثور على مفيبوشث	١٣١
المرحلة الرابعـــة	تسبيح الـــــــــــــتوبة	١٣٧
	خطية الزنا مع بثشبع	١٣٧
المرحلة الخامسة	تسبيح الألـــــــــــــم	١٦٠
	أمنون يغتصب ثامار	١٦٣
	ثورة أبشـــــالوم	١٦٥
	خطية إحصاء الشعب	١٩١
	الإعداد لبناء الهيكل	١٩٥
	ثورة أدونيا وتتويج سليمان	١٩٩
الأحداث الهامـــــــة فى حياة داود ، وعائـــــلة داود		٢٠٧
فهرس الشخصيــــــــــــات الهامة فى حياة داود		٢٠٩

صدر من هذه السلسلة :

١ – تأملات فى سفر ميخا

٢- تأملات في سفر صفنيا

٣- تأملات في حياة آدم

٤- تأملات في حياة يوسف

٥ – تأملات فى حياة جدعون

٦- حياة داود النبى و الملك

سيصدر قريبا بمشيئة الرب

حياة يعقوب

"أنت تأتي إليَّ بسيف وبرمح وبترس.
وأنا آتى إلَيك باسمِ رب الجنود"
(١صم ١٧ : ٤٥)



